(٢٢)

دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير

دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير

إعداد

د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم

الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

المجلد الثاني

دار التدمرية

دلالة السياق القرآني

وأثرها في التفسير

دراسة نظرية تطبيقية

من خلال تفسير ابن جرير

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

نبيا

(٢٢)

دلالة السياق القرآني

وأثرها في التفسير

دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير

إعداد

د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم

الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

المجلد الثاني

دار التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني

أثـــر دلالة السياق القرآنـــي فـــي تـــفسيـــر ابن جريـــر :

تمهيد :

بعد الحديث في الباب الأول عن القواعد -التي ينبغي على المفسر أن ينتهجها ، مما يستعمله شيخ المفسرين ابن جرير -رحمه الله- ؛ لأنها قائمة على اعتبار دلالات الألفاظ وما يترتب على الكلام منطوقا ومفهوما ، وهي دلالات معتبره في النظر إلى الدليل في الجملة -، ندخل الآن إلى الباب الثاني الذي هو نتيجة تتبع دلالة السياق ، وذلك بالنظر إلى ما يترتب على هذا المنهج من آثار ظاهرة على تفسير كلام الله تعالى ، والمعاني التي يتوصل إليها المفسر .

وينقسم هذا الباب إلى تسعة فصول :

الفصل الأول : أثر دلالة السياق في قراءات القرآن .

الفصل الثاني : أثر دلالة السياق في بيان الأصح من أسباب الترول .

الفصل الثالث : أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها .

الفصل الرابع : أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى .

الفصل الخامس : أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلقه لعمومه ولا ينافي العموم .

الفصل السادس : أثر دلالة السياق في الدلالة على المحذوف من الكلام .

الفصل السابع : أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه .

الفصل الثامن : أثر دلالة السياق على وجود تقديم أو تأخير .

الفصل التاسع : أثر دلالة السياق في تضعيف بعض الأقوال .

الفصل الأول

أثر دلالة السياق في قراءات القرآن :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة .

المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة ، أو ردّها ، ومناقشة ذلك .

مدخل الفصل:

يظهر للمتأمل في مواضع القراءات من تفسير جامع البيان للإمام الطبري -رحمه الله- ، أن الترجيح بين القراءات راجع إلى الأسباب التالية :

- اختيار الأفضل ، أما إذا استويت القراءات في المعنى فلا فائدة من الترجيح .(١) وفي مواضع لم يرجح بين القراءات لاحتمالها ولا مرجح عنده ؛ لأن كلتيهما دل السياق على اعتبارها من وجه ، أو لثبوت القراءة بهما عنده . -والله أعلم- (٢).

-إجماع عامة القراء عنده ، ولا يعتد بمخالفة الواحد والاثنين -كما هو مذهبه في الإجماع ، أو استفاضة القراءة بهذه دون تلك ، وهذا أوضح جواب على ردّه القراءة . (٣)

---

(١) ومثالاً على ذلك : قوله -تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥٧] فقد ذكر -رحمه الله-: قراءة الخفض ﴿وَٱلْكُفَّارِ أَوْلِيَآءَ﴾ بخفض {الكفّارِ} وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ويعقوب ، وقراءة النصب ﴿وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ قرأ بها الباقون ثم قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى صحيحتا المخرَج ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة ، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فقد أصاب."انظر جامع البيان (٦٣١/٤) وتحقيق شاكر (٤٣١/١٠) ، ومثله في البقرة (٢٥٩) ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية جامع البيان (٤٦/٣) .

(٢) ومن ذلك قوله -تعالى- : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ [الجن: ١٧] ذكر القراءة بالنون والياء في ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ بالنون : أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ، وبالياء قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . انظر المبسوط (٣٨٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٦٦/٢) ، ولم يرجح شيئاً .

(٣) كما في الإسراء (١٠٦) ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ جامع البيان (١٦١/٨) ، والكهف (٣٤) ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤﴾ جامع البيان (٢٢٣/٨) ، ومريم (٣٤) ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤﴾ جامع البيان (٣٤١/٨) ، وطه (١٠٢) ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢﴾ جامع البيان (٤٥٦/٨) ، والتحريم (٣) ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾الآية جامع البيان (١٥١/١٢) ، والنبأ (٣٥) ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥﴾ جامع البيان (٤٠٩/١٢ و٤١٣) ، والأعلى (١٦) ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦﴾ (٥٤٨/١٢) وغيرها .

- وقد يرجح اعتماداً على سبب النزول [١] . وقد يكون الترجيح لمذهب لغوي ، أو إعرابي ، أو طلب الأعم من المعاني ، ونحو ذلك .[٢]

-وقد يرجح اعتماداً على السياق ، ولطلب اتساق الكلام، واستدلالاً بما يشابهها في السورة، أو مراعاة لرؤوس الآي فيها ، وهذا هو الذي يتعلق بالبحث فهو الترجيح اعتماداً على السياق، وسيأتي بسط لما يتعلق بالسياق – إن شاء الله – .

وقبل الدخول إلى التصحيح والتضعيف أقدم بمقدمة مهمّةٍ في مسألة ردّ ابن جرير –رحمه الله- في تفسيره جامع البيان لبعض القراءات الصحيحة ، وقد كان الناس قبالة هذا الأمر مختلفين : منهم من قال : إن هذا لا يجوز ، وكتب في الردّ عليه ، ومنهم من قال: إن هذا الأسلوب من ابن جرير لا يعدو أن يكون اختياراً بين القراءات .

وهذه المسألة مشكلة جداً ، ولكن سأذكر –إن شاء الله- ما استطعت فهمه من منهج الإمام في تعامله مع القراءات ، وستكون هذه النقاط غير مرتبة لتشعب الفكر في حلّ هذا الأمر ، وعسى أن يكون مجموع النقاط موصلاً إلى العدل والقسط :

---

(١) كما في آل عمران (٨٠) ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾الآية جامع البيان (٣/٣٢٧) ، والنساء (٩٥) ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٢٩) .

(٢) ومن أمثلة هذا النوع في : البقرة (٨٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ } الآية جامع البيان (١/٤٣٦) ، و(١٨٤) ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٤٧) ، و(٢٧١) ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٩٤) ، وآل عمران (٣٩) ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٥٠) ، والأنعام (٢٣) ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٥/١٦٥) ، والانفطار (٧) ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٤٧٩) وغيرها .

- أنكر العلماء الذين أتوا بعد الطبري استبعاده قراءة ابن عامر على عثمان بن عفان -رضي الله عنه- على ما جاء في الروايات عنه ، **قال أبو شامة**[(١)] **-رحمه الله-** : "وهذا غير ضائر" ، ثم قال : "فهب أنه لم يصح أنه قرأ على عثمان ، فقد قرأ على غيره من الصحابة ، وكان يقول هذه حروف أهل الشام التي يقرؤونها ."[(٢)]

وعاب ابن الجزري -رحمه الله-[(٣)] إنكاره قراءة ابن عامر لآية الأنعام[(٤)] وغيرها من القراءة الصحيحة ، وقال : "وركب هذا المحذور ابن جرير بعد الثلاثمائة وقد عدّ ذلك من سقطات ابن جرير".[(٥)]

- ومع ذلك فإن عصر الطبري -رحمه الله- يختلف عن المراحل المتأخرة في النظر إلى القراءة السبعية ، أو القراءة الصحيحة والشاذة ، ويجب أن يُحمل كلام العلماء على المرحلة التي كتب فيها ، ولا يحكم على متقدّم بما استقرّ عند المتأخّر ، فكان اختيار ابن جرير في وقته وترجيحه مناسباً لمرحلته التي هو فيها ، أو يقال : إن الخطأ منه أخف وأسهل مِن خطأ مَن أتوا بعده ، بعد أن ركنت النفوس إلى القراءات السبع والعشر .

---

(١) هو أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ثم الدمشقي ، قيل له أبو شامة : لأن فوق حاجبه شامة كبيرة، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، شافعي مقرئ نحوي لغوي ، أتقن القراءة على علم الدين السخاوي، ألف شرح الشاطبية ، وشرح المفصل للزمخشري ، توفي بدمشق سنة خمس وستين وستمائة . انظر معرفة القراء الكبار (٦٧٣/٢) ، وغاية النهاية (٣٦٥/١)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢٦٣/١)،وشذرات الذهب (٣١٨/٥).

(٢) المرشد الوجيز صفحة (١٦١-١٦٢) ، وانظر الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة ، صفحة (٣٣-٣٥) ، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي .

(٣) هو أبو الخير ، محمد بن محمد الجزري ، من كبار علماء القراءات ، وصنف فيها النشر ، وغاية النهاية في طبقات القراء ، كانت له رحلات لطلب القراءة ، وتوفي بشيراز سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . انظر مقدمة النشر (١/د-ز) .

(٤) وهي قراءته قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَٰدَهُمْ شُرَكَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] . انظر النشر (٢٦٤/٢) .

(٥) النشر (٢٦٤/٢) .

لقد انتهى الإمام الطبري –رحمه الله– من تأليف كتابه –للمرة الأولى – عام سبعين ومائتين ، والمرة الثانية كانت تسعين ومائتين ، وكان ابن مجاهد أول من سبع السبعة عام الثلاثمائة [(١)] ، و لم يستقرّ العمل على فعل ابن مجاهد ، الذي سار على اختيار هؤلاء القراء إلا بعد زمن من تأليف كتابه .

أما إذا كان الأمر في ردّ القراءة واضحاً عياناً بياناً ، فإن هذا موضع اجتهاد منه –رحمه الله– وكلّ يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله –ﷺ–، وقد يكون أيضاً لعدم وقوفه على القراءة من هذا الوجه ، وقد تبين أنه ليس للطبري سند لقراءة حفص عن عاصم ، حيث قال في قوله تعالى : ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٦] :"ولا يجوز النصب في القراءة ؛ لإجماع قراء الأمصار على رفعها ، ولا قارئ قرأ كذلك بالنصب ، وإن كان للنصب في العربية وجه".[(٢)]

–الإمام الطبري –رحمه الله– عالم في القراءات كبير ، بل وله مؤلّف ضخم لم يؤلف مثله ، وقد اختار نيفاً وعشرين من القراء ، وكان الاختيار بين القراء من عادهم ، قال فيه ياقوت : "واختار منها قراءة لم يخرج فيها عن المشهور "[(٣)]

---

(١) انظر المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز صفحة (١٦٠) لأبي شامة ، تحقيق طيار آلتي قولاج ، وانظر صفحة (٤٦-٤٧) من هذا البحث .

(٢) جامع البيان(٢٣١/١٢) ، وانظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيار صفحة (٣٢١) وما بعدها، ومن قراءة حفص و لم ينسبها الطبري لحفص : ﴿لِمَهْلِكِهِم ﴾ [الكهف: ٥٩] جامع البيان (٢٤٤/٨-٢٤٥)، و﴿ تُسَٰقِطْ ﴾ [مريم: ٢٥] جامع البيان (٣٣١/٨)، و{الرهب} في القصص ٣٢ جامع البيان (٧٠/١٠)، و ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٣] جامع البيان (٢٧٠/١٠)، و﴿فَأَطَّلِعَ ﴾ [غافر: ٣٧] جامع البيان (٦١/١١) .

(٣) معجم الأدباء (٤٥/١٨) .

وقد نسب المنتوري ت٨٣٤ في كتابه شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأة نافع ٨٦٤/٢ إلى الطبري من كتابه الجامع قوله :"كل من اختار حرفا من المقبولين من الأئمة المشهورين بالسنة والاقتداء بمن مضى من علماء الشريعة راعى في اختياره: الرواية أولاً ، ثم موافقة المصحف الإمام ثانياً ، ثم العربية ثالثاً ، فمن لم يراع الأشياء الثلاثة في اختياره لم يقبل اختياره ، و لم يتداوله أهل السنة والجماعة ". كما بين الباحث زيد بن علي مهارش في رسالته : "منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره "أن الطبري سار على هذا المنهج تحت باب :"ضوابط اختيار القراءة عند الطبري ". وانظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للطيار صفحة ٣١٦-٣١٧ .

- لقد جلس الإمام الطبري –رحمه الله- للإقراء ، وأخذ التلاميذ عنه اختياراته ، وممن قرأ عليه ابن مجاهد ، وغيره من الأئمة الأثبات ، فلو كان الطبري أنكر شيئا متواتراً لما سكتوا عنه ، خاصة ابن مجاهد ، الذي أوقف ابن شنبوذ [١] في قراءته بالشواذ ، المروية عن بعض الصحابة ، وإن خالفت الرسم ، حتى رجع عن ذلك ، وأوقف محمد بن الحسن –المعروف بابن مقسَم[٢] – عن إجازته القراءة بما وافق العربية والرسم ، وإن لم يكن نقل عن السابقين ، وكان يناقش في كتابه : "السبعة " : الرواية ، والأقوال ،[٣] فكيف يسكت عن شيخه إن كان منه ما ادعي عليه ؟ .

- لقد كان الإمام ابن مجاهد يجلّ الإمام الطبري إجلالاً كبيراً ومن ذلك : وقوفه بباب مسجد محمد بن جرير ، ابن جرير يقرأ سورة الرحمن ، فاستمع قراءته طويلاً، ثم انصرف ، فقيل له: يا أستاذ:تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا ؟ . فقال : ما ظننت أن الله -تعالى- خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة .[٤]

وقال ابن كامل : " قال لنا أبو بكر بن مجاهد – وقد ذكر فضل كتابه في القراءات – وقال :

---

(١) هو أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ ، شيخ المقرئين بالعراق مع ابن مجاهد ، أكثر الترحال في الطلب ، كان إماماً صدوقاً أميناً كبير القدر ، كان يرى جواز القراءة إذا صح السند وإن خالف رسم المصحف الإمام ، وعزِّر لذلك وبولغ في التعزير ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، والمسألة مختلف فيها في الجملة، قال أبو شامة : كان الرفق بابن شنبوذ أولى وكان اعتقاله وإغلاظ القول له كافياً ، وليس كان بمصيب فيما ذهب إليه، لكن أخطاؤه في واقعة لا تسقط حقه من حرمة أهل القرآن والعلم ، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٢٦٤) ، ومعرفة القراء الكبار (١/٢٧٦) ، وغاية النهاية (٢/٥٢) .

(٢) هو محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب ، المقرئ النحوي البغدادي ، ولد سنة خمس وستين ومائتين ، كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب ، تكلموا فيه ، ووثّقه الخطيب ، له : الأنوار في علوم القرآن ، ومدخل إلى علم الشعر ، كان يرى القراءة بما وافق المصحف وإن خالف النقل ، وأوقف ورجع عن ذلك ، مات بعد الخمسين وثلاثمائة ، قيل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . انظر معرفة القراء الكبار (١/٣٠٦) ، وغاية النهاية (٢/١٢٣) .

(٣) انظر مقدمة شوقي ضيف على كتاب السبعة الصفحات (١٥-١٦و٢٦-٣٣) ، ومن مواضع مناقشة ابن مجاهد للقراء : آية (٧٦) من الكهف ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ في صفحة (٣٩٦) وغيرها .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٢/١٦٤) .

إلا أنّي وجدتُ فيه غلطاً ، وذكره لي ، وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها ، ثمّ قال : والعلّة في ذلك أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ؛ لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عُبيد فأَغفل أبو عُبيدٍ هذا الحرف فنقل أبو جعفر على ذلك."[١].

قال مكي-رحمه الله –[٢]:" قد ترك أبو حاتم [٣] وغيره ، ذِكر حمزة[٤] ، والكسائي[٥] ، وابن عامر[٦] ، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة، وكذلك

---

(١) معجم الأدباء (٦٧/١٨) .

(٢) هو أبو محمد ، مكي بن أبي طالب واسم ابن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي ، ولد سنة خمس وخمسين ومائتين، نحوي مقرئ ، وله اختيار في القراءة ، أكثر من التأليف في علوم القرآن ومن مؤلفاته : تفسير الهداية ، ومشكل إعراب القرآن ، والتبصرة في القراءات السبع ، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . انظر غاية النهاية (٣٠٩/٢) ، وبغية الوعاة (٢٩٨/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٣١/٢) ، والديباج المذهب (٣٤٢/٢) .

(٣) هو أبو حاتم ، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض ، عرض على يعقوب الحضرمي وسعيد بن أنس ، صاحب المصنفات ، توفي خمس وخمسين ومائتين . انظر معرفة القراء الكبار (٢١٩/١) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (٣٢٠/١) .

(٤) هو أبو عمارة ، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي ، مولاهم المعروف بالزيات ؛ كان يحمل الزيت من الكوفة إلى حلوان ، ولد سنة ثمانين ، أدرك الصحابة بالسن ، ويحتمل أنه رأى بعضهم ، عالم بالقراءة والفرائض والحديث ، وهو أحد القراء السبعة ، قرأ عليه الكسائي ، من مصنفاته : كتاب قراءة حمزة ، وكتاب الفرائض ، توفي بحلوان ، سنة ست وخمسين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر معرفة القراء الكبار (١١١/١) ، وغاية النهاية (٢٦١/١)

(٥) هو أبو الحسن ، علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان ، الأسدي بالولاء الكوفي الكسائي ؛ لأنه –على الصحيح-أحرم في كساء ، إمام في النحو واللغة والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة ، قال الشافعي : من أراد أن يتبحّر في النحو فهو عيال على الكسائي ، ومن مؤلفاته : معاني القرآن ، ومختصر في النحو ، ومقطوع القرآن وموصوله ، سكن بغداد ، وتوفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر المعارف صفحة (٥٤٥) ، ومعرفة القراء الكبار (١٢٠/١) ، وغاية النهاية (٥٣٥/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٩٩/١) .

(٦) هو أبو عمران ، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، ولد سنة ثمان ، من التابعين ، أحد القراء السبعة ، إمام أهل الشام في القراءة ، تولى قضاء دمشق وإمامة جامعها ، توفي يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة . انظر معرفة القراء الكبار (٨٢/١) ، وغاية النهاية (٤٢٣/١) ، ومقدمة محقق إتحاف فضلاء البشر (٢٣/١) .

زاد الطبري في كتـــاب القراءات عن هؤلاء السبعة ، نحو خمسة عشر رجلاً..."(١).

الواجب في الاختيار بين القراءات الصحيحة أن يكون على وجه لا يتعدّى إلى تضعيف القراءة الأخرى : فقد نقل **الزركشي –رحمه الله–** أقوال أهل العلم في ذلك ، ومنهم **أبو شامة –رحمه الله– حيث يقول** : " وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسيـــر من الترجيح بين قراءة : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٤] و{**مَلِكِ**} ، حتى إن بعضهم يبالغ إلى حدٍّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ، واتصاف الرب -تعالى- بهما . ثم قال : حتى إني أصلي بهـــذه في ركعة وبهذه في ركعة".(٢)

-التواتر في الخبر قد يحصل عند قوم دون قوم : وتأمل إنكار أبي عمرو(٣) قراءة الكســـائي : **قال السخاوي(٤) –رحمه الله–: " قال محمد بن صالح(٥)** : سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو(٦): كيـــف تقرأ : ﴿ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ۝ ﴾ [الفجر: ٢٥ - ٢٦] **قال: ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ فقال له**

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات صفحة (٦-٧) لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٤٩٠-٤٩١) .

(٣) هو أبو عمرو ، زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي ، وقيل اسمه يحيى ، عالم بالقراءات والعربية ، وهو أحـــد القرء السبعة ، قرأ على مجاهد ، وابن جبير ، ولد بمكة سنة سبعين ، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة . انظر معرفة القرء الكبار (١/١٠٠) ، وغاية النهاية (١/٢٨٨) ، والنشر (١/١٣٤) .

(٤) هو جمال القراء ، علم الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد السخاوي ، نسبة إلى بلـــدة ســـخا بمصر ، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة ، شافعي مقرئ مفسر نحوي لغوي ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ، لـــه شرح على الشاطبية ، وكتاب جمال القراء ، توفي بدمشق سنة ثلاث وأربعين وســـتمائة . انظـــر ســـير أعـــلام النـــبلاء (٢٣/١٢٢) ، ومعرفة القراء الكبار (٢/٦٣١) ، وغاية النهاية (١/٥٦٨) ، وبغية الوعاة (٢/١٩٢) .

(٥) هو أبو إسحاق ، محمد بن صالح المري البصري الخياط ، روى عنه الداني . انظر غاية النهاية (٢/١٥٥-١٥٦) .

(٦) هو أبو عمرو ، عثمان بن سعيد بن عمر الأموي ، مولاهم القرطبي المالكي ، الداني ؛ لنزوله بدانية ، ولد ثلاثمائة وإحـــدى وسبعين ، له مصنفات حسنة ، منها : "جامع البيان "في القراءات السبع ، وإيجاز البيان ، والوقف والابتـــداء ، وطبقـــات القراء وأخبارهم ، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة . انظر معرفة القراء الكبار (١/٤٠٦) ، وغاية النهاية (١/٥٠٣) .

الرجل : كيف وقد جاء عن النبي -ﷺ- : { لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ } [(١)]؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال : سمعت النبي -ﷺ- ما أخذته عنه ، وتدري لم ذاك ؟ ؛ لأني أتّـهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة ، **ثم قال السخاوي معلقاً** : "وقراءة الفتح : ثانية أيضاً بالتواتر[(٢)] ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو ؛ لأنها لم تبلغه على وجه التواتر". [(٣)]

- شروط القراءة الصحيحة عند ابن جرير -رحمه الله- ترجع إلى : الرواية المستفيضة وليس صحة الإسناد فقط ، وموافقة الرسم العثماني للمصحف ، وموافقة العربية [(٤)] ، وقد يرد القراءة لعدم صحة الإسناد [(٥)].

وكثيراً ما يعوّل ابن جرير -رحمه الله- في ردّ بعض القراءات على ما سبق : فهو يردّ بعضها لأجل مخالفته إجماع الحجة من القراء ، ومنهج ابن جرير في الإجماع : عدم الاعتداد بمخالفة الواحد والاثنين ، أو مخالفتها القراءة المستفيضة [(٦)].

ويردّ بعضها لمخالفة مرسوم المصاحف [(٧)]، أو عدم موافقة الفصيح من اللغة [(٨)]، وقد يجتمع في

---

(١) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال والثاء ، والباقون بكسر الذال والثاء . انظر المبسوط في القراءات العشر صفحة (٤٠٨) ، وحجة القراءات لابن زنجلة صفحة (٧٦٣) .

(٢) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال {يُعَذَّبُ} ، والثاء من {يُوثَقُ} ، والباقون بكسرهما . إتحاف فضلاء البشر (٦٠٩/٢) .

(٣) جمال القراء (٢٣٥/١) لعلم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب .

(٤) انظر النحو وكتب التفسير (٦٢٥/١) للدكتور إبراهيم عبد الله رفيده .

(٥) البقرة (١٠٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ الآية جامع البيان (٥١٨/١) .

(٦) انظر البقرة (٣٧) ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨١/١) ، والأنعام (١٣٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٣/٥) ، ومريم (١٩) ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (٣٢١/٨) .

(٧) انظر قراءة عاصم في الأنبياء (٨٨) ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ جامع البيان (٧٩/٩) ، وانظر التوبة (١١٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ جامع البيان (٥١٠/٦) .

(٨) انظر الأنعام (١٣٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ

في بعض القراءات أكثر من سبب لتضعيفها [١].

وقد بحثت عن أقوى عبارة في ردّ القراءة عند ابن جرير –رحمه الله– وهي قوله : وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها أو لا أستجيز القراءة بخلافها ، عن طريق الحاسب بكلمة "أستجيز" فوجدتها في خمسة وخمسين موضعاً منها موضع في التأويل أنكر فيه على ابن زيد –رحمه الله– مخالفته أهل التأويل ، ولا يستجيز القول بهذا المعنى [٢] ، وأما بقية المواضع فهي متعلقة بالقراءات ، يذكر في أغلبها قراءات تعتبر شاذة إسناداً ، أو مخالفة للرسم ، أو ضعيفة في العربية ، منسوبة لبعض الصحابة كابن مسعود وابن عباس –رضي الله عنهم – ومجاهد والحسن وأبي عبد الرحمن السلمي –رحمهم الله– ونحوهم ، ويردّها مستدلاً بإجماع القراء على خلافها ، أو مخالفتها رسوم المصاحف ، وأحياناً يقول : بصحة تأويلها أمّا القراءة بها فلا تجوز ، أو أنها في العربية غلط ، أو أنها تخالف ما عليه قراء الأمصار ، ويقول معللاً في ردها : لإجماع القراء على خلافها،وما أجمعت عليه فلا يجوز خلافها فيه، ونحو ذلك.[٣]

=

عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٣/٥) ، والأعراف (١٥٠) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾الآية جامع البيان(٧٠/٦)،ويونس (١٦) ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾الآية جامع البيان(٥٤١/٦)،وهود(٧٨) ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الآية جامع البيان (٨٤/٧) .

(١) انظر الفرقان (١٨) .

(٢) انظر طه (٦٣)﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ جامع البيان (٤٣٠/٨) .

(٣) انظر يوسف (٣١) ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٧/٧) ، المواضع التي ردّ فيها ابن جرير –رحمه الله– القراءة بعبارة : "أستجيز " بقوله : وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها ، أو لا أستجيز القراءة بخلافها ونحو ذلك ، من خلال بحث الحاسب بكلمة "أستجيز" وجدتها في أربعة وخمسين موضعاً وهي في : البقرة (١٠٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٥١٨/١)، وآل عمران (١٣) ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٤/٣) ، و(١٩٥) ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٧/٣) ، والنساء (٢٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية جامع البيان (١٩/٤) و(٢٩) ،

=

- مسألة الترجيح بين القراءات موجودة ومعروفة ؛ ويجب على قارئ كلام الإمام ابن جرير وغيره ممن يُذكر أنه يردّ القراءة الصحيحة ، أن يحمل الكلام على أحسن معانيه التي يحتملها ، فأحياناً يقول : والصواب من القراءة عندي ، أو والأولى في ذلك بالصواب وقد يذكر ما يضعف به القـراءة الأخرى ومقصوده تضعيفها عنده من ناحية المعنى .

- هناك مواضع كثيـرة في تفسيـر جامع البيان ، لم يكن فيها ترجيح بين القراءات ، بـل تصحيح لجميعهن ، وكان يعلل ذلك بصحتها عنده ، وسيـرد إشارة لبعض تلك المواضع .

وبعد هذه النقاط المهمة سيجد القارئ الكريم : أن العتَب على الإمام الطبري -رحمه الله- في تضعيف بعض القراءات بعد هذه المقدمة يسيـر ؛ لهذه الأسباب السابقة في هذه النقـاط – ولله الحمد –.

هذا وقد كانت المواضع المستخرجة من جامع البيان ، تنقسم في محتواها إلى تضعيف للقراءة أو تصحيح لها ، فأفردت لكل منهما مبحثاً ، ولا يمكن الفصل بين مواضع المبحثين؛ لأن التصـحيح للشيء تضعيف لغيـره ، والعكس صحيح ، ولكن سأختار من كلام الإمام -رحمه الله- ما يكـون واضحاً في محلّه – إن شاء الله – .

وسيأتي مواضع في التصحيح والتضعيف للقراءات ، وكلها ثابتة صحيحة ، وسأذكر أوجـه ترجيح القراءة الأخرى التي ضعفها الإمام -رحمه الله- قصداً لإظهار إعجاز القرآن وأنه من عنـد الله -عزّ وجلّ- .

و(١١٧) ، والأنعام (٩٩) ، و(١٣٧)، و(١٣٨) ، و(١٥٤) ، والأعراف (٢٠) ، و(١٥٠) ، والتوبة (١٢) ، و(٦٣) ، و(١٠٠) ، و(١١٩)، ويونس (١٦)، وهود (٧٨)، و(١٠٢)، ويوسـف (٣١)، و(٣٣)، و(٤٩)، و(٧٢)، و(١١٠)، والحجر (١٥)، والنحل (٨١)، والإسراء (١٠١)، وطـه (١٥)، و(٣٩)، و(٦٩)، والأنبيـاء (٣٧)، و(٨١)، و(٨٨)، والحج (١٨) ، و(٢٥)، والنور (١٥)، والنمل (٨٢)، والأحزاب (١٣)، و(٥٠)، وسبأ(١٠)، والصافات (٦)، والزمـر (٥٩)، وغافر (٣٧)، والزخرف (٢٣)، و(٥٢)، والأحقاف (٤)، والحجرات (١)، والحشر (٧)، والقيامـة (١)و(١٠)، والإنسان (١٦)، والهمزة (٢).

المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة :

بعد استقراء المواضع وتصنيفها ، تبين أن أسباب ترجيح قراءة على أخرى ، مما له تعلق بالسياق القرآني ، يمكن حصرها في عشرة مطالب ، وسأعرض لها مع الأمثلة الموضحة لها : وهي :

المطلب الأول : طلب اتساق الكلام .

المطلب الثاني : مراعاة رؤوس الآي .

المطلب الثالث : مماثلة آية لها في المعنى من السورة نفسها .

المطلب الرابع : السباق واللحاق لموضع القراءة المرجحة .

المطلب الخامس : ترجيح قراءة لقربها من شيء فتتبع به .

المطلب السادس : ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأن العطف يعني التغاير والتقابل .

المطلب السابع : العطف المرجح للجنس الواحد .

المطلب الثامن : طريقة السورة وأسلوبها .

المطلب التاسع : تصاريف الكلمة تدل على مصدرها في الآية .

المطلب العاشر : دلالة السياق على الإعراب ترجح قراءة .

المطلب الأول : طلب اتساق الكلام :

والترجيح لهذا السبب ، جاء في أربعة مواضع : منها قوله -تعالى- : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال -رحمه الله- : " واختلفت القراء في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ بالتاء ، وهي قراءة عُظْم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب [١] ، بمعنى : قال لهم : لتبيننه للناس ولا تكتمونه،وقرأ ذلك آخرون : { لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ } بالياء جميعاً على وجه الخبر عن الغائب [٢] ؛ لأنهم في وقت إخبار الله نبيه -ﷺ- بذلك عنهم كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب.

والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان صحيحة وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفتي المعاني ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك، غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إليّ أن أقرأ بها : { لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ } بالياء جميعاً ، استدلالاً بقوله : ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أنه إذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب ، على سبيل قوله : ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ حتى يكون متّسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد ، ولو كان الأول بمعنى الخطاب لكان أن يقال : فنبذتموه وراء ظهوركم ، أولى من أن يقال : فنبذوه وراء ظهورهم ." [٣]

---

(١) قرأ بها : نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب برواية رويس وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٥٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٩٧/١) .

(٢) قرأ بها : ابن كثير وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب برواية روح وزيد . انظر المبسوط صفحة (١٥٠)، وإتحاف فضلاء البشر (٤٩٧/١) .

(٣) جامع البيان (٥٤٥/٣) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (١٠٦) ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ الآية جامع البيان (٥٢٣/١-٥٢٥) ، والنساء (٢٥) ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية جامع البيان (٢٤/٤) ، والأنفال (١١) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم
=

فتلاحظ هنا الترجيح غير مضعف للقراءة الأخرى ، وليس ردًّا لها ، وإنما اختيار الأَولى منهما ، طلباً لاتساق الكلام ، وسيره على نسق واحد في الآية .

وللقراءة الأخرى بالتاء توجيهها : **كما قال الإمام مكي بن أبي طالب –رحمه الله–** : فقد حملت على الخطاب كما قال الله –تعالى– : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ** ﴾[آل عمران: ٨١]. فرجع إلى الخطاب ولو حُمِل على ما قبله لقال : آتيتهم ، وفي القراءة بالتاء : معنى توكيد الأمر ؛ لأن التاء للمواجهة ، فتقديره : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقال لهم : لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، وهو الاختيار ؛ لما فيه من معنى التوكيد ؛ ولأن أكثر القراء عليه ، والقراءة بالياء حسنة قوية مختارة أيضاً ، لكن نفسي تميل إلى الجماعة، لاسيّما إذا كان فيهم أهل المدينة ." (١)

=

بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ﴾ جامع البيان (١٩٣/٦) .

(١) انظر كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٧١/١) ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق محيي الدين رمضان ١٣٩٤هـ .

المطلب الثاني : مراعاة رؤوس الآي :

والترجيح بين القراءات بهذا السبب ورد في الجزأين الأخيرين من القرآن فقط ، عند ابن جرير الطبري -رحمه الله- ومن أمثلته قوله -تعالى- : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان: ٤] وقوله -تعالى- : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦] **قال -رحمه الله-** : " واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿قَوَارِيرَا۟﴾ ، و ﴿سَلَٰسِلَا۟﴾ ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة غير حمزة : {سَلَاسِلًا} و {قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا} بإثبات الألف والتنوين ، وكذلك هي في مصاحفهم[(١)] ، وكان حمزة يُسْقط الألِفات من ذلك كله ، ولا يجري شيئاً منه [(٢)] ، وكان أبو عمرو يُثبت الألف في الأولى من ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ ، ولا يثبتها في الثانية [(٣)] ، وكلّ ذلك عندنا صواب ، غير أن الذي ذَكَرت عن أبي عمرو أعجبهما إليّ ، وذلك أن الأوّل من القوارير رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رؤوس آيات السورة أعجب إليّ ، إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها ." [(٤)]

وفي هذا المثال ذكر أن القراءات كلها صواب ، ولكن الأعجب والأحسن عنده ما يناسب رؤوس الآي ، وهذا اختيار لا حرج عليه فيه ؛ لقوله بصحتهما .

---

(١) وهم : أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم والكسائي بالتنوين ، وإذا وقفوا وقفوا عليها بالألف ، وقرأ ابن كثير وخلف ﴿سَلَٰسِلَا۟﴾ الثانية ، و﴿قَوَارِيرَا۟﴾ الثانية ، بغير تنوين فيهما والوقف عليها بغير ألف . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) وانظر كتاب السبعة صفحة (٦٦٣) .

(٢) يجري أي : ينوّن ، وقرأ مثله يعقوب . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) ، ورجحه ابن جرير بسياق الآيات .

(٣) وقرأ بها أبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) .

(٤) جامع البيان (٣٦٦/١٢) . وانظر بقية المواضع في : النازعات (١١) ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ جامع البيان (٤٢٨/١٢)، والفجر (٤) ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ جامع البيان (٥٦٤/١٢) ، والشمس (٢) ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ و(٦) ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ و(١١) ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ جامع البيان (٦٠٥/١٢) ، ونحوها مما أصله واو هل يمال؟ جامع البيان (٦٠٧/١٢-٦٠٨) .

المطلب الثالث: مماثلة آية لها في المعنى من السورة نفسها:

كما في قوله -تعالى- : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧]... ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال أبو جعفر :"...اختلفت القرأة في قراءة قوله : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة : { وَكَفَلَهَا } مخففة الفاء (١)، بمعنى : ضمها زكريّا إليه ، اعتباراً بقول الله -عزّ وجلّ- : ﴿يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] ، وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بمعنى : وكفّلها الله زكريا (٢).

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي : قراءة من قرأ : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ مشددة الفاء ، بمعنى : وكفّلها الله زكريا ، بمعنى : وضمها الله إليه ؛ لأن زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه ، بالقرعة التي أخرجها الله له ، والآية التي أظهرها لخصومه فيها، فجعله بها أولى منهم ، إذ قرع فيها من شاحّه فيها . وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم إذ تنازعوا فيها : أيهم تكون عنده ؟ ، تساهموا بقداحهم ، فرموا بها في نهر الأردن، فقال بعض أهل العلم : ارتَزّ قَدَحُ زكريا ، فقام ولم يجر به الماء ، وجرى بقداح الآخرين الماء ، فجعل الله ذلك لزكريا عليها ، أنه أحقّ المتنازعين فيها . وقال آخرون : بل اصّاعد قدح زكريا في النهر ، وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت ، فكان ذلك له علماً من الله في أنه أولى القوم بها .

قال أبو جعفر : وأيّ الأمرين كان من ذلك ، فلا شكّ أن ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها ، وإذْ كان ذلك كذلك ، فإنما ضمّها زكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه، بقضائه له بها على خصومه عند تشاحّهم فيها ، واختصامهم في أولاهم بها . وإذْ كان ذلك كذلك

---

(١) وقرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن وأبو عمرو ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٤٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٧٥/١) .

(٢) قرأ بها : حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٤٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٧٥/١) .

كان بيّناً أنّ أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد : ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ . وأما ما اعتلّ به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله : ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ، وأن ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله: { وَكَفَلَهَا } فحجة دالة على ضعف احتيال المحتجّ بها ، وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل: كفَّل فلانٌ فلاناً فكفَله فلانٌ ، فكذلك القول في ذلك : ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم ، بتكفيل الله إياه ، بقضائه الذي يقضي بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام ." [(١)]

فرجح –رحمه الله– قراءة التشديد ؛ لأن الله –عزّ وجلّ– جعل كفالة زكريا لمريم بعد إلقائه قلمه استهاماً مع غيره ، فقبل الله منه ، ولم يكن إرادة منه مجردة فقط ، بل الله – سبحانه وتعالى – كفَّلها إياها .

وقد مال مكي –رحمه الله– إلى : اختيار التخفيف ؛ لأن التشديد يرجع إلى التخفيف ؛ لأن الله إذا كفّلها زكريا كفَلها زكريا بأمر الله له ؛ ولأن زكريا إذا كفَلها فعن مشيئة الله وقدرته وإرادته ، فعلى ذلك فالقراءتان متداخلتان ، يقرب بعضهما من بعض .[(٢)]

ومن مثل هذه المعاني المتنوعة في القراءات : يظهر نوعٌ من الإعجاز ، حيث أفادت الكلمة الواحدة بحسب القراءة معنيين مختلفين .[(٣)]

---

(١) جامع البيان (٣/٢٤٠-٢٤١) ، وتحقيق شاكر (٦/٣٤٥) . أما بقية المواضع فهي استشهاد بغير ما في السورة وهي في : النساء (١٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ جامع البيان (٣/٦١٦) ، والنساء (٤٢) ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ جامع البيان (٤/٩٦) ، والأنعام (١٠٥) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ جامع البيان (٥/٣٠٠) ، والنازعات (١٨) ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٢) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣٤٢) .

(٣) انظر حاشية إتحاف فضلاء البشر (١/٤٧٥) .

المطلب الرابع : السباق واللحاق لموضع القراءة المرجحة :

وهو أساس الباب، وعمدة الحديث فيه ، وبيت القصيد منه : وقد يجتمع الاستدلال بالسباق واللحاق في موضع وقد ينفرد أحدهما ، فهنا : ثلاثة أنواع ، وسيكون الحديث عن كل نوع على حدة:

- ١ – دلالة السباق واللحاق على ترجيح قراءة .
- ٢ – دلالة السباق وحده على ترجيح قراءة .
- ٣ – دلالة اللحاق على ترجيح قراءة .

- ١ - دلالة السباق واللحاق على ترجيح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] **قال -رحمه الله-** : "...ثم اختلفت القرأة في قراءة قوله : ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ : فقرأه بعضهم : { قَالَ اعْلَمْ } على معنى الأمر ، بوصل الألف من { اعْلَمْ } ، وجزم الميم منها ، وهي قراءة عامة قرأة أهل الكوفة [١] ، ويذكرون أنها في قراءة عبد الله[٢]: «قيل اعْلَمْ» على وجه الأمر من الله الذي أحيي بعد مماته ، فأُمِر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته، وكذلك رُوي عن ابن عباس...

قال أبو جعفر : فعلى هذا القول تأويل ذلك : فلما تبين له ما تبيّن من أمر الله وقدرته ، قال الله له : اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير . ولو صرف متأول قوله : «قال اعلم» وقد قرأه على

---

(١) قرأ بها : حمزة والكسائي . انظر المبسوط صفحة (١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٤٤٩-٤٥٠) .

(٢) هو : عبد الله بن عباس . انظر الكشف لمكي (١/٣١٢) .

وجه الأمر إلى أنه من قبل المخبر عنه ، بما اقتصّ في هذه الآية من قصته كان وجهاً صحيحاً ، وكان ذلك كما يقول القائل : اعلم أن قد كان كذا وكذا ، على وجه الأمر منه لغيره وهو يعني به نفسه. وقرأ ذلك آخرون : ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به ، بهمز ألف ﴿أَعْلَمُ﴾ وقطعها ورفع الميم . بمعنى : فلما تبين له ما تبيّن من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه ، قال المتبيِّن ذلك: أعلم الآن أنا أن الله على كل شيء قدير ، وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قرأة أهل العراق(١)...

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ : { اعْلَمْ } بوصل الألف وجزم الميم ، على وجه الأمر من الله -تعالى ذكره- للذي قد أحياه بعد مماته، بالأمر بأن يعلم أن الله - الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه ، من إحيائه إياه ، وحماره ، بعد موت مائة عام وبلائه ، حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما ، وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام ، حتى ردّه عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير -على كل شيء قادر كذلك . وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره ؛ لأن ما قبله من الكلام أمر من الله -تعالى ذكره- قولاً للذي أحياه الله بعد مماته وخطاباً له به ، وذلك قوله : ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فلما تبيّن له ذلك جواباً عن مسألته ربه : ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال الله له : اعلم أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت ، على غير ذلك من الأشياء قدير ، كقدرته على ما رأيت وأمثاله ، كما قال -تعالى ذكره- لخليله إبراهيم -ﷺ- ، بعد أن أجابه عن مسألته إياه في قوله : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] : ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى أنه عزيز حكيم ، فكذلك أمر الذي سأل فقال : ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد أن أراه كيفية

---

(١) قرأ بها الباقون وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٤٩/١-٤٥٠) .

إحيائه إياها ، أن يعلم أن الله على كل شيء قدير ." (١)

والسياق الذي استدل به الإمام –رحمه الله– على التفصيل : سباق ، ولحاق : فالسباق : هو ما حصل للرجل من استبعاد إحياء البلدة بعد موتها ، وما جعل الله منه من العبرة ، وقد سأل : ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ . فكان الأولى أن يكون : {أعلم} رداً منه على سؤاله ، وجواباً لله بعد استبعاده قدرة الله ، واللحاق : ما حصل في قصة إبراهيم التالية لها : حيث أمر الله –تعالى– إبراهيم الخليل –ﷺ– فقال له : ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولكن للقراءة بقطع الهمزة توجيه ، بل قد رجحها بعض العلماء ، ومنهم **مكي –رحمه الله– فقد قال** : " والقراءة بالقطع هي الاختيار ؛ لأنه على ظاهر الكلام ، لما تبين له ما كان على شك فيه ، أخبر عن نفسه بالعلم اليقين ." (٢)

وقال ابن زنجلة (٣) في حجّة من قرأ بالقطع : " وهذا الرجل عاين وشاهد ما كان يستفهم عنه، فلا وجه للأمر ." (٤)

وفي قوله –تعالى– : ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرعد: ٤٢] **قال أبو جعفر** : " واختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأته قرأة المدينة وبعض البصرة : { وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ } على التوحيد (٥) ، وأما قرأة الكوفة فإنهم قرأوه : ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ على الجمع (٦).

---

(١) جامع البيان (٣/٤٧-٤٨) ، وتحقيق شاكر (٥/٤٨١) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣١٢-٣١٣) .

(٣) هو أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ ، قاضٍ مالكي ، عاصر أحمد بن فارس ، وروى عنه ، من علماء القرن الرابع ، له حجة القراءات ، وشرف القراء في الوقف والابتداء ، وكتاب في التفسير ، كان حيّاً سنة ثلاث وأربعمائة .
انظر الديباج المذهب ترجمة أحمد بن فارس صفحة (١٦٣) ، ومقدمة محقق كتاب حجة القراءات سعيد الأفغاني .

(٤) انظر حجة القراءات صفحة (١٤٥) ، لأبي زرعة ابن زنجلة .

(٥) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو . انظر المبسوط صفحة (٢١٦) .

(٦) قرأ بها : ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/١٦٣) .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك : القراءة على الجميع : ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ ؛ لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، وأتبع بعده الخبر عنهم ، وذلك قوله : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الرعد: ٤٠] وبعده قوله : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[الرعد: ٤٣] . وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود : «وَسَيَعْلَمُ الكافِرُون» ، وفي قراءة أبيّ : «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا»[١]،وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك ."[٢]

فاحتج الإمام الطبري –رحمه الله– في تصحيح القراءة : بما سبقها من الخبر عن جمع من الكفار في قوله : ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠] ، وبما لحقها أيضاً من القول المنسوب إلى جمع من الكافرين : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ ، فالأولى بما بين هذين الجملتين أن يكون عن جمع أيضاً ، واستأنس بقراءات بعض الصحابة ، وإن كانت شاذة على ما اختاره .[٣]

قال أبو منصور الأزهري [٤] **–رحمه الله–** في توجيه القراءة الأخرى : "من قرأ ﴿ٱلْكَافِرُ﴾

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٢/٢) .

(٢) جامع البيان (٤٠٩/٧) ، وتحقيق شاكر (٤٩٩/١٦) .

(٣) القراءة الشاذة هي ما وراء العشر على الصحيح وهي أنواع : الأول منها : المشهور : وهو ما صح سنده ولم يتواتر ، ووافق الرسم والعربية ، ومثاله : "لقد جاءكم رسول من أنفَسكم " التوبة (١٢٨) انظر إتحاف فضلاء البشر (١٠١/٢) والثاني : قراءة الآحاد وهي قسمان : القسم الأول : ما لم يصح سندها ووافقت الرسم والعربية ، والقسم الثاني : ما خالفت الرسم صح السند أم لم يصح ، والثالث : القراءة المدرجة وهي ما كانت على وجه التفسير ، مثل : قراءة سعد " وله أخ أو أخت من أم " النساء (١٢) والصحيح : أنها ضرب من التفسير لا القراءة . أما الاحتجاج بها فقد اتفق على الاحتجاج بها في الدراسات اللغوية ، ويستعان بها متى صح سندها في تفسير المتواتر ، وفي الأحكام الفقهية : كإيجاب التتابع في صيام كفارة اليمين بزيادة : "متتابعات" في قوله : ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[المائدة: ٨٩] فذهب أبو حنيفة وأحمد والشافعي إلى الاحتجاج بها ؛ لأنها إما قرآن أو خبر وكلاهما موجب للعمل ، وعن أحمد ومالك والشافعي رواية أنها ليست بحجة واختارها الآمدي وابن الحاجب ؛ لاحتمال أنه مذهب ثم نقله قرآنا . (انظر شرح الكوكب المنير (١٣٨/٢-١٤٠) وهو الصحيح فمن المحتمل أنها كانت أول الأمر ، ثم نسخ الحكم مع التلاوة ، وليست كخبر الواحد فخبر الواحد يعمل به إذا لم ينسخ بأثر أو إجماع ، ولم يوجد ما يعارضه . انظر الاختلاف بين القراءات ، لأحمد البيلي صفحة (١١٢-١١٤) .

(٤) هو محمد بن أحمد بن الأزهر ، الهروي الشافعي ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، أحد أئمة اللغة والأدب ، له : تهذيب

وهو أكثر من ﴿ٱلْكُفَّرُ﴾ [-أي : من قرأ بالإفراد أكثر ممن قرأ بالجمع-] أراد به الجنس ، ومنه : كثر الدينار والدرهم ، يـــراد به الكثرة .[١] ونقل : عن أبي عمرو القارئ : أنه عني به أبـــو جهـــل[٢] ، وحجتهم : ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبـأ: ٤٠] ، وسبب الخلاف في هذا الحـــرف ؛ لأن خـــط المصحف الإمام بغيـــر ألف ، وإنما هو {الكفر} ." [٣]

– ٢ – دلالة السباق وحده على ترجيح قراءة :

في قوله -تعالى- : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩] **قال -رحمه الله-**: "... واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة : { وَهُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ } بإضافة فزع إلى اليوم [٤] ، وقرأ ذلك جماعة قرّاء أهل الكوفة : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بتنوين فزع[٥].

والصواب من القول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار متقاربتا المعنى ،

اللغة جمع فيه شتات اللغة ، ومعاني القراءات ، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي يستعملها الفقهـــاء ، ولـــه كتـــاب في التفسير ، وهو من أهل السنة ، ترك الرواية عن ابن دريد تورّعاً ، أُسر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وقت القرامطة ، فعـــاش في البادية ، فكان يتشتّى بالدّهناء ، ويتربع بالصّمّان ، واستفاد من لغتهم ، توفي سنة ســـبعين وثلاثمائـــة وقيـــل إحـــدى وسبعين،وله ثمان وثمانون سنة.انظر سير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦)،وبغية الوعاة (١٩/١)، ووفيات الأعيان (٣٣٤/٤) .

(١) معاني القراءات (٥٩/٢) ، تحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش ، والدكتور عوض بن حمد القوزي .

(٢) هو أبو جهل كما كناه النبي -ﷺ- ، وكانت كنيته أبا الحكم ، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، من دهاة العـــرب ، سوّدته قريش وهو شاب ، فأدخلته دار الندوة مع الكهول ، كان من أشد أعداء الرسالة المحمدية ، قتل يوم بدر كافراً ، في السنة الثانية من الهجرة ، قتله عمرو بن الجموح وابنا عفراء الأنصاريان ، وكانا حدثين ، قال فيه النبي -ﷺ- يـــوم رآه : " هذا فرعون هذه الأمة " رواه أحمد . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٣٣٩/١) ، و(٢٠٦/٢) ، والأعلام (٢٦١/٥) .

(٣) انظر الحجة في القراءات لابن خالوية صفحة (٢٠٢) ، وحجة القراءات لأبي زرعة ابن زنجلة صفحة (٣٧٥) .

(٤) لم ينون ﴿فَزَعٍ﴾ : أبو جعفر ونافع برواية ورش وقالون وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وإسماعيل ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (٢٨٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٦/٢-٣٣٧) .

(٥) قرأ بها : عاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٢٨٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٦/٢-٣٣٧) .

فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الإضافة أعجب إليّ ؛ لأنه فزع معلوم ، وإذا كان ذلك كذلك كان معرفة ، على أن ذلك في سياق قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[النمل: ٨٧] فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه عُني بقوله : ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله . وإذا كان ذلك كذلك ، كان لا شكّ أنه معرفة ، وأن الإضافة إذا كان معرفة به أولى من ترك الإضافة ، وأخرى : أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانةٍ من كلّ أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضف ذلك ، وذلك أنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله ." (١)

وهنا صحح أبو جعفر –رحمه الله– القراءتين ، ولكنه فضل عدم تنوين : ﴿ فَزَعٍ ﴾ ؛ لسببين : الأول : أن الفزع معلوم ، وقد ذكر قبل هذه الآية عند ذكر اليوم الآخر ، في قوله –تعالى– : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[النمل: ٨٧] وهذه الآية في سياقها ، والثاني : أن عدم التنوين أعم في المعنى .

وتوجيه قراءة عدم التنوين : أنها أخف والأكثر من القراء عليها وقد اختارها مكي لذلك . (٢)

---

(١) جامع البيان (١٠/٢٣-٢٤) .

(٢) انظر الكشف (٢/١٧٠) .وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٣٣) ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٠٨) ، وآل عمران (٧٩) ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٢٦) ، و(٨٣) ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٣٣٤) ، و(١١٥) ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ جامع البيان(٣/٤٠٢) ،و(١٤٦)﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٦٠-٤٦١) ، والنساء (١١) ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٢٣) ، و(١٣٦) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٢٩) ، والأنعام (٥٥) ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ جامع البيان (٥/٢٠٨) ، و(٩٩) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٨٩-٢٩٠) ، و(١١٩) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾الآية جامع البيان (٥/٣٢٣) ، والأعراف
=

٣- دلالة اللحاق على ترجيح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]...**قال أبو جعفر** : " واختلفت القرأة في قراءة ذلك: فقرأه بعضهم : ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ ﴾ وذلك قراءة عُظْم أهل الحجاز والبصرة ، بمعنى : إلا أن يخاف الرجل والمرأة أن لا يقيما حدود الله (١) ، وقرأه آخرون من أهل المدينة والكوفة : { إِلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} (٢) . على أن يكون مراداً به إذا قرئ كذلك : إلا أن يُخافا بأن لا يقيما حدود الله ، أو : على أن لا يقيما حدود الله ،...وذلك هو الصواب عندنا من القراءة ؛ لدلالة ما بعده على صحته، وهو قوله : ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ ، فكان بيناً أن الأول بمعنى : إلا أن تخافوا أن لا يقيما

=

(١٤٩) ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٦٤)، والتوبة (١٠٣) ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٤٦٥) ، والرعد(٤) ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٣٨) ، والنحل (١) ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٥٧) ، و(٤٨) ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٩٢) ، والإسراء(١٣) ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٤٨-٤٩) ، وطه (١١٩) ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٤٦٧) ، والحج(٦٢) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ جامع البيان (٩/١٨٣) ، ويس (٦٨) ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٦٠-٤٦١) ، والشورى (٢٥) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٤٧) ، والجاثية (٦) ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٢٥٣-٢٥٤) .

(١) قرأ بها : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٩) .

(٢) قرأ بها الباقون وهم : حمزة وأبو جعفر ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٣٠) .

حدود الله." (١).

فهنا ترى سبب الترجيح بين القراءتين ؛ لدلالة ما بعدها على صحتها ، حيث جاء ذكر الخوف على صيغة الجمع ، مما يرجح أن الخوف – الواقع المستثنى – بالضم الدال على الجمع ، لا بالفتح الدال على الزوجين .

والتحقيق : أن كلا القراءتين لهما دلالة : فالسياق إذا اعتبر باللحاق ، فإن القراءة الأخرى لها ارتباط بالسباق ، حيث أسند الضمير إلى الزوجين المفهومين من السباق .(٢)

وقال أبو منصور الأزهري –رحمه الله– : " الاختيار بفتح الياء ، وهو قراءة أكثر القراء " (٣)، **وعلّل مكيّ –رحمه الله– قراءة الياء** بأنها على الظاهر من الخطاب ؛ والقراءتان حسنتان ؛ فهي من باب الخروج من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة، كقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [يونس: ٢٢] ثم قال : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] ، وكقوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] ثم قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] ، واختار فتح الياء ؛ لأن عليه الجماعة (٤) .

---

(١) جامع البيان (٢/٤٧٤) ، وتحقيق شاكر (٤/٥٥٠) .

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٩) .

(٣) معاني القراءات (١/٢٠٤) .

(٤) انظر الكشف في وجوه القراءات السبع (١/٢٩٥) . وانظر بقية المواضع في : آل عمران (١٢) ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢﴾ جامع البيان (٣/١٩١) ، و(١٦١) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٠٠-٥٠١) ، والمائدة (١١٢) ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٣٠-١٣١) ، والأنعام (١٦) ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ جامع البيان (٥/١٦٠) ، و(٢٣) ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ جامع البيان (٥/١٦٦) ، و(٥٧) { ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٠٩) ،و(٩٨) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨﴾ جامع البيان (٥/٢٨٦) ، و(١٤٥) ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٨٠-٣٨١) ، والإسراء (٧٢) ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ

المطلب الخامس : ترجيح قراءة لقربها من شيء فتتبع به :

كما في قوله -تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة: ٦] قال -رحمه الله- : بعد أن صحح القراءة بنصب اللام وخفضها بل وحسنهما : "فأعجب القراءتين إليّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضاً [(١)] ؛ لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت ؛ ولأنه بعد قوله : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ فالعطف به على الرؤوس مع قربه منه ، أولى من العطف به على الأيدي ، وقد حيل بينه وبينها بقوله : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ " [(٢)].

فلما توالت معطوفات ألحق إعراب الكلمة بما قرب منها ؛ لأنه أولى مما بعد عنها.

وتوجيه القراءة بالنصب : أن تجعل جملة : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ معترضة وهذا من أساليب اللغة العربية ، وقد استعمل في القرآن وورد في آيات [(٣)] ، وقوله : ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ دالّ على الغسل لا

=

سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ جامع البيان (١١٨/٨) ، والكهف(٤٤) ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ جامع البيان (٢٢٨/٨) ، و(٨٥) ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ جامع البيان (٢٧٢/٨) ، و(٩٤) ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ الآية جامع البيان (٢٨٤/٨) ، والفرقان (٨) ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ الآية جامع البيان (٣٦٧/٩) ، والصافات (٥٢) ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ جامع البيان (٤٩٠/١٠-٤٩١) .

(١) قرأ بها أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم -في رواية أبي بكر - وحمزة وخلف ، وبالنصب قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي ويعقوب .انظر المبسوط صفحة(١٦١)،وإتحاف فضلاء البشر (٥٣٠/١-٥٣١) .

(٢) جامع البيان (٤٧١/٤) ، وتحقيق شاكر (٦٤/١٠) .

(٣) منها : قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥] واعترض بقوله : ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥] ثم قال : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] الآية ، فعطف المحصنات على الطيبات وبينهما جملة معترضة . انظر إتحاف فضلاء البشر (٥٣٠/١) مع الحاشية .

المسح .[١]

قال الأزهري –رحمه الله– : في قراءة النصب "وهي أجود القـــراءتين ؛ لموافقتـــها الأخبـــار الصحيحة عن النبي – عليه السلام – في غسل الرجلين ". [٢] .

وجمع السيوطي –رحمه الله– بين القراءتين بحمل قراءة الكسر على المســح علـــى الخفـــين ، والنصب على الغسل ، وقال : " لأن تعددّ القراءات بمنـــزلة تعدد الآيات ." [٣]

---

(١) انظر أثر القراءات في الفقه الإسلامي صفحة (٢٥١-٢١٣) ، للدكتور صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي .

(٢) معاني القراءات (١/٣٢٦) .

(٣) الإكليل في استنباط التـــزيل صفحة (١٠٩) ، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب . وانظر بقية المواضـــع في : البقـــرة (٨٥) ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٤٦) ، وهود (٢٨) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٩) ، و(٤١) ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ جامع البيان (٧/٤٤) ، والحج (٣٩) ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ جامع البيان (٩/١٦٠) ، والنبأ (٣٧) ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤١٤) .

المطلب السادس : ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأن العطف يعني التغاير والتقابل :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح: ١١] قال -رحمه الله-:"...واختلف القرّاء في قراءة قوله : ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ فقرأته قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿ضَرًّا﴾ بفتح الضاد ، بمعنى : الضرّ الذي هو خلاف النفع.[1] وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين : { ضُرًّا } بضم الضاد ، بمعنى البؤس والسّقم .[2]

وأعجب القراءتين إليّ : الفتح في الضاد ، في هذا الموضع ؛ لقوله : ﴿ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ ، فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ ، وإن كانت الأخرى صحيحاً معناها ." [3]

ففي هذا الموضع صحّح معنى القراءتين ، ولكنه اختار منهما : ما قابل الكلمة الأخرى وضادها، وهي القراءة بفتح الضاد من قوله : ﴿ضَرًّا﴾ ، فالنفع يقابله ويضادّه : الضر ، أما البؤس والسقم فلا يقابل النفع .

وتوجيه قراءة الضم : على أن معنى : الضر سوء الحال ، كما قال -تعالى- : ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾[الأنبياء: ٨٤] أي : من سوء حال ، فالمعنى في الآية : إن أراد بكم سوء حال ، أو حسن حال ، وقد قيل بأنهما لغتان ، كالضَّعف والضُّعف ، والفَقر والفُقر .[4]

---

(١) قرأ بها الباقون ، وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (٣٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (٢/٤٨٢) .

(٢) قرأ بها : حمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٣٤٦) .

(٣) جامع البيان (١١/٣٤٠) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٨١) .

المطلب السابع : العطف المرجح للجنس الواحد :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الرحمن: ١٢] **قال -رحمه الله-** : "...واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين : بالرفع عطفاً به على الحبّ ، بمعنى : وفيها الحبّ ذو العصف ، وفيها الريحان أيضا.(١) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين : { وَالرَّيْحَانِ } بالخفض عطفاً به على العصف ، بمعنى : والحبّ ذو العصف وذو الريحان ."(٢)

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالخفض ؛ للعلة التي بينت في تأويله ، وأنه بمعنى الرزق . وأما الذين قرأوه رفعاً ، فإنهم وجّهوا تأويله – فيما أرى – إلى أنه الريحان الذي يشمّ ؛ فلذلك اختاروا الرفع فيه ، وكونه خفضاً بمعنى : وفيها الحبّ ذو الورق والتبن ، وذو الرزق المطعوم ، أولى وأحسن...(٣)

وفي هذا الموضع كان النظر إلى المعنى المناسب للآية دور قوي في الترجيح بين القراءتين ؛ ليحسن العطف فيكون بين أشياء من جنس واحد .

ويمكن توجيه القراءة الأخرى : إلى أنها عطف على المرفوع السابق ، وأن الجماعة من القراء عليه(٤).

---

(١) قرأ بها الباقون وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ، سوى ابن عامر بالنصب . انظر المبسوط صفحة (٣٥٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٢/٥٠٩) ، وذكر الفراء أنها : كذا في مصاحف أهل الشام . انظر معاني القرآن (٣/١١٤) .

(٢) قرأ بها : حمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٣٥٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٢/٥٠٩) .

(٣) جامع البيان (١١/٥٨١) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٩٩) .

المطلب الثامن : طريقة السورة وأسلوبها :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾ [الصافات: ١٣٠] **قال -رحمه الله-**:"...واختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾ فقرأته عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة : **{سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ}** بكسر الألف من إلياسين ، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس ، ويقول : إنه كان يُسمى باسمين : إلياس ، وإلياسين مثل إبراهيم وإبراهام ، يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك ، بأن جميع ما في السورة من قوله : ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ فإنه سلام على النبيّ الذي ذكر دون آله ، فكذلك إلياسين ، إنما هو سلام على إلياس دون آله ... وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة : **{سَلامٌ عَلى آلِ ياسِينَ}** بقطع **{آلِ}** من **{ياسِينَ}** ، فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى : سلام على آل محمد...

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾ بكسر ألفها ، على مثال إدراسين ؛ لأن الله -تعالى ذكره-إنما أخبر عن كلّ موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه -صلوات الله عليهم - في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله ، فكذلك السلام في هذا الموضع ، ينبغي أن يكون على إلياس ، كسلامه على غيره من أنبيائه ، لا على آله..." (١)

وهذا المثال فيه استدلال بعدّة آيات في سورة واحدة ، مما يدل على أنه يستفاد من طريقة السورة في الدلالة على معناها .

ويمكن توجيه القراءة : إلى أن فيها استدلالاً بالرسم العثماني ، حيث فصلت فيه **{آلِ}** عن ﴿يَاسِينَ﴾ (٢) ، ويجوز أن يكون إلياس بلغتين : إلياس وإلياسين ، كما قالوا : ميكال وميكائيل .(٣)

---

(١) جامع البيان (١٠/٥٢٣-٥٢٤) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٢٧) .

(٣) انظر معاني القراءات للأزهري (٢/٣٢٢) .

المطلب التاسع : تصاريف الكلمة تدل على مصدرها في الآية :

ففي قوله -تعالى- : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قال -رحمه الله- : "...ثم اختلفت القرأة في قراءة قوله : ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والبصرة: {غَرْفَةً} بنصب الغين من الغرفة ، بمعنى الغَرفة الواحدة ، من قولك : اغترفت غَرفة ، والغَرْفة هي الفعل [أي : المصدر] بعينه من الاغتراف . **وقرأه آخرون** : بالضم [١]، بمعنى : الماء الذي يصير في كفّ المغترف ، فالغُرْفة الاسم ، والغَرْفة المصدر .

وأعجب القراءتين في ذلك إليّ : ضمّ الغين في الغُرفة ، بمعنى : إلا من اغترف كفّاً من ماء ؛ لاختلاف {غَرْفَةً} إذا فتحت غينها ، وما هي له مصدر ، وذلك أن مصدر : ﴿اغْتَرَفَ﴾ اغترافة ، وإنما {غَرْفَةً} مصدر : غَرَفْت ، فلما كانت : {غَرْفَةً} مخالفة مصدر ﴿اغْتَرَفَ﴾ ، كانت الغُرفة التي بمعنى الاسم -على ما قد وصفنا- أشبه منها بالغَرفة التي هي بمعنى الفعل ." [٢]

فاختار الضم للغين في قوله : ﴿غُرْفَةً﴾ ؛ لأن معها مصدر ﴿اغْتَرَفَ﴾ ، وليس غرف ، يوضّح ذلك قول الكسائي : " لو كان موضع : ﴿اغْتَرَفَ﴾ غرفَ اخترت الفتح ؛ لأنه يخرجُ على فَعْلةٍ، ولما كان ﴿اغْتَرَفَ﴾ لم يخرج على فَعْلةٍ ."[٣]

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح {غَرْفَةً} ، وقرأ الباقون بالضم . انظر المبسوط في القراءات العشر صفحة (١٣٣) ، وحجة القراءات صفحة (١٤٠) .

(٢) جامع البيان (٦٣٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٤٢/٥-٣٤٣) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٠١/٨) وانظر تاج العروس (٣٠٩/٦) فصل الغين من باب الفاء ،وقال أحمد شاكر : في كلام ابن جرير : وهذا تفصيل قلّما تجده في كتب اللغة (٣٤٩/٥) .

المطلب العاشر : دلالة السياق على الإعراب ترجح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥] **قال أبو جعفر** :"...وقد اختلفت القرأة في قراءة قوله : {فَيُضَاعِفُهُ} بالألف ورفعه : بمعنى : الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ، نسق يضاعف على قوله : ﴿يُقْرِضُ﴾[1]. وقرأه آخرون بذلك المعنى : {فَيُضَعِّفُهُ} ، غير أنهم قرأوه بتشديد العين وإسقاط الألف [2]. وقرأه آخرون : ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ بإثبات الألف في يضاعف ، ونصبه بمعنى الاستفهام [3]. فكأنهم تأولوا الكلام : من المقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ؟ . فجعلوا قوله : ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ جواباً للاستفهام...

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراءات عندنا بالصواب : قراءة من قرأ : {فَيُضَاعِفُهُ لَهُ} بإثبات الألف ورفع يضاعف ؛ لأن في قوله : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ معنى الجزاء ، والجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً ، فلذلك كان الرفع في يضاعفُه ، أولى بالصواب عندنا من النصب..." [4]

فجعل معنى الجملة الجزائية مستلزماً لجواب مصحوب بفاء ولا يكون إلا مرفوعاً .

وتوجيه القراءة الأخرى كما قال الأزهري –رحمه الله- : بجواز النصب على تقدير جواب الاستفهام بالفاء .[5]

---

(١) قرأ بها : أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣١) وكتاب السبعة صفحة (١٨٥).

(٢) قرأ بها : أبو جعفر وابن كثير وروح عن يعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٣١) ، وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٣) قرأ بها : عاصم وحده . انظر المبسوط صفحة (١٣١) ، وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٤) جامع البيان (٦٠٨/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٨٧/٥) .

(٥) انظر معاني القراءات للأزهري (٢١١/١) .

المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة أو ردها ومناقشة ذلك :

لقد كان للإمام الطبري –رحمه الله– طريقته في التعامل مع القراءات المتعددة ، ومن طرقه مراعاة السياق القرآني للآيات،وقد يحكم على القراءة بأنها ضعيفة أو مردودة .

وسأعرض الأسباب التي يضعف بها القراءة حال مراعاة السياق ، وسأمثل لها ، من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : أن يكون السياق بالقراءة لا معنى له .

المطلب الثاني : أن يلزم من معنى القراءة التكرار أو التناقض .

المطلب الثالث : أن يلزم من القراءة لبس المعنى .

المطلب الرابع : أن يضعِّف السباق واللحاق القراءة .

المطلب الأول : أن يكون السياق بالقراءة لا معنى له :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٤] **قال أبو جعفر** : " وأولى التأويلين بالآية ، وأصحّ القراءتين في التلاوة عندي ، التأويل الأول ، وهي : قراءة من قرأ { مَلِكِ } بمعنى : المُلْك[1] ؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجاباً لانفراده بالمِلك ، وفضيلة زيادة المَلِك على المالك ، إذ كان معلوماً أن لا ملِك إلا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا مَلِكاً. وبعد : فإن الله –جلّ ذِكْرُه –قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ ، أنه مالك جميع العالمين وسيدهم ، ومصلحهم والناظر لهم ، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة ، بقوله : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣] وإذْ كان –جلّ ذِكْرُه – قد أنبأهم عن مُلْكِهِ إياهم كذلك بقوله : ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فأولى الصفات من صفاته -جلّ ذِكْرُه- ، أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة ، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة ، وكان في إعادة وصفه -جلّ ذِكْرُه- بأنه : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ ، إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله : ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين . وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعانٍ متفقة ، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدة به إليها حاجة . والذي لم يحوه من صفاته -جلّ ذِكْرُه- ما قبل قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ المعنى الذي في قوله : **{مَلِك يَوْمِ الدّينِ}**، وهو وصفه بأنه المَلِك . فبيِّنٌ إذاً أنّ أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب : قراءة من قرأه : **{مَلِك يَوْمِ الدّينِ}** ، بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ الذي بمعنى : أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء ، متفرّداً به دون سائر خلقه ." [2]

وقد ضعّف ابن جرير –رحمه الله- القراءة التي ذكر أنه يلزم منها تكرار بلا فائدة، وأن

---

(١) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة ، وقرأ {مالك} بالألف : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف وروي عن الكسائي إجازة الوجهين . انظر المبسوط صفحة (٨٣) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٦٣/١) .

(٢) جامع البيان (٩٤/١-٩٦) ، وتحقيق شاكر (١٤٩/١-١٥٠) .

الأحسن والأولى في القراءة أن تفيد معنى جديداً .

ولكن الصواب ما قال أبو منصور الأزهري -رحمه الله- : " القراءتان كلتاهما ثابت بالسنة"(١) . وأما القراءة بالألف فتوجيهها أنها أتمّ في المعنى ؛ ولذلك اختارها الأزهري -رحمه الله- ويشبهها على معناها قوله -تعالى- : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والصحيح : "أن كل ما قيل في توجيه القراءتين من أقوال ، صحيح ومسلم به ، وكله ثابت لله -تبارك وتعالى- ، فهو المالك ، وهو الملك ، وهو الذي بيده كل شيء ، فكل قراءة تفيد معنى قد لا تفيده القراءة الأخرى ؛ ولذلك يقول بعض العلماء : إن كل قراءة تعتبر حجة مستقلة ، ومعجزة دالة على صدق رسول الله -ﷺ- فيما بلغه عن ربه -جل وعلا - ".(٢)

---

(١) معاني القراءات للأزهري (١/١١٠) .

(٢) حاشية إتحاف فضلاء البشر (١/٣٦٤) تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، وراجع مقدمة هذا الفصل صفحة (٣٥٠-٣٥٩) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية جامع البيان (٢/٧٢) ، والمائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٣٤) ، والأنفال (٩) ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ جامع البيان (٦/١٩١) ، والنحل (٣٧) ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٣٧ ﴾ جامع البيان (٧/٥٨٣) ، ومريم (٦) ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ جامع البيان (٨/٣٠٩) ، ويس (١٤) ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٣١) ، والحديد (١٣) ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧٧) ، والقدر (٥) ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ جامع البيان (١٢/٦٥٤) .

المطلب الثاني: أن يلزم من معنى القراءة التكرار أو التناقض :

١- مثال توهم لزوم تكرار لا معنى له :

قوله -تعالى- : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦] ... ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ قال أبو جعفر : " اختلف القرأة في قراءة ذلك : فقرأته عامتهم: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بتشديد اللام[١] ، بمعنى : استزلهما ، من قولك : زلّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزلّه غيره : إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو دنياه ؛ ولذلك أضاف الله -تعالى ذكره-إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة، فقال : ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ يعني : إبليس ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ؛ لأنه كان الذي سبب لهما الخطيئة، التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة . وقرأه آخرون : {فَأَزَالَهُمَا}[٢]، بمعنى : إزالة الشيء عن الشيء ، وذلك تنحيته عنه...

وأولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ ؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- قد أخبر في الحرف الذي يتلوه ، بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله: {فَأَزَالَهُمَا} ، فلا وجه - إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج - أن يقال : {فَأَزَالَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} ، فيكون كقوله : فأزالهما الشيطان عنها ، فأزالهما مما كانا فيه ، ولكن المفهوم أن يقال : فاستزلّهما إبليس عن طاعة الله ، كما قال -جلّ ثناؤه- : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وقرأت به القراء ، فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة ." [٣]

فقد استدل بذكر الإخراج من الجنة في الجملة اللاحقة في قوله : ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ على أن القراءة الصحيحة لكلمة : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ السابقة بغير ألف ؛ لأنه لا يتكرر معها المعنى في الآية .[٤]

---

(١) قراءة الجميع غير حمزة . انظر المبسوط صفحة (١١٦) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٨٨/١) .

(٢) قرأ بها : حمزة وحده ، انظر المرجعين السابقين .

(٣) جامع البيان (٢٧٢/١-٢٧٣) ، وتحقيق شاكر (٥٢٤/١) .

(٤) ومثله : إذا لزم من القراءة إضافة الشيء إلى نفسه : كما في المائدة (٩٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ الآية -

قال مكي -رحمه الله- في توجيه القراءة الأخرى : " ووجه القراءة بالألف : أنها مضادة لمعنى ما قبلها ، وهو قوله لآدم : ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ، فأمرهما بالثبات في الجنة ، وضد الثبات الزوال ، فسعى إبليس فأزالهما بالمعصية ، عن المكان الذي أمرهما الله بالثبات فيه بالطاعة ، فكان الزوال به أليق ؛ لما ذكر ، وأيضاً : هو مطابق لما بعده في المعنى ؛ لأن بعده : ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ . "[1]

٢- مثال توهم لزوم تناقض وتعارض :

ما قال ابن جرير -رحمه الله- في قوله -تعالى- : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ [البقرة: ٩] : "...وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خداع المنافق ربه وأهل الإيمان به ، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها ، لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب ، فالواجب إذاً أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ دون : {وَما يُخَادِعُونَ}[2] ؛ لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ، ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة . ولا شكّ أن المنافق قد أوجب خديعة الله -عزّ وجلّ- لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه ، فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ . ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ : {وَما يُخَادِعُونَ} أن الله -جلّ ثناؤه- قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحالٌ أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ؛ لأن ذلك تضادّ في المعنى ، وذلك غير جائز من الله -جلّ وعزّ - ."[3]

=

جامع البيان (٥/٤٤-٤٥و٥١) .

(١) الكشف لمكي (١/٢٣٥-٢٣٦) .

(٢) قرأ ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ : أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ {يُخَادِعون} نافع وابن كثير وأبو عمرو . انظر المبسوط صفحة (١١٥) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٣٧٧) .

(٣) جامع البيان (١/١٥٢-١٥٣) ، وتحقيق شاكر (١/٢٧٧) .

فلما كان في إثبات الألف في قوله : **{وَما يُخَادِعُونَ}** ما يوجب نفي ما أثبت في أول الآية في قوله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ كان الحكم على القراءة بالضعف، وقد أجيب عن أسباب تضعيف الإمام –رحمه الله- للقراءة المتواترة أول الفصل .[١]

وتوجيه القراءة بالألف : **كما قال مكي –رحمه الله–** : أن القراءتين على معنى واحد ، من فاعل واحد [٢] ، بل قال بعضهم : إذا كان على شكل واحد ، بلفظ واحد فهو أحسن . وقال المبرّد معناه : وما يخادعون بتلك المخادعة المذكورة أولا إلا أنفسهم ،إذ وبالها راجع عليهم ، فوجب ألا يختلف اللفظ ؛ لأن الثاني هو الأول . وقال أبو عمرو [٣]: ليس أحد يخدع نفسه وإنما يخادعها . [٤]

---

(١) انظر صفحة (٣٥٠-٣٥٩) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٢٧/١) .

(٣) هو أحد القراء السبعة . انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص (٨٧) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٢٥/١) .

المطلب الثالث : أن يلزم من القراءة لبْسُ المعنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] "... ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ **قال أبو جعفر** : اختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ بضم الهاء وتخفيفها ، وقرأه آخرون بتشديد الهاء وفتحها [1]. وأما الذين قرأوه بتخفيف الهاء وضمها، فإنهم وجهوا معناه إلى : ولا تقربوا النساء في حال حيضهن ، حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن...وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد الهاء وفتحها ، فإنهم عنوا به : حتى يغتسلن بالماء...

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ: **{حتّى يَطَّهَّرْنَ}** بتشديدها وفتحها ، بمعنى : حتى يغتسلن ؛ لإجماع الجميع على : أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر. وإنما اختلف في التطهر الذي عناه الله -تعالى ذكره-، فأحلّ له جماعها، **فقال بعضهم** : هو الاغتسال بالماء ، لا يحلّ لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها . **وقال بعضهم** : هو الوضوء للصلاة . **وقال آخرون** : بل هو غسل الفرج ، فإذا غسلت فرجها فذلك تطهرها الذي يحلّ به لزوجها غشيانها . فإذْ كان إجماع من الجميع أنها لا تحلّ لزوجها بانقطاع الدم حتى تطّهر ، كان بيّناً أنّ أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للَّبس عن فهم سامعها ، وذلك هو الذي اخترنا، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمّها ، ما لا يؤمَنُ معه الّلبس على سامعها من الخطأ في تأويلها ، فيرى أن لزوج الحائض غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها وقبل اغتسالها وتطهرها ." [2]

فلما كان إجماع من العلماء على عدم جواز جماع المرأة بعد انقضاء حيضها إلا بعد تطهرها

---

(١) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف : بفتح الطاء والهاء مشددتين {يطَّهَّرن} مضارع تطهر : أي اغتسل ، وقرأ الباقون : بسكون الطاء وضم الهاء مخففة ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ مضارع طهرت المرأة شفيت من الحيض واغتسلت . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٨/١) .

(٢) جامع البيان (٣٩٧/٢-٣٩٨) ، وتحقيق شاكر (٣٨٣/٤) .

بالغسل أو الوضوء أو غسل الفرج ، كان في قراءة التخفيف ما يوهم معنى ملبساً .

والصحيح في توجيه قراءة التخفيف : أنها لا تعني جواز قربان المرأة بعد انقطاع حيضها وقبل اغتسالها ؛ لأن الكلام لم ينته بعد ، فلا تتم الفائدة من الكلام إلا بقوله : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي : بالماء ، فبهذا أتت الفائدة وانتهى الحكم ، والقول بعدم اشتراط الغسل يجعل جملة : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ لا فائدة لها وهذا لا يجوز .[١]

ولم يحصل من العلماء إجماع -بمعناه الأصولي- على أن المرأة لا تجامع حتى تغتسل فقد ذهب أبو حنيفة -رحمه الله - إلى جواز جماعها بعد طهارة أكثر الحيض ، وهو عشرة أيام ، أما إذا انقطع لأقل : فلا يجوز حتى تغتسل ، أو يمضي عليها وقت صلاة من غير أن تجد دم الحيض .[٢]

ويماثل الآية في المعنى قوله -تعالى- : ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦] فقد أوجب الله -عزّ وجلّ- على وليّ اليتيم أن يؤتي اليتيم ماله بعد توفر شرطين فيمن كان يتيماً وهما : بلوغ النكاح ، وإيناس الرشد منهم وحسن التصرف ، فلا يكفي أحد الشرطين عن الآخر ، بل لا بد منهما جميعاً، وكذا الطاهر من الحيض لا يحل وطؤها إلا بشرطين : انقطاع الدم، والاغتسال ، فلا يباح الجماع إلا بهما ." [٣]

---

(١) انظر الكشف لمكي (٢٩٣/١) .

(٢) انظر أحكام القرآن (٣٥/٢-٣٦) ، لأبي بكر الجصاص ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي .

(٣) انظر المغني (٣٣٨/١) ، طبع عالم الكتب .

المطلب الرابع: أن يضعِّف السباق واللحاق القراءة :

١- مثال تضعيف السباق للقراءة : قال -رحمه الله- : " وقوله : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٨] فإن القرّاء اختلفت فيه : فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ على الإضافة [(١)] بمعنى : كلّ هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ...إلى قولنا : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] ﴿ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾ يقول : سيئ ما عدّدنا عليك عند ربك مكروهاً . وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ ﴾ بالإضافة ؛ لأن فيما عدّدنا من قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أموراً هي أمر بالجميل ، كقوله : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦] وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كلّ ما فيه نهياً عن سيئة ، بل فيه نهي عن سيئة وأمر بحسنات ، فلذلك قرأنا ﴿ سَيِّئُهُۥ ﴾ . وقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة : {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً} [(٢)] وقالوا : إنما عنى بذلك : كلّ ما عددنا من قولنا : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١] ، ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكلّ ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه ، فالصواب قراءته بالتنوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون من نيّته أن يكون المكروه مقدّماً على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كلّ ذلك كان مكروها سيئة ؛ لأنه إن جعل قوله : ﴿ مَكْرُوهًا ﴾ نعدّ السيئة من نعت السيئة لزمه أن تكون القراءة : كلّ ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة ، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ على إضافة السيئ إلى الهاء ، بمعنى : كلّ ذلك الذي عددنا من : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ ...﴿ كَانَ

---

(١) قرأ بها : ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ، وأحسن تقدير لها : أي كل ما ذكر مما أمرتم به ونهيتم عنه كان سيئه وهو ما نهيتم عنه أمراً مكروهاً -كما ذكر ابن جرير -. انظر إتحاف فضلاء البشر (١٩٧/٢) ، والمبسوط صفحة (٢٢٨).

(٢) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب منونة منصوبة . انظر المبسوط صفحة (٢٢٨) .

سَيِّئُهُ﴾ ؛ لأن في ذلك أموراً منهيّاً عنها ، وأموراً مأموراً بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السيئ إلى الهاء ، أولى وأحقّ من قراءته {سَيِّئَةً} بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة ." (١)

فحين أشيــر إلى جمع بأنه مكروه سيئ ، وفي الجمع المتقدم أفعال حسنة ، كان إلحاق الجميع بالمكروه غيــر صحيح ؛ لما يوجب من قطع الكلام بعضه عن بعض ، مع أن العطف في النص ما زال متصلاً .

وتوجيه القراءة الأخرى كما **قال الأزهري -رحمه الله-** : " ومن قرأ : {سَيِّئَةً} جعل كــلاً إحاطة بالمنهي عنه فقط ، والمعنى : كل ما نهى الله عنه كان سيئة ." (٢)

وقال مكي -رحمه الله- : بتمام الكلام عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإســراء: ٣٥] وابتداء كلام جديد من قوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] وكل ما ذكر بعده كان سيئاً ليس فيه ما يحسن فعله ، قال بعد : {كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً} إذ فعل جميعه سيئ ." (٣)

٢- مثال تضعيف اللحاق للقراءة : قوله -تعالى- : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] **قال -رحمه الله-**:"...واختلف القرأة في قراءة ذلك : فقرأه عُظْم أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ بالباء (٤)،

---

(١) جامع البيان (٨٢/٨) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (١٣) ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٥/٤-٤٩٦) ، والأنعام (٩١) ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٤/٥-٢٦٥) ، والأعراف (١٩٠) ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٤٧/٦-١٤٨) ، والعنكبــوت (٤٢) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٤٣/١٠) .

(٢) معاني القراءات (٩٥/٢) .

(٣) انظر الكشف لمكي (٤٧/٢) .

(٤) قرأ بها : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٧/١)،

=

بمعنى : قل في شرب هذه ، والقمار هذا ، كبير من الآثام . وقرأه آخرون من أهل المصرين البصرة والكوفة : {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ}[١] بمعنى الكثرة من الآثام ، وكأنهم رأوا أن الإثم بمعنى الآثام ، وإن كان في اللفظ واحداً ، فوصفوه بمعناه من الكثرة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالباء : ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ ؛ لإجماع جميعهم على قوله : ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وقراءته بالباء، وفي ذلك دلالةٌ بيّنةٌ على أنّ الذي وصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر ، لا الكثرة في العدد . ولو كان الذي وصف به من ذلك الكثرة ، لقيل : وإثمهما أكثر من نفعهما . "[٢]

وكما هو واضح من تضعيف القراءة بسبب ورود موضع متفق عليه بين القراء وقد قرءوه بأحد القراءتين ، فإن حمْل القراءة على لفظ واحد متفق عليه في الموضع المختلف فيه أولى وأحسن .

وما أحسنَ **قول أبي منصور الأزهري –رحمه الله–** : " ما أقرب معنى الكثير من الكبير ، فاقرأ كيف شئت ."[٣]

ويؤيد قراءة الكثير : قوله –تعالى– : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١] وعن ابن عمر[٤] –رضي الله عنهما – أن

والمبسوط صفحة (١٣٠) .

(١) قرأ بالثاء المثلثة : حمزة والكسائي . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٧/١) ، والمبسوط صفحة (١٣٠) .

(٢) جامع البيان (٣٧٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٢٨/٤) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران (١٨١) ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٣) ، والشعراء (١٣٨) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ جامع البيان (٤٦٣/٩-٤٦٤) ، و النمل (٦٦) ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ جامع البيان (٧/١٠-٨) .

(٣) معاني القراءات (٢٠١/١) .

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ولد قبل الهجرة بعشر ، وأسلم وهاجر مع أبيه ؛ شهد الخندق وما بعدها، أحد العبادلة الأربعة ، وأحد الستة المكثرين من الرواية ، وله ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً ، أفتى الناس ستين سنة.

رسول الله -ﷺ- قال : " لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها ." [(١)] وهؤلاء كثرة [(٢)].

وقد جمع الله منافعها فقال : ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ وكذلك يجب أن تكون آثامها ، وحسّن مكي القراءتين وقال بتداخلهما ؛ لأن القراءة بالثاء مراد بها العظم ، ولا شك أن ما عظم فقد كثر ، وقد كبر، والباء أحب إلي ؛ لأن الجماعة عليه . [(٣)]

وفي نهاية هذا الفصل : يتبين ما للسياق من أثر في الترجيح بين القراءات — دون تضعيف شيء من المتواتر - ، وقد أتبعت كل موضع فيه قراءة لم يختارها ابن جرير -رحمه الله- بوجه قراءتها ؛ لإظهار إعجاز القرآن وصحة القراءة ، والقراءة الصحيحة هي التي تحكم على اللغة والبلاغة . -والحمد لله رب العالمين -.

كان من الزهاد العباد ، وهو آخر الصحابة موتاً بمكة ، توفي سنة ثلاث وسبعين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٧٨/١)، والإصابة (١٠٧/٤) ، والأعلام (٢٤٦/٤) .

(١) رواه أبو داود في كتاب الأشربة ، باب العنب يعصر للخمر (٨١/٤) حديث (٣٦٧٤) ، والحاكم في كتاب الأشربة ، في ذكر أحاديث تحريم الخمر ، وصححه الذهبي في التلخيص على المستدرك (١٤٥/٤) والألباني في صحيح الجامع (٩٠٧/٢).

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٧/١) ، والحجة للقراء السبعة (٢٣٨/٢) ، لأبي علي الفارسي .

(٣) انظر الكشف لمكي (٢٩١/١-٢٩٢) .

الفصل الثاني

أثر دلالة السياق
في بيان الأصح من أسباب النـــزول :

الفصل الثاني : أثر دلالة السياق في بيان الأصح من أسباب النـــزول :

إن المتأمل للفصل الماضي يظهر له أثر السياق في علم القراءات والترجيح بينها في الاختيار ونحو ذلك ، وفي هذا الفصل يتبين لنا أثر السياق في نوع من علوم القرآن ، وهو أسباب النـــزول المعينـــة على فهم المعنى وإزالة الإشكال ، والسياق بدوره يختار لنا المناسب له من أسباب النـــزول ، تطبيقـــاً لقاعدة : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه [1].

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النـــزول .

المبحث الثاني : ترجيح سبب النـــزول لا يعني تخصيص الآية بمن كان فيه سبب النزول ، بل يدخل فيه من يشابهه .

المبحث الثالث : ترجيح المخاطب بالآيات .

المبحث الرابع : موضع لم يـــرجح فيه الإمام الأرجح من أسباب النـــزول .

---

(١) انظر صفحة (١٤٢) وما بعدها .

المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النـــزول :

في قوله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآية وإن كان مأموراً بذلك جميع المؤمنين ، **فقال بعضهم** : عنى بذلك : عُبادة بن الصامت [١] وعبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُول[٢]، في براءة عبادة من حلف اليهود ، وفي تمسّك عبد الله بن أبيّ ابن سلول بحلف اليهود ، بعد ما ظهرت عداوتهم لله ولرسوله -ﷺ- ، وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسك بحلفهم : أنه منهم في براءته من الله ورسوله كبراءتهم منهما...**وقال آخرون** : [كالسدي] بل عُني بذلك قوم من المؤمنين كانوا هموا حين نالهم بأُحد من أعدائهم من المشركين ما نالهم ، أن يأخذوا من اليهود عِصَما [أي : عهوداً]، فنهاهم الله عن ذلك ، وأعلمهم أن من فعل ذلك منهم فهو منهم...عن السـدي : ...قال : لما كانت وقعة أحد، اشتد على طائفة من الناس ، وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار ، فقـال رجل لصاحبه : أما أنا فألحق بدهلك[٣] اليهودي فآخذ منه أماناً وأتهوّد معه ، فإني أخاف أن تدال علينا اليهود . **وقال الآخر** : أما أنا فألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام ، فآخذ منه أماناً وأتنصّر معه . فأنزل الله -تعالى ذِكْرُه-ينهاهما : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ

---

(١) هو أبو الوليد ، عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، ولد قبل الهجرة بثمان وثلاثين ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، ومـن أعيان أهل بدر ، سكن بيت المقدس وهو أول قاضٍ فيها ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ-، مات بالرملـة سـنة أربع وثلاثين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٢/٥) ، والإصابة (٤/٢٧) ، والأعلام (٤/٣٠) .

(٢) هو عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث الخزرجي ، المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، رأس المنافقين في الإسلام ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، أظهر الإسلام بعد بدر تقيّة ، انخزل بثلاثمائة يوم أحد ، وبمثلهم في تبوك ، وكـان عملاقاً يركب الفرس فتخطّ إبهاماه في الأرض ، توفي سنة تسع ، صلى عليه النبي -ﷺ- وكفّنه في ثوبه ، فنـزل النـهي عن ذلك في قوله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] . انظر المعارف صفحة (١٥٩) ، والأعلام (٤/١١٨) .

(٣) لم أجد له ترجمة ، وفي تحقيق شاكر قال : "ويظهر أن في اسمه تحريفاً "(١٠/٣٩٧) ، ونحو ذلك في تحقيق التركي٨/٥٠٦ .

﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ ...**وقال آخرون** : بل عُني بذلك : أبو لبابة بن عبد المنذر [(١)] في إعلامه بني قريظة إذْ رضوا بحكم سعد [(٢)] : أنه الذبح...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْرُه- نهى المؤمنين جميعاً أن يتّخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً ووليّاً من دون الله ورسوله والمؤمنين ، فإنّه منهم في التحزّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريئان ، وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عُبادة بن الصامت وعبد الله بن أبيّ ابن سلول وحلفائهما من اليهود ، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لُبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدّيّ...ولم يصحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبر تثبت بمثله حجة فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل . فإذ كان ذلك كذلك فالصواب أن يُحْكَم لظاهر التنـزيل بالعموم على ما عمّ ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه ، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهوداً أو نصارى ، خوفاً على نفسه من دوائر الدهر ؛ لأن الآية التي بعد هذه تدل على ذلك ، وذلك قوله : ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] الآية..." [(٣)]

فقد ذكر الإمام الطبري -رحمه الله- الأقوال وجوزها ، إذ ليس فيها خبر عن سبب النـزول ،

---

(١) هو بشير ، وقيل : يسير ، وقيل : رفاعة بن عبد المنذر الأوسي ، شهد بدراً بسهمه وأجره ، وأمّره على المدينة، ولما أشار إلى بني قريظة بالذبح أحسّ بالذّنب ، فحبس نفسه في المسجد حتى تاب الله عليه ، فأراد أن ينخلع من جميع ماله ، فقال النبي -ﷺ-: يجزئ عنك الثلث من مالك . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤٢/٣و٢٤٧) ، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠٨/٣) ، والإصابة (١٦٥/٧) .

(٢) هو أبو عمر ، سعد بن معاذ بن النعمان ، السيد الكبير الشهيد ، الأنصاري الأوسي ، البدري ، كان من أطول الناس وأعظمهم جسماً ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، ثم أسلم بنو عبد الأشهل لإسلامه له مناقب كثيرة ، رمي يوم الخندق فجرح ، فعاش شهراً ، حكم في بني قريظة بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم ، ثم انتُقض جرحه فمات ، اهتزّ عرش الرحمن لموته ، وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١) ، والإصابة (٨٧/٣) ، والأعلام (١٣٩/٣) .

(٣) جامع البيان (٦١٥/٤-٦١٧) ، وتحقيق شاكر (٣٩٥/١٠) ، والآية من المائدة (٥٢) .

وإنما هي أقوال للمفسرين ؛ ولكن لا بدّ من أن يكون المخاطب منافقاً ، ودليل هذا الوصف الآية التالية وهي قوله -تعالى- : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ الآية ، والمقصود مرض النفاق ، فلا يصحّ قول يخالف سياق الآية .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٢] **قال -رحمه الله-:** "...اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآية ، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت في عَشَرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله -ﷺ- في غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السواري عند مقدم النبي -ﷺ- توبة منهم من ذنبهم...**وقال آخرون** : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة...**وقال آخرون** : الذين ربطوا أنفسهم بالسواري كانوا ثمانية...وقال آخرون : كانوا سبعة...**وقال آخرون** : بل عُني بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذي اعترف به فتيب عليه فيه : ما كان من أمره في بني قريظة...**وقال آخرون** : بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك...وقال بعضهم : عني بهذه الآية الأعرابُ...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله -ﷺ- وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك [1]، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- قال : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده . فإذْ كان ذلك [كذلك] ، وكان الله-تبارك وتعالى- قد وصف في قوله : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة ، وكان لا جماعة فعلت ذلك -فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل -إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحّ ما قلنا في ذلك ، وقلنا : كان منهم أبو لبابة ؛

(١) الشخوص هو : السير من بلد إلى بلد .انظر العين ولسان العرب مادة ش خ ص .

لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ." [(١)]

فقد رجح السياق أن من نزلت فيهم الآيات جمع لا فرد ، بدليل قوله -تعالى- : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فهو دليل على أنهم كانوا جماعة اعترفوا بذنوبهم ، ولا يصح حمل الآية على أنها نزلت في شخص واحد .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩١] **ذكر -رحمه الله** اختلاف أهل التأويل:"...، فقال بعضهم [كبريدة [(٢)]] : عُني بها الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- على الإسلام ، وفيهم أنزلت...**وقال آخرون** : نزلت في الحِلْف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية ، فأمرهم الله -عزّ وجلّ- في الإسلام أن يوفّوا به ولا ينقضوه... [وساق] عن مجاهد ..قال : تغليظها في الحلف..

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله -تعالى- أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم ، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحقّ مما لا يكرهه الله . وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- بنهيهم عن نقض بيعتهم حذراً من قلّة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين ، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم ؛ لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم ، وجائز أن تكون في غير ذلك. ولا خبر تَثْبُت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء ، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أيّ ذلك عُنِيَ بها، ولا قول في ذلك أولى بالحقّ مما قلنا لدلالة ظاهره عليه ، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب ، ويكون الحكم بها عامّاً في كلّ ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه ." [(٣)]

ساق -رحمه الله- الأقوال ولم يرجح أحدها ؛ لعدم الدليل من الكتاب ولا العقل في التعيين

---

(١) جامع البيان (٦/٤٥٩-٤٦٣) ، وتحقيق شاكر (١٤/٤٤٧) .

(٢) هو أبو عبد الله ، بريدة بن الحصيب الأسلمي ، صحابي أسلم قبل بدر ولم يشهدها ، وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله النبي -ﷺ- على صدقات قومه ، توفي بمرو سنة ثلاث وستين . انظر تهذيب التهذيب (١/٢١٩) .

(٣) جامع البيان (٧/٦٣٦-٦٣٧) .

ثم تبين له –رحمه الله– في الآية التالية تعيين من نزلت فيه بدلالة السياق : فقال في قوله –تعالى– : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [النحل: ٩٤] "...وهذه الآية تدلّ على أن تأويل بُريدة – الذي ذكرنا عنه في قوله : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] والآيات التي بعدها ، أنه عُني بذلك : الذين بايعوا رسول الله –ﷺ– على الإسلام ، عن مفارقة الإسلام لقلة أهله ، وكثرة أهل الشرك – هو الصواب ، دون الذي قال مجاهد أنهم عنوا به [(١)] ؛ لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم صدّ عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى، وقد وصف –تعالى ذِكْرُه–في هذه الآية فاعِلِي ذلك : أنهم باتخاذهم الأيمان دخلاً بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادّون عن سبيل الله ، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله ، لا صفة أهل النَّقْلة بالحلف عن قوم إلى قوم . " [(٢)]

فهذه الآية الماضية ترجح أن سبب نزول الآية التي قبلها في المشركين ، وبهذه الدقة في مراعاة السياق يكون ترجيح لسبب نزول ماض ، وقد توصل الإمام إليه لَمّا راعى في الفهم الآيات كلها بنظرة شمولية ، والآيات منتظمةٌ ترتيباً دقيقاً معجزاً ، فأثبت بالحجة والبرهان ،أن الآية في الكفار لا في المسلمين ؛ لشدة الوعيد ووصفهم بالصد عن سبيل الله، وهذا لا يكون في التحول من حلف قوم إلى آخرين .[(٣)]

وقد يكون السياق دالاً على أن الحديث النبوي قد لا يدخل في تفسير الآية: ففي قوله

(١) قول مجاهد هو : "كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزّ ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم ، فنهوا عن ذلك ". جامع البيان (٦٣٨/٧) .

(٢) جامع البيان (٦٤٠/٧) .

(٣) وانظر مواضع أخرى في : النساء (٦٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ جامع البيان (١٦٢/٤-١٦٣) ، والمائدة (٩٧-٩٨) ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/٥-١٤) ، والإسراء (٥٧) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ جامع البيان (٩٦/٨-٩٧) ، والصف (١-٣) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ الآيات جامع البيان (٧٩/١٢-٨١) .

-تعالى- : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٨ - ٣٩] **قال -رحمه الله-** :"...واختلف أهل التأويل في أصحاب الرسّ : **فقال بعضهم** : أصحاب الرسّ من ثمود...**وقال آخرون** : بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج...قال قتادة : الرسّ: قرية من اليمامة يقال لها : الفلج ، وقال عكرمة : أصحاب الرسّ بفلج هم أصحاب يس ، **وقال آخرون** : هم قوم رسّوا نبيّهم في بئر...**وقال آخرون** : هي بئر كانت تسمى الرسّ...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرّسّ في كلام العرب : كلّ محفور ، مثل : البئر ، والقبر ، ونحو ذلك...ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه ، إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله : ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾ فإنا سنذكر خبرهم -إن شاء الله - إذا انتهينا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أهم قوم رَسّوا نبيهم في حفرة . إلا ما...قال رسول الله -ﷺ-: «إنّ أوّلَ النّاسِ يَدخلُ الجَنّةَ يَوْمَ القِيامَةِ العَبْدُ الأَسْوَدُ»[(١)] . وذلك أن الله -تبارك وتعالى-بعث نبيّاً إلى أهل قرية فلم يؤمن مِنْ أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل القرية عدوا على النبيّ -عليه السلام-، فحفروا له بئراً فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجرٍ ضخم ، قال: وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، فيشتري به طعاماً وشراباً ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيدلي إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون . ثم إنه ذهب يوماً يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سِنَةً ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائماً ، ثم إنه هبّ فتمطى ، فتحوّل لشقة الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين

---

(١) سند ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ورفعه ، قال ابن كثير -رحمه الله- " وفيه غرابة ونكارة ، ولعلّ فيه إدراجاً ". تفسير القرآن العظيم (١٢٠/٦) طبع الشعب ، وانظر تحقيق التركي ٤٥٥/١٧ ، ويضاف لذلك أن الحديث مرسل منقطع ، فمحمد بن كعب تابعي ، وقد كان أبوه كعب من سبي بني قريظة ، قيل: ولد محمد بن كعب في حياة النبي -ﷺ- ولم يصحّ ذلك ، وتوفي لثمان ومائة . انظر سير أعلام النبلاء (٦٥/٥).

أخرى . ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقوه ، قال : فكان النبيّ -عليه السلام - يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون: ما ندري ، حتى قبض الله النبيّ ، فأهبّ الله الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال رسول الله -ﷺ -: «إنّ ذلكَ الأسْوَدَ لأوّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنّةَ»[1].

غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبيّ -ﷺ - أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته ، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله : ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ ؛ لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمّرهم تدميراً ، إلا أن يكونوا دمّروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجهاً ." [2]

فالحديث المرفوع – إن ثبت – فيه إثبات إيمان من رسوا نبيهم ، ثم آمنوا بالعبد الأسود بعد موت نبيهم ؛ ولكن الآية تثبت وقوع العذاب عليهم وتدميرهم لما كذّبوا الرسل ، فالظاهر أن الحديث ليس مفسِّرا للآية لعدم تطابقهما في المعنى ، إلا على وجه من التأويل فيقال : إنهم آمنوا فنجاهم الله ثم أمهلهم حتى عصوا ثم وقع عليهم العذاب بعد ذلك . والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) جامع البيان (٩/٣٨٩-٣٩١) .

المبحث الثاني :

ترجيح سبب النـــزول لا يعني تخصيص الآية به بل يدخل من يشابهه :

وهذا من باب التأكيد لهذه المسألة وقد سبق بيانها بالتفصيل في مبحث مستقل[١] .

ومن الأمثلة على ذلك مع ذكر أسباب النـــزول : قوله -تعالى- : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ [الحج: ١٩] الآية[٢] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله ،**فقـــال بعضـــهم** : أحـــد الفريقين : أهل الإيمان ، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر [كما قال أبو ذر] [٣]...**وقال آخرون** : ممن قال أحد الفرقين فريق الإيمان : بـــل الفريـــق الآخـــر أهـــل الكتاب...**وقال آخرون منهم** : بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أيّ ملة كانوا...**وقال آخـــرون** : الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية : الجنة والنار...

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عُني بالخصـــمين : جميع الكفار من أيّ أصناف الكفر كانوا ، وجميع المؤمنين . وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه -تعالى ذِكْرُه-ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له ، والآخـــر : أهـــل معصية له ، قد حقّ عليه العذاب ، فقـــال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨] ثم قال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما ، فقـــال : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ وقـــال الله :

---

(١) انظر : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم ، صفحة (٢٣٦) وما بعدها .

(٢) ويكتمل الحديث عن الفريقين في سورة الحج إلى الآية (٢٤) ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ -والله أعلم -.

(٣) المبارزين من كفار قريش : عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة ، والوليد بن عتبة ، ومن المؤمنين : عبيدة بن الحارث ، وحمزة بـــن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقُتل المشركون ، وسَلم المسلمون ، وأُثخِن عبيدة بالجراح . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٧٧) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الحج: ٢٣]، فكان بيّناً بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما . فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما رُوي عن أبي ذرّ في قوله : إنّ ذَلكَ نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ . قيل : ذلك إن شاء الله كما رُوي عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب. وهذه من تلك ، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكلّ كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم . "[1]

فذهب إلى أن المراد بالخطاب : العموم في الكفار والمؤمنين ، بدليل السباق واللحاق: فقد ذكر الله -تعالى- قبلها أن من الناس من يسجد لله بالعبادة ومن لا يسجد ، وذكر بعدها جزاء الكفار بالنار، وجزاء المؤمنين بالجنة ، فدل على العموم ، وإن قيل بنزولها في أحد معيَّن ، فلا مانع من دخول من هم على شاكلته .

(١) جامع البيان (٩/١٢٣-١٢٥) . ومثله في البقرة (٢٠٥) ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٣٢٩-٣٣٠) .

المبحث الثالث : ترجيح تعيين المخاطب بالآيات السابقة أو اللاحقة :

ففي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية ، وفي من نـزلت : **فكان ابن عباس يقول..**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي : بما أنزل إليك من ربّك ، وإن قالوا : إنّا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك . وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في : اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة ، على عهد رسول الله -ﷺ- ، توبيخاً لهم في جحودهم نبوّة محمد -ﷺ-، وتكذيبهم به ،مع علمهم به ، ومعرفتهم بأنه رسول الله-ﷺ- إليهم وإلى الناس كافة . [وورد عنه قول آخر : أن النبي -ﷺ- كان: يحرص على إيمان جميع الناس ، فأخبره الله : أنه لا يؤمن إلا من كتب له ذلك ، ولا يضل إلا من كتب عليه ذلك ، **وقال آخرون** : إنها في قادة الأحزاب ، ثم رجح الإمام القول الأول : أنها في المنافقين ، وإن كان للأقوال الأخرى مذهب ، ولكل منها توجيه ثم قال] : وأما علتنا في اختيارنا...فهي أن قول الله -جلّ ثناؤه-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ عقيب خبر الله -جلّ ثناؤه- عن مؤمني أهل الكتاب، وعقيب نعتهم وصفتهم ، وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله ، فأولى الأمور بحكمة الله، أن يتلي ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم ، وذم أسبابهم وأحوالهم ، وإظهار شتمهم ، والبراءة منهم ؛ لأن مؤمنيهم ومشركيهم ، وإن اختلفت أحوالهم في اختلاف أديانهم ، فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنوا إسرائيل ." (١)

فلما كان الحديث السابق عن مؤمني أهل الكتاب ، فاللائق بالسياق والحكمة في الكلام ، أن يتبع بالفريق المقابل لهم : وهم الكافرون والمنافقون من بني إسرائيل ؛ لأن الذي يربط اختلاف معتقداتهم هو نسبهم إلى إسرائيل -عليه السلام-.

وفي قوله -تعالى- : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في السّبب الذي أنزلت هذه الآية فيه : فقال

(١) انظر جامع البيان (١/١٤١-١٤٢) ، وتحقيق شاكر (١/٢٥١) .

بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبيّ - ﷺ - : إنّا نحبّ ربنا ، فأمر الله – جلّ وعزّ – نبيّه محمداً -ﷺ - أن يقول لهم : إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيما تَقُولُونَ فاتّبِعُونِي، فَإِنّ ذَلِكَ عَلامَةُ صِدْقِكُمْ فِيما قُلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ...[عن] الحسن يقول : قال قوم على عهد النبيّ -ﷺ - : يا محمد : إنا نحبّ ربنا ! . فأنزل الله –عزّ وجلّ- : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ فجعل اتّباع نبيّه محمّد -ﷺ - علَمَاً لحبّه وعذابِ من خالفه...**وقال آخرون** : بل هذا أمر من الله نبيّه محمداً -ﷺ - أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إن كان الذي تقولونه في عيسى من عظيم القول ، إنما تقولونه تعظيماً لله وحباً له ، فاتّبعوا محمداً - ﷺ -...عن محمد بن جعفر بن الزبير [(١)] : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ أي : إن كان هذا من قولكم - يعني : في عيسى- ، حبّاً لله ، وتعظيماً له ، ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أي : ما مضى من كفركم ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [(٢)].

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قول محمد بن جعفر بن الزبير ؛ لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ، ولا قبل هذه الآية ذكرُ قومٍ ادّعوا أنهم يحبون الله ، ولا أنهم يعظمونه ، فيكون قوله : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ جواباً لقولهم على ما قاله الحسن . وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصحّ ، فيجوز أن يقال : إن ذلك كذلك ، وإن لم يكن في السورة دلالة على أنه كما قال . إلا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله -ﷺ -: وفد نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نظير اختيارنا فيه ، فإذْ لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ، ولا في الآية دليل على ما وصفنا ، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة ، وذلك هو ما وصفنا ؛ لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم ، واحتجاج من الله لنبيه محمد -ﷺ -، ودليل على بطول قولهم في

---

(١) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني ، شيخ ابن إسحاق في أخباره ، وكان فقيهاً عالماً ، وثقه النسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي بين عشرٍ ومائة إلى عشرين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٣/٥٣٠) .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٨) ، وقد حكى قصة الوفد من رواية محمد بن جعفر بن الزبير هذا .

المسيح، فالواجب أن تكون هي أيضاً مصروفةَ المعنى إلى نحو ما قبلها، ومعنى ما بعدها ." [١]

فالسياق كلام متتابع على نظام واحد لا يحيد عنه الكلام إلا بدليل منه ، أو بحديث نبوي، أو بسبب نزول صحيح ، وهذه الآيات من سورة آل عمران نزلت في وفد نصارى نجران ، والآية التي نحن بصددها واقعة في ثنايا الحديث عن النصارى ومجادلتهم، فالقول بلا حجة ، ونسبته لغير المتحدث فيه يضعفه السياق؛لأن الأصل اتصال السياق .

وفي قوله –تعالى- : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾** ﴾ [النساء: ١٢٣] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ **فقال بعضهم** : عُني بقوله: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ** ﴾ أهل الإسلام...وقال آخرون : بل عنى الله بقوله : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ : أهل الشرك به من عبدة الأوثان...عن مجاهد في قوله: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ قال : قريش ، قالت : لن نُبعث ولن نُعذّب...وقال آخرون : عُني به أهل الكتاب خاصة...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : ما قال مجاهد ، من أنه عنى بقوله : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ** ﴾ مشركي قريش . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ** ﴾ ، وإنما جرى ذكر أمانيّ نصيب الشيطان المفروض ، وذلك في قوله : ﴿ **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ** ﴾ [النساء: ١١٩] وقوله : ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ** ﴾ [النساء: ١٢٠] فإلحاق معنى قوله –جلّ ثناؤه- : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ** ﴾ بما قد جرى ذكره قبل أحقّ وأولى من ادّعاء تأويل فيه ، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا أثر عن الرسول -ﷺ- ، ولا إجماع من أهل التأويل . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية إذن : ليس الأمر بأمانيكم يا معشر أولياء الشيطان وحزبه ، التي يمنيكموها وليكم عدوّا لله ، من إنقاذكم ممن أرادكم بسوء ، ونصرتكم عليه ، وإظفاركم به ، ولا أماني أهل الكتاب الذين قالوا اغتراراً بالله وبحلمه عنهم : ﴿ **وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً** ﴾ [البقرة: ٨٠] ، و ﴿ **وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ** ﴾ [البقرة:

---

(١) جامع البيان (٣/٢٩٠) ، وتحقيق شاكر (٦/٣٢٢) .

١١١] ، فإنّ الله مجازي كل عامل منكم جزاء عمله ، من يعمل منكم سوءً ومن غيـــركم يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيـــراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة . ومما يدلّ على صحة ما قلنا في تأويل ذلك ، وأنه عُـــني بقولـــه : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ مشركو العرب كما قال مجاهد ، أن الله وصف وعد الشيطان ما وعد أولياءه ، وأخبر بحال وعده ، ثم أتبع ذلك بصفة وعده الصادق بقوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٢٢] وقد ذكر -جلّ ثناؤه- مع وصفه وعد الشيطان أولياءه ، تمنيته إياهم الأماني، بقوله : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ كما ذكر وعده إياهم ، فالذي هو أشبه : أن يتبع تمنيته إياهم من الصفة ، بمثل الذي أتبع عدَته إياهم به من الصفة . وإذ كان ذلك كذلك صحّ أن قوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ الآية ، إنما هو خبر من الله عن أمانيّ أولياء الشيطان ، وما إليه صائرة أمانيهم ، مع سيئ أعمالهم من سوء الجزاء ، وما إليه صـــائرة أعمال أولياء الله من حسن الجزاء . وإنما ضمّ -جلّ ثناؤه- أهل الكتاب إلى المشركين في قوله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ ﴾ ؛ لأن أماني الفريقين من تمنية الشيطان إياهم الـــتي وعـــدهم أن يمنيهموها بقوله : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ ﴾ ."[1]

فابن جرير -رحمه الله- يرى أن السياق لم يذكر المسلمين ، ولكن العبرة بعموم اللفـــظ لا بخصوص السبب .

وقد ذكر آخرون أن سياق الآيات في المسلمين لا المشركين ، ويدل لذلك قصة نزول الآية ، وشكوى الصحابة للنبي - ﷺ- ، والسورة مدنية لا مكية ، وممن ذهب لذلك : مقاتل ، وصـــاحبا

---

(١) جامع البيان (٢٨٧/٤-٢٩١) ، وتحقيق شاكر (٢٢٨/٩) . وانظر مواضع أخرى في : النساء (١٦٣-١٦٦) ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ الآيات جامع البيان (٣٦٦/٤-٣٧٠) ، والنحل (١١٤) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ جامع البيان (٦٥٧/٧) ، والإسراء (٧٦) ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٢١/٨-١٢٢) ، والكهف (٩) ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ جامع البيان (١٧٩/٨-١٨٠) .

الجلالين ، وابن تيمية ، وأصحاب التفسير الميسّر وغيرهم .

يقول ابن تيمية :" والأول [أنها في المسلمين وأهل الكتاب] أشهر في النقل وأظهر في الدليل : لأن السورة مدنية بالاتفاق ، فالخطاب فيها مع المؤمنين كسائر السور المدنية .

وأيضا فإنه قد استفاض من وجوه متعددة أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] شق ذلك على أصحاب النبي - ﷺ- حتى بين لهم النبي - ﷺ- أن مصائب الدنيا من الجزاء ، وبها يجزى المؤمن ، فعلم أنهم مخاطبون بهذه الآية لا مجرد الكفار .

وأيضا قوله بعد هذا : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٤] الآية ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ [النساء: ١٢٥] يدل على أن هناك تنازعا في تفضيل الأديان لا مجرد إنكار عقوبة بعد الموت .

وأيضا فما قبلها وما بعدها خطاب مع المؤمنين وجواب لهم ، فكان المخاطب في هذه الآية هو المخاطب في بقية الآيات " .(١)

(١) مجموع الفتاوى (٤٢٦/١٤) وما بعدها .

المبحث الرابع : موضع لم يـــرجح فيه الإمام الأرجح من أسباب النـــزول:

في قوله –تعالى– : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] **قال –رحمه الله–**: "...وقوله : ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ يقول –جلّ ثناؤه– لنبيه –ﷺ– : ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيـــرهم من الكفار ، ولا تجاوزهم إليه...

وقوله : ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يقول –تعالى ذِكْرُه–لنبيه –ﷺ– : لا تعدُ عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين ، تبغي بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن رسول الله –ﷺ– أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك، **وقال بعضهم** : بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيـــرة لهم بالإسلام ، فرأوه جالساً مع خبّاب [(١)] ، وصهيب [(٢)] ، وبلال [(٣)] ، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضـــروا ، قالوا : فهمّ رسول الله –ﷺ– ، فأنزل الله عليه : ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ

(١) هو أبو يحيى ، أو أبو عبد الله ، خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد التميمي ، كان قيناً يعمل السيوف ، من نجباء السابقين، عذب على إسلامه ، شهد بدراً والمشاهد ، عاش سبعاً وسبعين سنة ، وتوفي بالكوفة ، سنة سبع وثلاثين ، وصـــلى عليـــه عليّ بن أبي طالب . انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢) ، والإصابة (١٠١/٢) ، والأعلام (٣٤٤/٢) .

(٢) هو أبو يحيى ، صهيب بن سنان بن مالك ، من بني النمر بن قاسط ، الرومي ؛ لسبي الروم له مدة ، كان أبوه أو عمّه مـــن أشراف الجاهليين ، ولاه كسرى على الأُبُلّة منازل قومه قرب الموصل ، وبها ولد صهيب ، أغارت الروم فسبته صـــغيراً ، فعاش بينهم فكان ألكن ، واشتري فجيء به مكة ، ثم أعتقه عبد الله بن جدعان الجاهلي ، فكان يحترف التجارة ، وكـــان من أرمى العرب سهماً ، صحب النبي قبل أن يوحى إليه ، وهو من السابقين ، ولما جاءت الهجرة ترك ماله كله ، فقـــال النبي –ﷺ–: "ربح صهيب ، ربح صهيب "شهد بدراً والمشاهد ، أنابه عمر لما طعن للصلاة بالناس حتى يختار خليفـــة ، توفي سنة ثمان وثلاثين . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/٢) ، والإصابة (٢٥٤/٣) ، والأعلام (٣٠٢/٣) .

(٣) هو أبو عبد الله ، بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ، وهو مؤذّن رسول الله –ﷺ– ، وخازنه على بيت مالـــه ، مـــن السابقين إلى الإسلام ، عذب فكان يقول : أحدٌ أحدٌ ، شهد بدراً ، وشهد له الرسول بالجنة ، عاش على الصحيح بضـــعاً وستين سنة ، يقال : إنه حبشي ، وقيل من مولّدي الحجاز ، توفي بدمشق ، سنة عشرين ، وقيل غير ذلك . انظـــر ســـير أعلام النبلاء (٣٤٧/١) ، والإصابة (١٧٠/١) ، والأعلام (٤٩/٢) .

﴿وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الأنعام: ٥٢] ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويتركهم قعوداً ، فـأنزل الله عليـه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ يـريد زينة الحياة الدنيا : مجالسة أولئك العظماء الأشراف...

عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن عيينة بن حصن [1] قال للنبيّ - ﷺ - قبل أن يُسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلساً لا نجامعهم فيه ، فنـزلت الآية[2]...

عن سلمان الفارسي قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله -ﷺ- :عيينة بن حصـن ، والأقرع بن حابس [3] ، وذووهم ، فقالوا : يا نبيّ الله ، إنك لو جلست في صـدر المسـجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان ، وأبا ذرّ [4]وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ، ولم يكن عليهم غيـرها ، جلسنا إليك وحادثناك ، وأخذنا عنك فأنزل الله :

---

(١) هو أبو مالك ، عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، من زعماء غطفان ، كان اسمه حذيفة فأصيب في عينه فسـمّي عيينة ، من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه النبي -ﷺ- مائة من الإبل يوم حنين كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه ، ثم ارتـدّ واتبع طليحة حين تنبأ، وأتي به أبا بكر أسيراً ، فمنّ عليه . انظر السيرة النبويـة لابـن هشـام (٢/٢٢٦و٢٩٤و٣٠١) ، والمعارف صفحة (٣٠٢-٣٠٤) ، والإصابة (٥/٥٥) .

(٢) سند الحديث قال ابن جرير : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن عكرمة قال : أخبرت . وهذا إسـناد منقطع ؛ لجهالة من أخبر عكرمة ، هل هو صحابي أم تابعي ؟! ، وهناك أحاديث أخرى ضعيفة في المعنى نفسـه ، إلا أن المفسرين قد أجمعوا على ذكر هذا السبب ، فيقال به ؛ لإجماع المفسرين على المعنى الذي دل عليه الحديث ، كما يشهد له سياق الآيات . انظر المحرر في أسباب النـزول للدكتور خالد المزيني (٢/٦٨٤).

(٣) هو الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي ، كان أقرع الرأس ، مـن سـادات العـرب في الجاهليـة ، دان بالمجوسية ثم أسلم مع وفد بني دارم من تميم ، له عشرة من الولد ، أعطاه النبي -ﷺ- مائة من الإبل يوم حنين تألفاً كمـا أخرج ذلك البخاري في صحيحه ، شهد حنيناً والطائف ، كان مع خالد بن الوليد في الوقائع حـتى اليمامـة، استشـهد بالجوزجان ، سنة إحدى وثلاثين. انظر المعارف صفحة (٣٤٢و٥٧٩و٦٢١) ، والإصابة (١/٨٥)، والأعلام (١/٣٤٣).

(٤) قيل هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري ، قصة إسلامه في الصحيح مشهورة ، استعمله النبي -ﷺ- علـى المدينة غزوة بني المصطلق ، توفي سنة اثنتين وثلاثين . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٥٢) و(٣/٣٠٢) ، والإصـابة (٧/٦٠) ، وشذرات الذهب (١/٣٩) ، والأعلام (٢/١٣٦) .

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف: ٢٧] حتى بلغ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ [الكهف: ٢٩] يتهدّدهم بالنار ، فقام نبيّ الله -ﷺ- يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله، فقال : «الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يُمِتْنِي حتى أمَرَنِي أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رجالٍ مِنْ أُمّتِي ، مَعَكُمُ المَحيْا وَمَعَكُمُ المَماتُ» [١].

وقوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الكهف: ٢٨] يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيّه -ﷺ-: ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار ، الذين سألوك طرد الرهط ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ عنك عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونهيه ، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه ، وهم فيما ذُكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووهم..." [٢]

ففي قول سلمان -رضي الله عنه- : أهم المؤلفة قلوبهم ، تناقض مع الآية التي وصفتهم بأنهم : أُغفِلت قلوبهم عن ذكر الله ، واتبعوا أهوائهم وأمرهم إلى ضياع في قوله : ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ، فهذه صفات الكفار ، كما بيّن الإمام الطبري -رحمه الله- معناها ، والمؤلفة قلوبهم مسلمون ، إلا أن يكون المراد بالمؤلفة قلوبهم أناس قبل دخولهم الإسلام فيكون لذلك وجه محتمل -والله أعلم-.

هذه بعض المواضع التي تندرج تحت هذا الأثر ، وقد تبيّن أنّ الواجب تمحيص سبب النزول وتأمله مع نص الآية وسياقها فلا يقال بدخول مسلم في سياق الكفار ولا العكس ، ثمّ لا مانع من إدخال من شابه من نزلت فيه الآيات ؛ لأن القرآن أنزل للعالمين ، وظهر جلياً أثر السياق في هذا التمحيص والتدقيق ، وفي ترجيح المناسب الموافق لسياق الآيات . - والله أعلم -.

---

(١) أخرجه ابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وأبو الشيخ من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة به ، وإسناده ضعيف ، بسبب سليمان بن عطاء الجزري قال ابن حجر في التقريب : " منكر الحديث ", تقريب التهذيب صفحة (٣٢٨/١) ، وانظر أسباب النزول للواحدي صفحة (٢٩٧-٢٩٨) ، وفي مجمع الزوائد (٢١/٧) قال عبد الرحمن بن سهل بن حنيف :"نزلت هذه الآية على النبي -ﷺ- وهو في بعض أبياته ، وفيه قال -ﷺ- : "الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم" . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وانظر تفسير ابن كثير (٧٩/٣) ، والصواب أنه مرسل فعبد الرحمن بن سهل تابعي وليس بصحابي .

(٢) جامع البيان (٢١٤/٨-٢١٥) .

الفصل الثالث

أثر دلالة السياق في

إظهار تناسب الآيات وترابطها :

الفصل الثالث : أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها:

علم المناسبات علم عظيم ، يثمر ربط كلام الله -عزّ وجلّ- بعضه ببعض ، ويعين على فهم الآية ، ويظهر إعجاز القرآن ، وأنه مترل من حكيم عليم قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

والمناسبة في اللغة : المقاربة ، وفلان يناسب فلاناً أي : يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسيب ، الذي هو : القريب المتصل ، كالأخوين وابن العم ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما ، وهو القرابة .

والمناسبة : أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول ، وكذلك المناسبة بين فواتح الآي وخواتيمها .

وفائدة علم المناسبات : جعل أجزاء الكلام آخذ بعضها بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال الأكيد البناء المحكم المتلائم الأجزاء . قال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ؛ لئلا يكون منقطعاً .[١]

وقد ثبت بالاستقراء : أن التناسب بين سور القرآن الكريم موجود ، وألفت فيه مؤلفات منها: البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي[٢]، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي -رحمه الله- ، وإذا ثبت هذا فالمناسبات بين الآيات ، وتعلّق بعضها ببعض وجوده من باب الأولى ، حتى إن المتأمل لكلام الله -عزّ وجلّ- يظهر له أن القرآن كله كالمقطع الواحد المترابط المتناسب الآخذ بعضه برقاب بعض .

ومن محاسن المناسبات : أنها تساعد على حسن التفسير ، ودقة الفهم ، وعدم مراعاة المناسبات يوقع المفسر في الخطأ عند تفسير الآيات .

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/١٣١-١٣٦) .

(٢) توفي سنة ٧٠٨ هـ ، وقد حقق الكتاب الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٨هـ .

وممن اهتم بالمناسبات في تفسيره :

برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي -رحمه الله- ، المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة، في تفسيره : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، وهو من أوسعها وأشملها ، وإن كان فيه بعض التكلّف .

وفخر الدين محمد بن عمر الرازي -رحمه الله- ، المتوفى سنة ست وستمائة للهجرة ، في تفسيره المسمى : التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب .

ومن المعاصرين : سيد قطب -رحمه الله-[(١)] ، المقتول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة ، في تفسيره الذي أسماه : في ظلال القرآن .

وليس هناك فرق بين المناسبة والرابط فكل مناسبة رابط ، وكل ربط فهو مناسبة ، كما عبّر عن ذلك الزركشي -رحمه الله- .[(٢)]

ومن الأمثلة على : الربط بين الآيات المتتاليات ، عند ابن جرير -رحمه الله- : في قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه-: وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذاباً مهيناً ، ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ ، ﴿وَالَّذِينَ﴾ في موضع خفض عطفاً على الكافرين . وقوله : ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ يعني : ينفقه مراءاة الناس ، في غير طاعة الله أو غير سبيله ، ولكن في سبيل الشيطان ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ﴾ يقول : ولا يصدّقون بوحدانية الله، ولا بالمَعَاد إليه يوم القيامة - الذي فيه جزاء الأعمال - أنه كائن..." [(٣)]

---

(١) هو سيد قطب بن الحاج قطب إبراهيم ، ولد ١٩٠٦م وبعد تخرجه زاول التدريس سنوات ، ثم أوفد إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم ، وله مؤلفات منها غير التفسير : التصوير الفني في القرآن ، ومعالم في الطريق ، أعدم سنة ١٩٦٦م ويوافق ١٣٨٨هـ ، انظر سيد قطب الشهيد الحي من الميلاد إلى الاستشهاد د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/١٣١و١٣٦) .

(٣) جامع البيان (٤/٩٠) ، وتحقيق شاكر (٨/٣٥٦) .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [النساء: ٣٩] قال أبو جعفر: " يعني بذلك -جلّ ثناؤه-: وأيّ شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ..." (١)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠] قال أبو جعفر: " يعني بذلك -جلّ ثناؤه-: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾، فإن الله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق في سبيله، مما رزقه من ثواب نفقته في الدنيا، ولا من أجرها يوم القيامة، ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي: ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن، ولكنه يجازيه به، ويثيبه عليه... وإنما اخترنا [هذا التأويل]...؛ لموافقته الأثر عن رسول الله -ﷺ- مع دلالة ظاهر التنزيل على صحته، إذ كان في سياق الآية التي قبلها، التي حثّ الله فيها على النفقة في طاعته، وذمّ النفقة في طاعة الشيطان، ثم وصل ذلك بما وعد المنافقين في طاعته بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ ..."(٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] قال أبو جعفر: " يعني بذلك -جلّ ثناؤه -: إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرّة، فكيف بهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ يعني: بمن يشهد عليها بأعمالها، وتصديقها رسلها، أو تكذيبها." (٣)

وهكذا يظهر أنّ كلّ آية تلي أختها بينهما نسب وقرب، يكون إدراكه راجع إلى ما عند المفسر من دقّة التأمل، وحسن التفكّر، وكمال العلم بالتفسير، ولا مانع من تعدّد المناسبات، فهي دالّة على إعجاز هذا القرآن من أوجه متعددة بتعدد وجوه المناسبة. - والله أعلم - .

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام .

---

(١) جامع البيان (٩١/٤)، وتحقيق شاكر (٣٥٩/٨) .

(٢) تحقيق شاكر (٣٥٩/٨) .

(٣) جامع البيان (٩٠/٤-٩٤)، وتحقيق شاكر (٣٦٨/٨) .

المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة .

المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات .

المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة .

المبحث الخامس : التناسب والتقسيم .

المبحث السادس : مناسبات إشارية .

المبحث السابع : مواضع لم يذكر فيها الإمام الطبري –رحمه الله –الربط بين الآيات .

المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام :

سبق الحديث عن اتصال الكلام وأن له روابط تدل عليه [(١)] ، وهنا سأذكر هذه الروابط ونحوها مما كان له أثر من جهة إظهار تناسب الآيات وترابطها ، ومن هذه الروابط ما يلي :

-١- القصة الواحدة :

أ- أحداث القصة مسوقة حسب وقوعها ، ومرتبة حسب سردها ، وما يساق فيها مرتّب بعضه على بعض : مثال ذلك : قصة آدم – عليه السّلام – مع الملائكة – عليهم السّلام – في سورة البقرة ، وما كان من أمر الله بهبوط آدم وزوجه وإبليس : قال –تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٦] **قال أبو جعفر** : " يقال : هبط فلان أرض كذا ، ووادي كذا : إذا حلّ ذلك...وقد أبان هذا القول من الله –جلّ ثناؤه– عن صحة ما قلنا من أن المخرِج آدم من الجنة هو الله –جلّ ثناؤه– ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما ، كان على ما وصفنا ، ودلّ بذلك أيضاً على أن هبوط آدم وزوجته وعدوّهما إبليس كان في وقت واحد ، بجَمْعِ الله إياهم في الخبر عن إهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبب إبليس ذلك لهما ، على ما وصفه ربنا – جل ذكره – عنهم . " [(٢)]

فالمثال يظهر أن القصة مرتبة ، وأن خروج آدم معطوف على خطيئته حين أكل من الشجرة ، بعد نهي الله عنها ، وكان الخروج للثلاثة بدليل جمع الخطاب لهم في قوله : ﴿اهْبِطُوا﴾ .

ب- الأقوال في القصة الواحدة يُرجع الجواب في القصة على السؤال المقابل له منها : فما يكون في القصة من أقوال للرسل مع الأقوام ونحو ذلك ، هو في الواقع إجابة لفعل أو قول للآخر : ففي قوله –تعالى–: ﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ

---

(١) انظر صفحة (١٥٩) وما بعدها .

(٢) جامع البيان (١/٢٧٧) ، وتحقيق شاكر (١/٥٣٤) . وانظر قوله تعالى في البقرة (٣١) : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ جامع البيان (١/٢٥٥-٢٥٦) .

﴿قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [هود: ٦٤] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود إذ قالوا له : ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢] وسألوه الآية على ما دعاهم إليه : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ ..." (١)

فكلام الله العزيز عن قصة صالح -عليه السلام- مع قومه ، وأنه قال : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ هو ردٌّ على تكذيبهم السابق له وقولهم : ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ، وكذلك قصص الرسل مع أقوامهم ونحوهم ، يحكي واقع المواجهة والمجابهة والجدال والردود ، فإذا استحضرت القصة ، وجدت الأقوال فيها لها مرجع إلى قول سابق مناسب -والله أعلم- .

- وكذلك يكون الكلام في ختام القصة تعقيبا من الله -جل جلاله- على قول سبق للقوم الظالمين : ففي قوله -تعالى- : ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف: ٩٢] **قال أبو جعفر** : " وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه- : لم يكن الذين اتّبعوا شعيباً الخاسرين ، بل الذين كذّبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين ؛ لأنه أخبر عنهم -جلّ ثناؤه- أنّ الذين كذّبوا شعيباً قالوا للذين أرادوا اتباعه : ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠] فكذّبهم الله بما أحلّ بهم من عاجل نكاله ، ثمّ قال لنبيّه محمّد -ﷺ- : ما خسر تُبّاع شعيب ، بل كان الذين كذّبوا شعيباً لمّا جاءت عقوبة الله هم الخاسرين ، دون الذين صدّقوا وآمنوا به ." (٢)

فتعقيب الله -عزّ وجلّ- ببيان الخاسر حقيقة ، رد على الكفرة من قوم شعيب حين قالوا : ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ فلا صحّة لقولهم وقد أهلكهم الله، وهذا الكلام وإن كان من الله -عزّ وجلّ- فهو ردّ عليهم حين زعموا أن متّبع شعيب خاسر .

---

(١) جامع البيان (٦٣/٧) ، وتحقيق شاكر (٣٧١/١٥) .

(٢) جامع البيان (٦/٧) ، وتحقيق شاكر (٥٧٠/١٢) .

-٢- الأمر بالقول :

فما يكون من أمر بالقول للنبي- ﷺ - أو لغيره -كالمؤمنين في قوله:﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة: ١٣٦] - هو في سياق الردّ على كلام سابق، وإجابة وتعليق عليه : ولذلك أمثلة كثيرة منها : قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٦] **قال أبو جعفر :** "وهذا أيضاً احتجاج من الله -تعالى ذِكْرُه- لنبيه - ﷺ - على النصارى القائلين في المسيح ما وصف من قيلهم فيه قبل (١) ، يقول -تعالى ذِكْرُه- لمحمد -ﷺ - : قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من النصارى الزاعمين أن المسيح ربهم ، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة : أتعبدون سوى الله - الذي يملك ضرّكم ونفعكم ، وهو الذي خلقكم ورزقكم ، وهو يحييكم ويميتكم- شيئاً لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً ؟ يخبرهم -تعالى ذِكْرُه- : أنّ المسيح الذي زعم من زعم من النصارى أنه إله ، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابن ، لا يملك لهم ضرّاً يدفعه عنهم إن أحله الله بهم ، ولا نفعاً يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم ، يقول -تعالى ذِكْرُه-: فكيف يكون ربّاً وإلهاً من كانت هذه صفته ؟ بل الربّ المعبود الذي بيده كلّ شيء ، والقادر على كلّ شيء ، فإياه فاعبدوا ، وأخلصوا له العبادة ، دون غيره من العَجَزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرّون ." (٢)

---

(١) ورد وصف المسيح -عليه السلام- في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣] .

(٢) جامع البيان (٤/٦٥٥) ، وتحقيق شاكر (١٠/٤٨٦) . ومثله في : البقرة (١٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٩٣) ، و(١٣٩) ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ جامع البيان (١/٦٢٤) ، وآل عمران (٨٤) ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٣٦) ، والأنعام (١١) ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ جامع البيان (٥/١٥٤) ، والأعراف (١٨٨) ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٤٠-١٤١)، ويونس (١٧) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ =

فلما أمر الله نبيه -ﷺ- بالقول في سياق ذكر أقوال النصارى في عيسى - عليه السّلام - كان هذا دليلاً على أنّه من باب الردّ عليهم وفضح عوار معتقدهم الباطل .

- **وكذلك ما عطف على الأمر بالقول فهو أمرٌ به أيضاً مكمّل لبقية الكلام** : كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨] **قال أبو جعفر** : " يقول - تعالى ذِكْرُه - لنبيّه محمّد - ﷺ - : قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذّبين بآيات الله : أيها القوم لا تحسبُنّ الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء ؟ ، بل جعل ذلك أجناساً كله مجنَّسة وأصنافاً مصنفة ، تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثْبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه -تعالى ذِكْرُه- مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها ، يقول : فالربّ الذي لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدوابّ في الأرض ، والطير في الهواء ، حتّى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء ، أحرى أن لا يضيع أعمالكم ، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها أيها الناس ، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ، إن خيراً

كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ جامع البيان (٥٤٢/٦) و(٤٩) ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٥/٦) ، والإسراء (١٠٧) ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدًاۤ ﴿١٠٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٦٣/٨) ، والأنبياء (٤١) ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (٢٩/٩) ، و(٤٥) ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ جامع البيان (٣٢/٩) ، والنور (٥٤) ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ ﴾الآية جامع البيان (٣٤٢/٩) ، والشعراء (٨١) ﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ جامع البيان (٤٥٢/٩) ، وسورة ص (٨٦) ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ جامع البيان (٦٠٨/١٠) ، والملك (٢٣-٢٦) ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ ﴾ الآيات جامع البيان (١٧٢/١٢).

فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ما لم يعمّ به غيركم في الدنيا ، وكنتم بشكره أحقّ ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ؛ لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون ، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير ، الذي به بين مصالحكم ومضارّكم تفرّقون ." (١)

فهذه الآية معطوفة على أمر بالقول للنبي- ﷺ- في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٧] ، ثم قال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ الآية أي: وقل ما من دابة...؛ لأنها جملة معطوفة على أمر بالقول الذي في الآية الكريمة الماضية: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ ﴾ الآية .

-٣- أسماء الإشارة ونحوها :

أ- ما يشار به فهو رابط : فهنالك ، وذلك ، وهذا ، وتلك ، وذلكم ، وكذا أحرف العطف الواو ، وثم ، تعتبر كلها روابط : ففي قوله -تعالى-: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١] **قال -رحمه الله-**:"... ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يقول : هذا الذي آمركم به من النفر في سبيل الله -تعالى- خفافاً وثقالاً وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم ، خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم ، والخلود إليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه ." (٢)

---

(١) جامع البيان (١٨٦/٥) ، وتحقيق شاكر (٣٤٤/١١) .

(٢) جامع البيان (٣٧٩/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٧٠/١٤) . وانظر بقية الأمثلة : في البقرة (٢٢٩) ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ جامع البيان (٤٨٦/٢) ، و(٢٥٢) ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ جامع البيان (٦٤٧/٢) ، وآل عمران (٣٨) ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢٤٧/٣) ، و(١٠٨) ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ جامع البيان (٣٨٨/٣) ، و(١٧٥) ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ جامع البيان (٥٢٥/٣) ، والمائدة (٣٢) ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٠/٤) ، والأنعام (١٥٣) ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا
=

فرجع اسم الإشارة : ذلكم إلى أول الآية فارتبط الكلام ، وتلاحمت الجمل ، وفهم المعنى ، واتضح المراد .

ب- إذا تكرر اسم الإشارة فالمشار إليه ما قبله مباشرة ، لا ما أشير إليه أوّل : فقوله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحج: ٦١] وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢] يختلف مرجع اسم الإشارة : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الموضعين : ففي الأول : أرجعه ابن جرير -رحمه الله- إلى النصر في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾[الحج: ٦٠] ، فقال : " ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي ؛ لأني القادر على ما أشاء، فمن قُدرته ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ ﴾ ...وبالقُدرة التي تَفْعَلُ ذلك ينصر محمّداً -ﷺ- وأصحابه على الذين بغوا عليهم ، فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ." [(١)]

وفي الموضع الثاني : أرجعه إلى إيلاج الليل في النهار فقال : " ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل ؛ لأني أنا الحقُّ الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ندّ ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهاً من دونه : هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء ،

= صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٦/٥) ، ومن أمثلة العطف : قوله تعالى في البقرة (١١٦) ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٥٥٤/١-٥٥٦) ، و(١٢٣) ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧١/١) ، وآل عمران (١٣٥) ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/٣) ، والنساء (٧٨) ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٦/٤-١٧٧) ، والأنعام (١) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ جامع البيان (١٤٤/٥) ، والجن(١٨) ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢٧١/١٢) .

(١) جامع البيان (١٨٣/٩) .

بل هو المصنوع..." (١)

فلا بد من إرجاع الإشارة إلى ما يناسب الجمل قبله وبعده إذا تكررت ، كما في تفسير هذه الآيات .

ج- الأصل أن العطف يربط بين الجمل -كما سبق- ولكن قد يرد السياق بلا عطف ، ويفهم منه الترابط : كما في قوله -تعالى-: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: ٨٨] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيه محمد- ﷺ -: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا ، متاعاً للأغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يتمتعون فيها ، فإن مِنْ ورائهم عذاباً غليظاً ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول : ولا تحزن على ما مُتّعوا به فعجّل لهم ، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه ، مع الذي قد عَجّلنا لك في الدنيا من الكرامة ، بإعطائنا السبع المثاني ، والقرآن العظيم ." (٢)

فقد ذكر الله -سبحانه -نعمته على رسوله-ﷺ - بالقرآن العظيم ، ومنه السبع المثاني ، وبعدها نهاه عن زينة الحياة الدنيا ، و لم يعطف ، ولكن الكلام يفهم منه ارتباط هذا بنعمة القرآن والسبع المثاني ، والمعنى : فليكن منك شكر لله على هذه النعمة-نعمة الدين- فهي سبب النعيم الباقي ، وأما الدنيا فهي الفانية الزائلة .

-٤- الاستفهام رابط :

ففي قوله -تعالى-: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] **قال أبو جعفر** : " وهذا الكلام من الله -جلّ ثناؤه- يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذٍ عن طاعة بعض المشركين ، الذين جادلوهم في أكل

---

(١) جامع البيان (١٨٣/٩) .

(٢) جامع البيان (٥٤٢/٧) . وانظر مثالاً آخر في آل عمران (١٨٣) ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٨/٣-٥٣٩) .

الميتة..." [(١)]

أي : أن هذه الآية مرتبطة بالسابقة ، وهي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢١] فعُقّب على أنّ طاعة المؤمنين للمشركين ، استبدال لنور الإيمان بظلمات الكفر ، التي يعيش فيها الكافر ، فالأولى بمن علم أنه على نور ، وأن من يجادله في ظلمة ، ألا يستمع لكلامه وألا يأبه لشبهه .[(٢)]

-٥- من الروابط (أم) و(ألا) و(أفلا) :

وسأمثل على (أم) في قوله -تعالى-: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤] قال **أبو جعفر** : " وأما قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ كأنه استفهم بـ«أم» في ابتداء لم يتقدمه حرف استفهام لسبوق كلام هو به متصل ، ولو لم يكن قبله كلام يكون به متصلاً ، وكان ابتداء لم يكن إلا بحرف من حروف الاستفهام ؛ لأن قائلاً لو كان قال مبتدئاً كلاماً لآخر : أم عندك أخوك ؟ لكان قائلاً ما لا معنى له ، ولكن لو قال : أنت رجل مدلّ بقوتك أم عندك أخوك ينصرك ؟ كان مصيباً...فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ، و لم يصبكم مثل ما أصاب من قبلكم، من أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار..." [(٣)]

---

(١) جامع البيان (٣٣١/٥) ، وتحقيق شاكر (٨٨/١٢) .

(٢) وانظر مثله في البقرة (٢١١) ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٤/٢) ، والأعراف (١٨٤) ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ جامع البيان (١٣٤/٦) ، والزمر (٤٣) ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١١) ، و(٥٢) ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٤/١١) .

(٣) جامع البيان (٣٥٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٨٧/٤) . وانظر أمثلة أخرى لـ(أم) في : هود (١٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٧)، و(ألا) في النور (٦٤) ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦١/٩) ، و(أفلا) في الغاشية (١٧) ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ جامع البيان (٥٥٦/١٢) .

فالاستفهام خطاب لمن كان الحديث السابق عنهم ، وهم : المؤمنون المصدقون بالرسل ، و﴿ أمْ ﴾ في قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ ربطت هذه الآية بالسابقة .

-٦- (إذ) عاطف ورابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- لنبيّه محمّدٍ -ﷺ- : واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم ، وارتدادهم عتوّاً على ربهم ، بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوّهم وعدوّ والدهم ، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسداً واستكباراً : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢] ، وكيف صدّقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتّبعوا أمر عدوّهم وعدوّ والدهم ." [(١)]

وقد عهد من استعمالات القرآن أن (إذ) فيها تذكير بأمر معين يناسب السياق ، وهنا كان ما وقع من الكفار شبيهاً بما حصل من إبليس ، وقد وصفهم الله تعالى بكثرة التكذيب مع كثرة التذكير ، فقال : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٠] فما أشبه تكذيبهم بتكذيب إبليس في هذه القصة .

-٧- التشبيه يعتبر رابطاً بين شيئين :

فقوله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] **قال -رحمه الله-**: " يعني -جلّ ثناؤه- بقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام ، وبما جاءكم به من عند الله ، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملّته ، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل

---

(١) جامع البيان (١٠٦/٨) . وانظر نحوه في البقرة (٣٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٣/١-٢٣٤) ، و(١٢٤) ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٠/١) ، وآل عمران (٥٥) ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٨/٣) .

الملل ، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً ." (١)

فبعد أن ذكر الله نعمة الهداية الأكمل ، وهي اتباع ملة إبراهيم -عليه السلام- والتوجه إلى الكعبة المشرفة ، أعقبها بذكر نعمة أخرى ، وهي جعل الأمة المحمدية عدلة ، وشاهدة على الأمم كلها.

-٨- كلمة (بعد) رابط :

ففي قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل: ١١٠] قال -رحمه الله -: " يقول -تعالى ذِكْرُه-: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم ، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم ، قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف ، وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم ." (٢)

فكلمة : (بعد) في قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ راجعةٌ إلى ما تقدّم ذكره من الإكراه وأحكامه، في قوله -تعالى-: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦] فكلمة ﴿ بَعْدِ ﴾ ربطت بين الآية وما قبلها .

-٩- كلمة (يوم) رابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

(١) جامع البيان (٢/٨) ، وتحقيق شاكر (١٤١/٣) . ومثله في الأنفال (٥٢) ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٩/٦) ، و(٥٤) ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٩/٦) ، والقلم (٣٣) ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٩٥/١٢) .

(٢) جامع البيان (٦٥٣/٧) .

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال-رحمه الله- : "...وأما معنى قوله -جل ثناؤه-: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به ، فقال بعضهم : عني به أهل قبلتنا من المسلمين...وقال آخرون : عنى بذلك كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن ، حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه...عن أبي بن كعب ، في قوله : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسود وجهه وعيّرهم : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال : هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقروا كلهم بالعبودية ، وفطرهم على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين ، يقول : أكفرتم بعد إيمانكم ، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم ، وقال في الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيض الله وجوههم ، وأدخلهم في رضوانه وجنّته ، **وقال آخرون** : بل الذين عنوا بقوله : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ المنافقون...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب : القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب : أنه عنى بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] وذلك أنّ الله -جلّ ثناؤه- جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما : سُوداً وجوهه ، والآخر : بِيْضاً وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أنّ جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهُه ، وأنّ جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهُه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عنى بقوله : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض ، وقد عمّ الله -جلّ ثناؤه- الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك ." (١)

-١٠- اللام رابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

---

(١) جامع البيان (٣/٣٨٦) ، وتحقيق شاكر (٧/٩٣) . ومثله أيضا في المجادلة (٦) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ جامع البيان (١٢/١٣) .

ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] قال أبو جعفر: " أمّا قوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فبيان من الله -عزّ وجلّ- عن سبيل النفقة ووجهها، ومعنى الكلام: وما تنفقوا من خير فلأنفسكم، تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله. واللام التي في: "الفقراء"، مردودة على موضع اللام في: ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، كأنه قال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ يعني به: وما تتصدّقوا به من مال، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله..." (١)

فهذه الآية بينت مصرف النفقة التي حث الله عليها في الآية الماضية، وبين الله – سبحانه – في الآية الماضية أن أثر هذه النفقة وخيرها يعود على النفس وذلك في قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] (٢).

-١١- (كلاّ) رابط:

لأنها رد ونفي لما سبق: كما في قوله -تعالى-: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٢٧] قال -رحمه الله-: " يقول -تعالى ذِكْرُه-: ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون، من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم رهم، بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها... ﴿ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾ يقول - تعالى ذِكْره-: وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئاً. " (٣)

فربطت (كلاّ) الرادعة الكلام بما قبله وبما بعده، حيث إن الكفار في سورة القيامة يكذبون

---

(١) جامع البيان (٩٦/٣)، وتحقيق شاكر (٥٩٠/٥).

(٢) ومثله في: سبأ (٤-٦) ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآيات جامع البيان (٣٤٦/١٠-٣٤٧)، والحشر (٨) ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ جامع البيان (٣٩/١٢).

(٣) جامع البيان (٣٤٥/١٢).

باليوم الآخر، كما أخبر الله عنهم: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] [1]، وسباق الآيات قبل قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ ولحاقه، كله في إثبات اليوم الآخر، فمعنى ﴿كَلَّآ﴾: ردع وزجر -عن التكذيب الواقع من الكفار -وتأكيد لوقوع اليوم الآخر.

-١٢- الختام لجملة من الآيات رابط بينها:

ففي قوله -تعالى-: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣] **قال -رحمه الله- في قوله -تعالى-:** ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم [كالسدّي]: معنى ذلك: قدّموا لأنفسكم الخير...وقال آخرون: بل معنى ذلك: وَقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ ذكْرَ الله عند الجماع وإتيان الحرث قبل إتيانه...

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدي، وهو أن قوله: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أمر من الله -تعالى ذِكْرُه- عباده بتقديم الخير، والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم، عدةً منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب، فإنه قال -تعالى ذِكْرُه-: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠، المزمل: ٢٠]، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن الله -تعالى ذِكْرُه- عقّب قوله: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه، فكان الذي هو أولى بأن يكون قبل التهدّد على المعصية -إذْ كان التهدّد على المعصية عامّاً -الأمر بالطاعة عامّاً. فإن قال لنا قائل: وما وجه الأمر بالطاعة بقوله: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ من قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؟ قيل: إن ذلك لم يقصد به ما توهمته، وإنما عنى به: وقدّموا لأنفسكم من الخيرات التي ندبناكم إليها بقولنا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وما بعده من سائر ما سألوا رسول الله- ﷺ-، فأجيبوا عنه مما ذكره الله -تعالى ذِكْرُه- في هذه الآيات[2]، ثم قال -تعالى ذِكْرُه-:

---

(١) ومثله في السورة نفسها (٢٠) ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠] جامع البيان (٣٤٢/١٢).

(٢) إلى قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قد بينا لكم ما فيه رشدكم وهدايتكم إلى ما يرضي ربكم عنكم ، فقدموا لأنفسكم الخير الذي أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً لتجدوه لديه إذا لقيتموه في معادكم ، واتقوه في معاصيه أن تقربوها ، وفي حدوده أن تضيعوها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه في معادكم ، فمجازٍ المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ."[1]

(١) جامع البيان (٢/٤١٢) ، وتحقيق شاكر (٤/٤١٦) . ومثله في البقرة (٢٢٨) ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٦٩) .

المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى ذِكْرُه- : لم يصب أحداً من الخلق مصيبة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ ، يقول : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ ، يقول : ومن يصدّق بالله فيعلم : أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك ، ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ يقول : يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه ." (١).

فهذا التفسير للجمل في الآية : تريك ما لكل جملة منها من معنى متمم للأخرى ، وأن هـذا الترتيب له حكمه ومعانيه ، وبهذا التفسير تجد الكلام قد أخذ بعضه بأعناق بعض، حتى صارت الجمل كالكلمة الواحدة .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨] قال -رحمه الله- : " وقوله : ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ﴾ يقول للمؤمنين : فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم . وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرَم ؛ لأنهم إذا دخلـوا الحرَم فقد قربوا المسجد الحرام... وقوله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقة وفقراً بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ﴾ ...وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فإن معناه : إن الله عليم بما حدثتْكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالـح عباده ، حكـيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه . "(٢)

(١) جامع البيان (١٢/١١٥) .

(٢) جامع البيان (٦/٣٥٤-٣٤٨) ، وتحقيق شاكر (١٤/١٩١) .

فخوف العيلة مرتبط بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام -مكة- ومعهم بضاعتهم، وليس منع المشركين من دخول المسجد الحرام بمعزل عن تأمين المؤمنين من العيلة.(١)

---

(١) وانظر بقية المواضع في: البقرة (١٤٠) ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾الآية جامع البيان (٦٢٥/١)، و(١٧٥) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ جامع البيان (٩٧/٢)، و(١٧٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ الآية جامع البيان (١١٤/٢)، و البقرة (٢٢٤) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ جامع البيان (٤١٢/٢-٤١٦)، و(٢٣٢) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/٢)، و(٢٥٥) ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣)، و(٢٦٢) ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ جامع البيان (٦٣/٣)، والنساء (٣٤) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٧١/٤)، و(١٤٢) ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ جامع البيان (٣٣٣/٤)، و(١٧٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ جامع البيان (٣٧١/٤)، و(١٧١) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٥-٣٧٦)، والأنعام (٣٤) ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ الآية جامع البيان (١٨٢/٥)، والأعراف (٦٩) ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾الآية جامع البيان (٥٢٣/٥)، والتوبة (٦١) ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٦/٦)، ويونس (١١) ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ جامع البيان (٥٣٧/٦)، ويوسف (٥) ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ جامع البيان (١٤٩/٧-١٥٠)، والرعد (٣١) ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/٧)، والكهف (١٨) ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الآية جامع البيان (١٩٤/٨)، و(٢٦) ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/٨)، والمؤمنون (٩٢) ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ جامع البيان (٢٤٠/٩)، وفاطر (١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٣/١٠)، والحديد (١٠) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٦٧٣/١١).

المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات :

لا شك أن السورة متناسبة آياتها ، بل القرآن كله متناسب مترابط ، بين سوره وآياته وجمله وكلماته وحروفه ، كما وصفه رب العالمين بقوله : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود: ١].

والمناسبة بين الآيات – عند ابن جرير رحمه الله – على أنواع ، وسأمثل لها –إن شاء الله – في المطالب التالية :

المطلب الأول : مناسبة الآية مع ما قبلها .

المطلب الثاني : مناسبة الآية مع ما بعدها .

المطلب الثالث : مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها .

المطلب الرابع : قد يعود بالمناسبة على متقدم بعيد في السورة .

وهذا التصنيف حسب ما ظهر من كلام الإمام الطبري –رحمه الله–، وستلحظ بين هذه الأمثلة المذكورة تداخلاً مع ما سبق من علامات الترابط العاطفة .

المطلب الأول : مناسبة الآية مع ما قبلها :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْرُه- للمؤمنين به المصدّقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة : إذَا قُرِئَ عليكم أيها المؤمنون القُرآنُ ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ يقول : أصغوا له سمعكم ؛ لتتفهّموا آياته، وتعتبروا بمواعظه ، وأنصتوا إليه ؛ لتعقلوه وتتدبروه ، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه . ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعبره ، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربّكم من فرائضه في آيِه ." [(١)]

فهذه الآية فيها دعوة لتحقيق رحمة القرآن للمؤمنين ، التي ذكرها الله في قوله : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] فمن أسباب تحقيقها : الإنصات لتلاوته في قوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ .[(٢)]

---

(١) جامع البيان (١٦١/٦) ، وتحقيق شاكر (٣٤٤/١٣) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٠٢) ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٩١/١-٤٩٢) ، و(١٠٥) ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/١) ، و(١٠٧) ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ جامع البيان (٥٢٩/١) ، و(١١٠) ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ جامع البيان (٥٣٨/١) ، و(١١٥) ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ جامع البيان (٥٥١/١-٥٥٣) ، و(١٢١) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ جامع البيان (٥٧٠/١) ، و(١٤٨) ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣/٢) ، و(٢١١) ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٥/٢) ، و(٢١٢) ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٦/٢) ، و(٢٤٤) ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ جامع البيان (٦٠٦/٢) ، و(٢٤٥) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
=

=

كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ جامع البيان (٦٠٩/٢)، و(٢٥٢) ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ جامع البيان (٦٤٨/٢)، و(٢٥٦) ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ الآية جامع البيان (١٩/٣)، و(٢٥٩) ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الآية جامع البيان (٣١/٣)، وآل عمران (١٤) ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ الآية جامع البيان (١٩٨/٣)، و(٤٠) ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٧/٣)، و(٨٢) ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ جامع البيان (٣٣٣/٣)، و(١٠٩) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ جامع البيان (٣٨٨/٣)، و(١٢٣) ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٤٢٠/٣)، و(١٢٩) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ جامع البيان (٤٣٤/٣)، و(١٣٧) ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ جامع البيان (٤٤٣/٣-٤٤٤)، و(١٥٦-١٥٧) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٩٢/٣)، و(١٨٥) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٠/٣)، و(١٩٠) ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ جامع البيان (٥٥٠/٣)، والنساء (٦٤) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٩/٤)، و(١١١) ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ ﴾ جامع البيان (٢٧٣/٤)، و(١١٨) ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢٨٠/٤)، و(١٢٢) ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٦/٤-٢٨٧)، و(١٢٦) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (٢٩٧/٤)، و(١٣٠) ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ جامع البيان (٣١٧/٤)، و(١٤٦) ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ جامع البيان (٣٣٧/٤)، والمائدة (٣٣) ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٦/٤)، و(٧٢-٧٣) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ الآيتين جامع البيان (٦٥٢/٤)، و(٩٠) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣/٥)، و(١٢٠) ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٤٢/٥)، والأنعام (٥٩-٦٠) ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الآيتين جامع البيان (٢١١/٥-٢١٣)، و(٩٢) ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ

=

=

مُبَارَكٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٦٧)، و(١٦٠) ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ جامع البيان (٥/٤١٥)، والأعراف (٢٢) ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٥٣)، و(٢٦) ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٥٥)، و(١٩٥) ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٥٠)، والأنفال (٣٠) ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٢٥)، والتوبة (٢٨) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٤٦-٣٤٧)، و(٦٢) ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٤٠٧)، و(٨٥) ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٤٤١)، ويونس (٢٥) ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٥٤٨)، و(٥٥) ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٥٦٧)، و(٩٦-٩٧) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٦١١)، وهود (٦) ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٤-٥)، و(١٤) ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ جامع البيان (٧/١٢)، والرعد (١٥) ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٣٦٦)، والحجر (٩٥) ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٥٠)، والنحل (١٧) ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٧٣)، و(٤٠) ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٨٥)، و(٩٠) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٣٤)، و(١٠٥) ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٠)، والإسراء (٤٤) ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٨٤)، والأنبياء (١٩) ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (٩/١٣)، و(٩٧) ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٨٧)، والفرقان (٢٤) ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٣٨١)، و(٥٥) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤٠١)، والنمل (٢٦) ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٥١١-٥١٢)، و(٧٣) ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١١)، والقصص

=

(٧٠) ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ جامع البيان (٩٧/١٠)، والعنكبوت (٢٢) ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٣١/١٠)، والروم (١٩) { ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (١٧٤/١٠)، و(٥١) ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ جامع البيان (١٩٧/١٠)، ولقمان (١٠) ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾الآية جامع البيان (٢٠٦/١٠)، والأحزاب (٥) ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٢٥٧/١٠)، وسبأ (٢٧) ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ جامع البيان (٣٧٧/١٠)، وفاطر (٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾الآية جامع البيان (٣٩٥/١٠)، و(١٦) ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٠)، والزمر (٤٢) ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾الآية جامع البيان (٩/١١)، وغافر (٥) ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾الآية جامع البيان (٤٠/١١). وفصلت (٣٦) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ جامع البيان (١١٢/١١)، والشورى (٤٦) ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٦٠/١١)، والزخرف (٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٧٨/١١)، و(٤١) ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (١٩٠/١١-١٩١)، والجاثية (٢٢) ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ جامع البيان (٢٦١/١١)، وسورة ق (١٤) ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ جامع البيان (٤١٣/١١)، والطور (٢٤) ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (٤٩٢/١١)، والنجم (٣١) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ جامع البيان (٥٢٥/١١)، والحديد (١٧) ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ جامع البيان (٦٨٢/١١)، والمجادلة (٢٢) ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢٦/١٢)، والحاقة (٣٦) ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ جامع البيان (٢٢١/١٢)، والجن (٥) ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (٢٦٢/١٢)، والمرسلات (٤١) ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (٣٩٢/١٢)، والنبأ (١٩) ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (٤٠٢/١٢)، والليل (١٣) ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ جامع البيان (٦١٨/١٢)، والعلق (٩-١٠) ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ جامع البيان (٦٤٧/١٢).

المطلب الثاني : مناسبة الآية مع ما بعدها :

ومثاله قوله -تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] **قال -رحمه الله-:** "...وأما قوله : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فإنه يعني : أنهم خرجوا من حذر الموت فراراً منه... **قال أبو جعفر :** وإنّما حثّ الله -تعالى ذِكْرُه- عباده بهذه الآية على المواظبة على الجهاد في سبيله ، والصبر على قتال أعداء دينه ، وشجّعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم أن الإماتة والإحياء بيديه وإليه دون خلقه ، وأن الفرار من القتال والهرب من الجهاد ولقاء الأعداء إلى التحصن في الحصون ، والاختباء في المنازل والدور ، غير منجٍ أحداً من قضائه إذا حلّ بساحته ، ولا دافع عنه أسباب منيّته إذا نزل بعقْوته [هكذا، أي : بساحته] ، كما لم ينفع الهاربين من الطاعون الذين وصف الله -تعالى ذِكْرُه- صفتهم في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فرارهم من أوطانهم ، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذي أمّلوا بالمصير إليه السلامة ، وبالموئل النجاة من المنية ، حتى أتاهم أمر الله، فتركهم جميعاً خموداً صرعى ، وفي الأرض هلكى ، ونجا مما حل بهم الذين باشروا كرب الوباء وخالطوا بأنفسهم عظيم البلاء ." (١)

فهذا التنبيه بقصة الفارين من الموت و لم ينفعهم فرارهم بل أنزله الله عليهم ؛ ليستجيب المؤمن لدعوة الله في الآية التالية وهي قوله : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

---

(١) جامع البيان (٢/٦٠٥) ، وتحقيق شاكر (٥/٢٧٧) ، وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٤٣) ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ جامع البيان (١/٢٩٥) ،و(٢٠٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٣٣٨) ، والأنفال (٦٣) ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٢٨٠) ، والحج (١٧) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾جامع البيان (٩/١٢١) .

المطلب الثالث : مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها :

ففي قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ [محمد: ٣٦ - ٣٧] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى ذِكْرُه-: حاضاً عباده المؤمنين على جهاد أعدائه ، والنفقة في سبيله ، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به : قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم ، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله ، وطلب رضاه ، فأمّا ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو ، يضمحلّ فيذهب ويندرس فيمرّ ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه... " (١)

فالآيات قبل هذه الآية وبعدها في ذكر أحكام الجهاد ، وهنا يحث الله -عزّ وجلّ- على النفقة في الجهاد التي هي من أهم دعائمه ، وبعدها قول الله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨] (٢).

---

(١) جامع البيان (٣٢٨/١١) .

(٢) وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٤٠) ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٦/١-٢ ٨٧) ، و(١٣٠) ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٨/١) ، و(١٥٣-١٥٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآيتين جامع البيان (٤١/٢-٤٤) ، وآل عمران (١٣٢) ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (٤٣٥/٣) ، والنساء (١٤٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٥/٤) ، والمائدة (٧٨) ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٥٦/٤) ، والتوبة (٢٣) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٢٣/٦) ، ويونس (٤٢-٤٤) ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الآيات جامع البيان (٥٦٣/٦-٥٦٤) ، والنحل (٥٢) ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ جامع البيان (٥٩٦/٧) ، والإسراء (٥٥) ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى

المطلب الرابع : قد يعود بالمناسبة على متقدّم بعيد في السورة :

كما في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] قال -رحمه الله-: " يقول -جلّ ثناؤه- : وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد-ﷺ -ذِكْرٌ لمن تذكر به ، وموعظة لمن اتّعظ به ، مباركٌ أنزلناهُ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكراً للمتقين . ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُه- : أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون ، وتقولون هُوَ ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ [الأنبياء: ٥] وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكرٌ للمتقين ، كالذي آتينا موسى وهارون ذكراً للمتقين ." (١)

لقد ساق الله -سبحانه- قول الكافرين أول السورة فقال: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾ ، وفي هذه الآية رد على قولهم وتكذيبهم ، ولو طال الفصل، وللآية مناسبة قريبة بعد ذكر التوراة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] ، فمحمد -ﷺ- أوتي مثل ما أوتي موسى -ﷺ-.(٢)

=

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥ ﴾ جامع البيان (٩/٩٤) ، وطه (٥١) ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ ﴾ جامع البيان (٨/٤٢٣) ، والدخان (٣٨) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ ﴾ جامع البيان (١١/٢٤٢) .

(١) جامع البيان (٩/٣٥) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٧) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٥٠) ، و(١٥٠) ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٨) ، و(٢٤٦) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦١٥)، والنساء (٨٣) ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٨٥) ، والمائدة (٤٠) ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٧١) ، و(٦٤) ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ

=

المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة :

وقد يُبرز الربط بين المقاطع شيئاً من محور السورة ، ولا شك أن تتبع المناسبات في السورة الواحدة عمدة إبراز محور السورة في التفسير الموضوعي(١) ، وأكبر مثال على ذلك: ربط الإمام بين آيات سورة الأنعام ، وإحالة الآيات إلى الحديث عن العادلين بربهم في أول السورة ، وهم المشركون : وكان هذا الربط في آيات منها قوله -تعالى-: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١] (٢) وقوله -تعالى-: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢] (٣) وقوله -تعالى-: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥] (٤) وقوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩] (٥) وقوله -تعالى-: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٣٢] (٦) وقوله -تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

= غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٤٢) ، وسورة ص (٦٧) ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ جامع البيان (١٠/٦٠٣) ، والأحقاف (٣٣) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ جامع البيان (١١/٣٠١).

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم صفحة (٥٧) ، والتفسير الموضوعي : علم يتناول القضايا ، حسب المقاصد القرآنية ، من خلال سورة أو أكثر . المرجع نفسه صفحة (١٦) .

(٢) جامع البيان (٥/١٥٤) .

(٣) جامع البيان (٥/١٥٤) .

(٤) جامع البيان (٥/١٦٨) .

(٥) جامع البيان (٥/١٧٦) .

(٦) جامع البيان (٥/١٧٩) .

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٤ - ٦٥] (١) وقوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣] (٢) وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام: ٩٥] (٣) وقوله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨] (٤) وقوله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام: ١٣٧] (٥) وقوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨] (٦) وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١] الآيات (٧) وقوله -تعالى-: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١] (٨).

---

(١) جامع البيان (٥/٢١٧).

(٢) جامع البيان (٥/٢٣٥).

(٣) جامع البيان (٥/٢٧٥).

(٤) جامع البيان (٥/٣٤٣).

(٥) جامع البيان (٥/٣٥٢).

(٦) جامع البيان (٥/٣٥٤).

(٧) من (١٤١-١٤٤)، جامع البيان (٥/٣٦١-٣٧٧).

(٨) جامع البيان (٥/٣٩٠).

فتلاحظ أن الإمام –رحمه الله– في تفسيره سورة الأنعام: أعاد هــذه الآيــات المتعــدّدة إلى العادلين بربهم أول السورة، من قوله –تعالى–: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]؛ وقد ورد هذا الوصف آخر السورة قبل آيات الوصايا العشر في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١٥٠﴾ [الأنعام: ١٥٠][1]، وهذا يؤكّد محور السورة التي تحدثت عنه –والله أعلم–، وغير هذه السورة كثير.

---

(١) وانظر مواضع أخرى في: البقرة (٢٨) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ جامع البيان (٢٢٢/١-٢٢٧)، و(٣٧) ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ جامع البيان (٢٨٣/١)، و(٥٠-٦٥) ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ الآيات جامع البيان (٣١٧/١-٣٧٠)، و(٨٢) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ جامع البيان (٤٣٢/١)، و(١٠٨) ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾ جامع البيان (٥٣٢/١-٥٣٣)، و(١٩٦) ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٢١٩/٢)، وآل عمران (١٢١) ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٢١﴾ جامع البيان (٤١٥/٣)، و(١٤٧) ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الآية جامع البيان (٤٦٥/٣)، و(١٧٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٧﴾ جامع البيان (٥٢٦/٣-٥٢٧)، والمائدة (١٢) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٨/٤)، و(٢٧) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ الآية جامع البيان (٥٢٧/٤)، والأعراف (٨٤) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٨٤﴾ جامع البيان (٥٤٢/٥)، وهود (١١٠) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١١٠﴾ جامع البيان (١٢٠/٧)، (١٢٠) ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ الآية جامع البيان (١٤٢/٧)، والرعد (٨) ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ جامع البيان (٣٤٤/٧)، وإبراهيم (٥) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٤١٦/٧)، الكهف (٨٢) ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ الآية جامع البيان (٢٧٠/٨)، وطه (١١٥) ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن
=

المبحث الخامس : التناسب والتقسيم :

وهذا العنوان يبرز ويؤكد قضية المثاني في القرآن الكريم ، لقد وصف الله -عزّ وجلّ- كتابه بأنه مثاني فقال : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] ، ساق ابن كثير -رحمه الله-

=

قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٤٦٥) ، والفرقان (٢٠) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ الآية جامع البيان (٩/٣٧٦) ، والشعراء (١٩٥) ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤٧٦) ، والنمل (٩٣) ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢٥) ، والقصص (٤٠) ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١٠/٧٥) ، و(٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٩٧) ، وسبأ (٢٢) ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٣٧١) ، وسورة ص (١٧) ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٦١) ، و(٤٨) ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٩٤) ، و(٧٥-٧٦) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الآيتين جامع البيان (١٠/٦٠٦) ، وفصلت (٣٤) ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١١٠-١١١) ، والزخرف (٤٦) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٩٣) ، والجاثية (١٢) ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٢٥٥) ، والأحقاف (٢١) ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٩٠) ، والفتح (٢٨) ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣٦٩) ، وسورة ق (١٥) ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٤١٤) ، والقمر (٤٣) ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٥٦٦) ، والواقعة (٥٨) ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٦٥١) ، والنازعات (٤٢) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٤٤١) .

أقوال المفسرين في معنى : ﴿مَّثَانِيَ﴾ ومنها **قول مجاهد** : " يعني: القرآن كلّه ، متشابه مثاني ، **وقال قتادة** : الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف ، **وقال الضّحّاك** : ﴿مَّثَانِيَ﴾ : ترديد القول ؛ ليفهموا عن رهم -عزّ وجلّ- ، **وقال عكرمة والحسن** : ثنّى الله فيه القضاء ، **زاد الحسن** : تكون السورة فيها آية ، وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، **وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم** : ﴿مَّثَانِيَ﴾ مردّد ، ردّد موسى في القرآن، وصالح ، وهود ، والأنبياء -عليهم السّلام- في أمكنة كثيرة ، **وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس** : ﴿مَّثَانِيَ﴾ **قال** : القرآن يشبه بعضه بعضاً ، ويردّ بعضه على بعض ، **وقال بعض العلماء** : ويروى عن سفيان بن عيينة ، معنى قوله : ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ أنّ سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضدّه ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] وكقوله : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧] إلى أن قال : ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨]، ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩﴾ [ص: ٤٩] إلى أن قال : ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾ [ص: ٥٥] ، ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد ، يشبه بعضه بعضاً : فهو المتشابه ، وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[آل عمران: ٧] ذلك معنى آخر ." (١)

ومن المثاني كما سبق في **قول سفيان بن عيينة -رحمه الله-** : أنها تارة تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا.

ويشبه هذا -إلى حدٍّ ما- ، ما يعطف في القرآن من صفات فريق على فريق آخر فهو مقابل له في الصفات ، ووجه إظهاره لتناسب الآيات : من جهة التقابل والتضاد .

ومن أمثلة هذا النوع : قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾ [البقرة: ٢٠٦] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : وإذا قيل لهذا المنافق -الذي

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٢) ، ودار الشعب (٧/٨٤) .

نعت نعته لنبيه عليه السلام وأخبره أنه يعجبه قوله في الحياة الدنيا- : اتقّ الله ، وخَفْهُ في إفسادك في أرض الله ، وسعيك فيها بما حرّم الله عليك من معاصيه ، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم ، استكبر ودخلته عزّة وحمية بما حرّم الله عليه ، وتمادى في غيه وضلاله صليّ نار جهنم ، ولبئس المهاد لصاليها...

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية : فقال بعضهم : عنى بها كل فاسق ومنافق...أبو رجاء العطاردي(١) : قال سمعت عليّاً في هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤] إلى : ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال عليّ : اقتتلا وربّ الكعبة...

[و]قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال : كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا صلى السّبحة (٢) وفرغ، دخل مربداً له(٣)، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن ، منهم ابن عباس ، وابن أخي عيينة(٤)، قال : فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه ، فإذا كانت القائلة انصرف . قال فمرّوا بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ البقرة: [٢٠٦ - ٢٠٧] **قال ابن زيد** : وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله . فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جنبه : اقتتل الرجلان . فسمع عمر ما قال، فقال : وأيّ شيء قلت ؟ قال : لا شيء ، يا أمير المؤمنين . قال : ماذا قلت ؟ اقتتل الرجلان ؟ قال : فلما رأى ذلك ابن عباس ، قال: أرى هاهنا من إذا أُمِر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم ، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل وأخذته العزّة بالإثم، قال هذا : وأنا أشتري نفسي فقاتله ، فاقتتل الرجلان . فقال عمر:لله بلادك يا ابن عباس (٥).

---

(١) هو عمران بن ملحان ، وقيل : تيم ، ويقال عطارد بن برد ، التميمي البصري ، من أكابر المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد الفتح ، ولم ير النبي -صلى الله عليه وسلم- ، كان عابداً كثير القراءة للقرآن ، مات سنة خمس ومائة ، وقيل غير ذلك ، وله أكثر من عشرين ومائة سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٤) ، وشذرات الذهب (١٣٠/١).

(٢) السبحة هي : التطوع من الذكر والصلاة . انظر القاموس المحيط ومختار الصحاح مادة (س ب ح) .

(٣) المربد فضاء وراء البيوت يرتفق به ، أو موضع يجفف فيه التمر . انظر تحقيق شاكر (٢٤٥/٤) .

(٤) هو الحرّ بن قيس بن حصين ، ويقال : الحارث ، كان من النفر الذين يدنيهم عمر . تحقيق شاكر (٢٤٥/٤) .

(٥) لله بلادك : كلمة تقال في المدح ، كقولك : لله درّك .

وقال آخرون : بل عني به الأخنس بن شريق . " (١)

-ثم قال في قوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] : " ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ، ومن عني بها: فقال بعضهم : نزلت في المهاجرين والأنصار ، وعني بها : المجاهدون في سبيل الله... وقال بعضهم : نزلت في رجال من المهاجرين بأعيانهم...وقال آخرون : بل عني بذلك كل شار نفسه في طاعة الله وجهاد في سبيله ، أو أمر بمعروف...عن أبي الخليل(٢) ، قال : سمع عمر إنساناً قرأ هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ قال : استرجع عمر فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بظاهر هذه الآية من التأويل : ما روي عن عمر ابن الخطاب، وعن عليّ بن أبي طالب ، وابن عباس -رضي الله عنهم- ، من أن يكون عني بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر . وذلك أن الله -جلّ ثناؤه- وصف صفة فريقين : أحدهما : منافق ، يقول بلسانه خلاف ما في نفسه ، وإذا اقتدر على معصية الله ركبها ، وإذا لم يقتدر رامها ، وإذا نُهي أخذته العزّة بالإثم بما هو به آثم ، والآخر منهما : بائع نفسه ، طالب من الله رضا الله . فكان الظاهر من التأويل : أن الفريق الموصوف بأنه شرى نفسه لله ، وطلب رضاه ، إنما شراها للوثوب بالفريق الفاجر طلبَ رضا الله . فهذا هو الأغلب الأظهر من تأويل الآية ." (٣)

وهذا المعنى من المناسبة وصل إليه من جهة النظر إلى التقابل بين الفريقين ، وارتباط أحدهما بالآخر في الآيات ، وإن كان في الحقيقة له ارتباط بالمعنى .

---

(١) انظر جامع البيان (٣٣٢/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٤٤/٤) ، والأخنس ، هو أبو ثعلبة ، أُبيّ بن شريق بن عمرو الثقفي ، ويعرف بالأخنس ، كان حليف بني زهرة ، وأعطاه النبي -ﷺ- مع المؤلفة قلوبهم ، توفي في خلافة عمر . انظر أسد الغابة (٦٠/١) .

(٢) هو صالح بن أبي مريم الضبعي البصري مولاهم ، من التابعين ، من الطبقة السادسة ، وثقه : ابن معين ، وأبو داود ، والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وأغرب ابن عبد البر فقال : لايحتج به . انظر تهذيب التهذيب (٢٠٠/٢) ، والتقريب ترجمة (٢٨٨٧) صفحة (٢١٥) .

(٣) جامع البيان (٣٣٢/٢-٣٣٤) ، وتحقيق شاكر (٢٤٧/٤) . وانظر البقرة (٢٥٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣) .

المبحث السادس : المناسبات الإشارية :

هناك مناسبات دقيقة قد تدخل في التفسير الإشاري ، والمقصود بالتفسير الإشاري: ما وراء الكلمات القرآنية من معاني باطنة ، فللآية ظاهر وباطن ، وهو نوعان : إذا أوغل الإنسان في الإشارات الخفية صار ضرباً من التجهيل [(١)]، وإذا كان أخذها من طريق القياس والإشارة المتوازنة ، فلا بد فيه من شروط أربعة نص عليها شيخ الإسلام ابن القيم –رحمه الله– وهي :

١. "–أن لا يناقض معنى الآية .
٢. –وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .
٣. –وأن يكون في اللفظ إشعار به .
٤. –وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً ". [(٢)]

ففي قوله –تعالى–: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١] **قال أبو جعفر** : " يقول –تعالى ذِكْرُه– : لقد كان في قصص يوسف وإخوته عِبرة لأهل الحِجا والعقول ، يعتبرون بها ، وموعظة يتعظون بها، وذلك أن الله –جلّ ثناؤه– بعد أن ألقي يوسف في الجبّ ليهلك ، ثم بِيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن ، وبعد الإسار والحبس الطويل ملَّكه مصر ، ومكَّن له في الأرض ، وأعلاه على من بغاه

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن (٣٦٧-٣٦٨) لمناع القطان .

(٢) التبيان في أقسام القرآن صفحة (٩٠) لابن القيم ، تحقيق فواز أحمد زمرلي .

ومن أمثلة التفسير الإشاري : ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٩] قال ابن تيمية : "القسم الثاني : أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ ، فهذا من نوع القياس ، فالذي تسميه الفقهاء قياسا ، هو الذي تسميه الصوفية إشارة ، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك ، فمن سمع قول الله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ وقال : إنه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر ، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين ، كان هذا معنى صحيحاً ، واعتباراً صحيحاً ، ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف ". مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٢٤١-٢٤٢) .

سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدّة الطويلة ، وجاء بهم إليه من الشّقّة النائية البعيدة. فقال -جلّ ثناؤه- للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد-ﷺ -: لقد كان لكم أيّها القوم في قَصَصهم عبرة لو اعتبرتم به ، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته ، لا يتعذّر عليه فعل مثله بمحمد -ﷺ - ، فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب ، وإن مرّت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان . وكان مجاهد يقول : معنى ذلك : لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته...

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله مجاهد ، وإن كان له وجه يحتمله التأويل ، فإن الذي قلنا في ذلك أولى به ؛ لأن ذلك عقيب الخبر عن نبينا محمد -ﷺ -وعن قومه من المشركين ، وعقيب تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد-ﷺ -، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته ، ومع ذلك أنه خبر عامّ عن جميع ذوي الألباب ، أن قصصهم لهم عبرة ، وغير مخصوص بعض به دون بعض. فإذْ كان الأمر على ما وصفنا في ذلك ، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبه..." (١)

وهذه المناسبة ليست بظاهرة لأول وهلة ، وإنما خرجت بالتفكر والتأمل ، وقد ذكرها الرازي -رحمه الله- من أنواع العبر : حيث أشار إلى الاعتبار بما في إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب ، وما حصل له من الضعف والمصائب ، ووهبه الله الملك والعزة ، بعد زمان .(٢)

---

(١) جامع البيان (٣٢٤/٧-٣٢٥) .

(٢) انظر التفسير الكبير (جزء ٢٢٧/١٨-٢٢٨) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٠/٢) ، و(٢٥١) ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٦/٢) ، وآل عمران (٤٤) ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٣) ، والمائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٦/٤) ، والأنفال (٣١) ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٩/٦) ، و(٣٢) ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (٢٣٠/٦) ، و(٣٥) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٤١/٤) ، و(٣٩) ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٥/٦) .

المبحث السابع :

مواضع لم يذكر فيها الإمام الطبري –رحمه الله– الربط بين الآيات :

سبق الحديث والتمثيل على مواضع كثيرة ذكر فيها الإمام الربط والمناسبات بين الآيات ، وهذا هو الأغلب الأعم على التفسير ، ولكن هناك مواضع قليلة لم يذكر فيها مناسبة : فمنها قوله –تعالى–: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْرُه– : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحُمِّلوا العمل بها ، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ يقول :ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذّبوا بمحمد –ﷺ –، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ." [١]

فإدخال النصارى في الخطاب مع اليهود ولم يجر لهم ذكر بعيد من السياق –والله أعلم –، ويدل على بعده الآية اللاحقة وهي قوله –تعالى–: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجمعة: ٦] فقد قال في المخاطب بها : " يقول –تعالى ذِكْرُه– لنبيه محمد –ﷺ–: قل يا محمد لليهود : يا أيّها الّذِينَ هادُوا إنْ زَعَمْتُمْ أنّكُمْ أوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ سواكم، فَتَمَنّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في قيلكم ، إنكم أولياء لله من دون الناس ، فإن الله لا يعذّب أولياءه ، بل يكرمهم وينعمهم ، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت ؛ لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت ." [٢]

وفي قوله –تعالى–: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البروج: ١٧ – ١٨] **قال –رحمه الله:** " ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ يقول –تعالى ذِكْرُه– لنبيّه محمّد – ﷺ – : هل جاءك يا محمد حديث الجنود ، الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم ، يقول : قد أتاك ذلك وعلمته، فاصبر لأذى قومك إياك ؛ لما نالوك به من مكروه ، كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي ، ولا يثنيك عن

---

(١) جامع البيان (١٢/٩٢) .

(٢) جامع البيان (١٢/٩٣) .

تبليغهم رسالتي ، كما لم يَثْنِ الذين أرسلوا إلى هؤلاء ، فإن عاقبة من لم يصدّقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك ، كالذي كان من هؤلاء الجنود ، ثم بين –جلّ ثناؤه- عن الجنود من هم ؟ . فقال : ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ يقول: فرعون ، فاجتُزئ بذكره ، إذ كان رئيس جنده ، من ذكر جنده وتُبّاعه . وإنما معنى الكلام : هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وقومه وثمود ، وخفض فرعون ردّاً على الجنود ، على الترجمة عنهم ، وإنما فتح ؛ لأنه لا يجري وثمود ."[1]

والذي يظهر من سياق قصة أصحاب الأخدود : أن الله –عزّ وجلّ –لم يذكر عقاباً لأصحاب الأخدود في الدنيا ، بل توعدهم بعذاب الآخرة ، فكان التعقيب ببيان قدرة الله –سبحانه- على البطش والإبداء والإعادة ، دالاً على إيقاع العذاب بهم في الدنيا، حيث استدل على ذلك بحصول العذاب على فرعون وقومه ، حين أغرقوا في اليم في دار الدنيا ، وكما حصل لثمود ، حين أخذتهم الصيحة في الدنيا وهم أحياء ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .[2]

وهناك موضعان أشار الإمام –رحمه الله- فيهما : إلى أن الآية معترضة بين آيات: ففي قوله -تعالى-: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال أبو جعفر : " وهذه الآية مردودة إلى قوله : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] والآيات التي بعدها إلى قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ من قصص بني إسرائيل وخبرهم مع

---

(١) جامع البيان (١٢/٥٣٠) ومعنى قوله : عدم الإجراء : أي : عدم التنوين . وانظر بقية المواضع في : النساء (٧٤) ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٧٠) ، والإسراء (٨٣) ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ جامع البيان (٨/١٣٩-١٤٠) ، والأحزاب (٤٠) ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٠٥) ، وسبأ (٣) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٤٥) ، والذاريات (٣٨) ﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٤٦٧) ، والتغابن (٧) ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/١١٤) ، والحاقة (٣٧) ﴿ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٢٢٢) .

(٢) انظر في ظلال القرآن (جزء٣٠/١١٣و١١٦) .

طالوت وجالوت ، وما بعد ذلك من نبأ الذي حاجّ إبراهيم مع إبراهيم ، وأمر الذي مرّ على القرية الخاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم ومسألته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل ، اعتراض من الله -تعالى ذِكْرُه- بما اعترض به من قصصهم بين ذلك ، احتجاجاً منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة ، وحضّاً منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤] يعرّفهم فيه أنه ناصرهم ، وإن قلّ عددهم، وكثر عدد عدوّهم ، ويعدهم النصرة عليهم ، ويعلمهم سنته فيمن كان على منهاجهم ، من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم ، وفي من كان على سبيل أعدائهم من الكفار ، بأنه خاذلهم ومفرّق جمعهم ، وموهن كيدهم ، وقطعاً منه ببعض عذر اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجرَ رسول الله -ﷺ- ، بما أطلع نبيه عليه من خفيّ أمورهم ، ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم؛ ليعلموا أن ما أتاهم به محمد -ﷺ- من عند الله ، وأنه ليس بتخرّص ولا اختلاق ، وإعذاراً منه به إلى أهل النفاق منهم ، ليحذروا بشكهم في أمر محمّد- ﷺ - أن يحلّ بهم من بأسه وسطوته ، مثل الذي أحلهما بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكها، فتركها خاوية على عروشها . ثم عاد -تعالى ذِكْرُه- إلى الخبر عن الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، وما عنده له من الثواب على قرضه ، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ "[1]

والحقيقة أن المناسبات لها أوجه عديدة : منها القريب ، ومنها البعيد ، ومن المناسبات مع الآية السابقة : وهي قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠] أن إحياء الله -سبحانه- نوعان : حسي ، وهو ما وقع من إحياء القرية، وما وقع لخليل الله إبراهيم -ﷺ- ، ومعنوي : وهو ما يكون في تكثير ثواب النفقة في سبيل الله [2] ، ولها

(١) جامع البيان (٦١/٣) ، وتحقيق شاكر (٥١٢/٥) .

(٢) هذه المناسبة تلقيتها سماعاً عن الدكتور مصطفى مسلم -حفظه الله- ،في محاضرات السنة المنهجية ١٤١٥هـ .

أوجه من المناسبة أخر .[١]

هذه نماذج مختارة من مواضع كثيرة ، بذلت فيها جهداً أرجو أن أكون موفقاً ، وما لا يدرك كلّه ، لا يترك جلّه . - والحمد لله رب العالمين - .

---

(١) وانظر موضعاً آخر في : لقمان (١٥) ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/١٠) .

الفصل الرابع

أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى :

الفصل الرابع : أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى :

تقدّم في الفصل الماضي ذكر ما يتعلق بالسياق من المناسبات ، ولا يخفى في هذا المقام بيان أثر المناسبة في الدلالة على المعنى ، ولكن أهمية الدلالة على المعنى أساسيّة ، توجب إفراده بأمثلة موضحة ، والأمثلة كثيرة جداً ، ، وسأختار الأوضح منها حسب المستطاع .–والله الموفق–.

وسيكون الحديث في هذا الفصل حسب المباحث التالية :

المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة .

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات .

المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف .

المبحث الرابع : احتمال السياق لمعان متعددة .

المبحث الخامس : مواضع لم يستعن الإمام ابن جرير –رحمه الله– فيها بالسياق لإظهار المعنى .

المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة :

ومن أمثلة ذلك : قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٦٨] فجملة : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ تفيد أنها ليست بكراً ، ولا فارضاً ، بل هي وسط بينهما .[١]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [آل عمران: ١٥٤] قال أبو جعفر : "...بيّن - جلّ ثناؤه- عن الأمنة التي أنزلها عليهم ما هي ؟ فقال : نعاساً ، بنصب النعاس ، على الإبدال من الأمنة ." [٢]

وفي قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [سبأ: ١٥] قال -رحمه الله- :" ورفعت الجنتان في قوله : ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ترجمة عن الآية ؛ لأن معنى الكلام : لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي : جنتان عن أيمانهم وشمائلهم ." [٣]

وفي قوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ: ٤٦] قال -رحمه الله-: " وقوله : ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ يقول : وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي: أن تقوموا لله اثنين اثنين ، وفرادى فرادى[٤]، فـ ﴿أن﴾ في موضع خفض ، ترجمة عن الواحدة . "[٥]

---

(١) انظر جامع البيان (٣٨٤/١) ، وتحقيق شاكر (١٩٣/٢) .

(٢) جامع البيان (٤٨٢/٣) ، وتحقيق شاكر (٣١٥/٧) .

(٣) جامع البيان (٣٦١/١٠) .

(٤) هكذا في المطبوعة ، ولعلها : فرداً فرداً ، وفي تحقيق التركي لتفسير ابن جرير (٣٠٤/١٩) فرداً فرداً ، وأشار إلى أن "فرادى فرداى " جاء في نسخة .

(٥) جامع البيان (٣٨٤/١٠) .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] فليس معنى نموت ونحيا: الحياة بعد الموت؛ لقولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ وإنما "تموت الأحياء منا فلا تحيا، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ يقول: وما نحن بمعوثين بعد الممات." [١]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٦] قال -رحمه الله-: " وقوله: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ يقول: ويسقى من ماء، ثم بيّن ذلك الماء -جلّ ثناؤه- وما هو؟ فقال: هو صديد."[٢]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس: ٦٥] فكسر همزة ﴿ إِنَّ ﴾ من قوله: ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ دليل على أن القول الماضي لم يعمل فيها؛ لأن القول عني به قول المشركين، وقوله: ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لم يكن قيل من المشركين، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه، بل هو خبر مبتدأ من الله.[٣]

ثم هذا القول لا يحزن النبي ﷺ، بل يفرحه؛ لأنه وعد له بالنصر، فهو دليل على أنه ليس قول المشركين الأعداء، الذين يقولون ما يحزن لا ما يسرّ.[٤]

---

(١) انظر جامع البيان (٩/٢١٣-٢١٤).

(٢) جامع البيان (٧/٤٢٩)، وتحقيق شاكر (١٦/٥٤٧).

(٣) انظر جامع البيان (٦/٥٨٢)، وتحقيق شاكر (١٥/١٤٢).

(٤) وانظر مواضع أخرى - على وجه العموم - تدل على معنى في الآية الواحدة: في البقرة (٣٦) ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٧٩)، و(١١٣) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٤٤)، و(١٣٠) ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ الآية جامع البيان (١/٦٠٩)، و(١٤٥) ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٨)، و(١٦٤) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٧٠-٧١)، و(١٦٨) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٨١)، و(١٧٤) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٩٥)، و(١٨٥) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٦٤)، و(٢٢٢) ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ

=

أذى ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٩٣)، و(٢٣٠) ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٩١)، و(٢٣٥) ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٣٥)، و(٢٤٥) ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٠٩)، و(٢٤٩) ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٣٢)، وآل عمران (١٦٠) ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٣/٤٩٧)، و(١٧٠) ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ جامع البيان (٣/٥١٦)، والنساء (١٢) ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٣٠)، و(٢٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٢٧)، و(٧١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١) ﴾ جامع البيان (٤/١٦٧)، و(٧٧) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾الآية جامع البيان (٤/١٧٤)، و(٩٠) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٤/٢٠١)، و(٩٢) ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢١٧)، و(٩٥) ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٣٢-٢٣٣)، و(١٠٤) ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٢٦٣)، و(١٤١) ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾الآية جامع البيان (٤/٣٣٠)، و(١٥٣) ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٣٤٧)، والمائدة (١٩) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) ﴾ جامع البيان (٤/٥٠٨)، و(٤٢) ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٥٨٢)، و(٤٨) ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٦١٢)، و(١٠٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥/١١٨)، والأنعام (٢٥) ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾الآية جامع البيان (٥/١٦٩)، و(٨٠) ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾الآية جامع البيان (٥/٢٤٨)، و(١٣٥) ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) ﴾ جامع البيان (٥/٣٤٩)، و(١٤٣) ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾الآية جامع البيان (٥/٣٧٥)، و(١٤٥) ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ

=

=

يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٧٩)، و(١٤٦) ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٨٦)، والأعراف (٤) ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ ﴾ جامع البيان (٥/٤٢٨-٤٢٩)، و(٢٠) ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٤٩)، و(٣٨) ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٨٢-٤٨٣)، و(٤٣) ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٩٢)، و(٤٤) ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٩٥)، و(٤٨) ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ جامع البيان (٥/٥٠٦)، و(٥٣) ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٥١٢)، و(٩٥) ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان(٦/١٠)، و(١٤٨) ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٦٣)، و(١٥٠) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٦٩)، و(١٥٧) ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٨٦)، و(١٦٨) ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٠٤)، والتوبة (١٢) ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٢٩)، و(١٣) ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٣١)، و(١٥) ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥ ﴾ جامع البيان (٦/٣٣٣)، و(٤٣) ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٤٣ ﴾ جامع البيان (٦/٣٨٠)، و(٦٧) ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤١١)، و(٨٠) ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٣٤)، و(١٠١-١٠٢) ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ الآيتين جامع البيان (٦/٤٥٩)، و(١١٣-١١٤) ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣ ﴾ الآيتين جامع البيان (٦/٤٩٠)، و(١٢٧) ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٢٧ ﴾ جامع البيان (٦/٥٢١)، ويونس (٤٧) ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧ ﴾ جامع البيان (٦/٥٦٥)، و(٦١) ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٥٧٤)، والرعد (٢٦) ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٧٨)، و(٣٣) ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٩٤)، و(٤١) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ

=

=

يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٤٠٨)، والنحل (٦٢) ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ﴾الآية جامع البيان (٧/٦٠٢)، و(١١٢) ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله ﴾ الآية جامع البيان (٧/٦٥٦)، والإسراء (٢٧-٢٨) ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾الآيتين جامع البيان (٨/٦٩)، و(١٠٠) ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ﴿١٠٠﴾ ﴾ جامع البيان (٨/١٥٤)، والكهف (٢٧) ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ﴿٢٧﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٢١٢)، و(٢٩) ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢١٧)، و(٣٥) ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴿٣٥﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٢٢٤)، وطه (١٢٦) ﴿ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴿١٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٤٧٤)، والأنبياء (٧) ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٦)، و(٢٩) ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴿٢٩﴾ ﴾ جامع البيان (٩/١٨)، و(٣٦) ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ الآية جامع البيان (٩/٢٦)، و(٥٨) ﴿ فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون ﴿٥٨﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٣٨)، والحج (١٨) ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٢٢)، والنمل (٣٢) ﴿ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ﴿٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥١٤)، و(٤٢) ﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴿٤٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٢٧)، والقصص (٢٧) ﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦٣)، و(٥٨) ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴿٥٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٩٠)، و(٧٦) ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾الآية جامع البيان (١٠/١٠٤)، والروم (٤٠) ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿٤٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢٠٩)، و(٤٣) ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ﴿٤٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١٩٣)، ولقمان (١٢) ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ﴾الآية جامع البيان (١٠/٢٠٩)، والسجدة (١٨) ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴿١٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢٤٤)، والأحزاب (١٩) ﴿ أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾الآية جامع البيان (١٠/٢٧٦)، وسبأ (١٢) ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣٥٤)، وفاطر (٢٨) ﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴿٢٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٠٩)، والزمر (٢) ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴿٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٦١٠)، و(٧) ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ﴾الآية جامع البيان (١٠/٦١٧)،

=

=

و(٩) ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ الآية جامع البيان (٦٢١/١٠)، و(٦١) ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾ جامع البيان (٢٢/١١)، وغافر (٦) ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ جامع البيان (٤١/١١)، و(٥٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾الآية جامع البيان (٧١/١١)، و(٦٠) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ جامع البيان (٧٢/١١)، وفصلت (١٢) ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾الآية جامع البيان (٩٣/١١)، و(١٤) ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾الآية جامع البيان (٩٤/١١)، و(٤٠) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾الآية جامع البيان (١١٥/١١-١١٦)، والشورى (١٣) ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾الآية جامع البيان (١٣٤/١١)، والزخرف (٣٢) ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾الآية جامع البيان (١٨٢/١١)، و(٣٧) ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾ جامع البيان (١٨٨/١١)، و(٧١) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾الآية جامع البيان (٢١١/١١)، والدخان (٤٩) ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ جامع البيان (٢٤٦/١١)، والأحقاف (١٧) ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/١١)، ومحمد (١٥) ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية جامع البيان (٣١٤/١١)، والفتح (١٥) ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾الآية جامع البيان (٣٤٤/١١)، والحجرات (١٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾الآية جامع البيان (٣٩٤/١١)، والحديد (٧) ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾الآية جامع البيان (٦٧١/١١)، والحشر (٢) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٩/١٢)، والممتحنة (٣) ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ جامع البيان (٥٩/١٢).

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات المتتابعة :

وهو مقسم إلى مطالب :

المطلب الأول : قد يكون بيان المعنى بذكر الاسم الموصول ونحوه مما يفسر معنى ما قبله ويوضحه .

المطلب الثاني : السياق يبين معنى الكلام ويدفع إيهام التناقض .

المطلب الثالث : السياق المعلل يدل على المراد .

المطلب الرابع : الجواب على الاستفهام .

المطلب الخامس : قد يتوعّد الله قوماً ولا يحصل الوعيد المؤكد ، ويدل السياق على حكمة عدم إيقاعه .

المطلب السادس : قد يرد العطف بين الجمل ، ولكن لا يدخل بعضها على المعنى الذي عطفت عليه

المطلب الأول :

قد يكون بيان المعنى بذكر الاسم الموصول ونحوه مما يفسر معنى ما قبله ويوضحه :

ومن أمثلة هذا النوع قوله -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ المؤمنون: [١ - ١١] فالمؤمنون المفلحون هم الموصوفون بالأوصاف التالية بعد الآية الأولى ، فما بعد الآية الأولى يعتبر توضيحاً للمؤمنين المفلحين .(١)

وقوله -تعالى-: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٧] ، بين الله -عزّ وجلّ- الذي في صحف موسى فقال : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ النجم: [٣٨ - ٤١] .(٢)

وفي قوله -تعالى-:﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة: ١] تلك البينة هي : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ [البينة: ٢] .(٣)

---

(١) انظر جامع البيان (٩/١٩٦-٢٠١) .

(٢) انظر جامع البيان (١١/٥٣٣) .

(٣) انظر جامع البيان (١٢/٦٥٦) . وانظر مواضع أخرى في : الأنعام (١٤٢-١٤٤) ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ الآيات جامع البيان (٥/٣٧٤) ، والحج (٣٤-٣٥) ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/١٥١)، والشعراء (٧٧-٨٢) ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الآيات جامع البيان (٩/٤٥٢) ، والنمل (٢-٣) ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/٤٩٤) ، والليل (١٥-١٦) ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ جامع البيان (١٢/٦١٨-٦١٩) ، و(١٧-٢١) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٦١٩) ، والناس (٤-٥)﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٧٥٣) .

المطلب الثاني : السياق يبين معنى الكلام ويدفع إيهام التناقض :

إذا أمعن المفسر النظر في سياق الآيات من كتاب الله –عزّ وجلّ – ، يظهر له من ذلك ما يكون معبّراً عن الإعجاز العظيم في كلام الله العزيز ، ويدفع ما يتوهم القارئ لأول وهلة أنه مستبعد ومستغرب ومتناقض ، فيتبين له أنه : هو عين الحكمة والمناسبة .

ومن أمثلة ذلك : دعاء زكريا ربه حين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم: ٤ - ٦] ، وبشّرته الملائكة بغلام اسمه يحيى ، فقال بعد البشرى : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ ﴾ [مريم: ٨] ، فهذا القول معناه : "ربّ أنى يكونُ لي غُلام ؟ ، ومن أيّ وجه يكون لي ذلك ؟ ، وامرأتي عاقر لا تحبل ، وقد ضعُفت من الكبر عن مباضعة النساء ؟ ، أبأن تقوّيني على ما ضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتي ولوداً ؟ ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر ؟ يستثْبتُ ربَّه الخبر ، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد الذي بشّره الله به ، لا إنكاراً منه– ﷺ – حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكاراً لأن يرزقه الولد الذي بشّره به ، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك ، بقوله : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[مريم: ٥] ..."[1]

فدلّ السياق وهو قصة طلب زكريّا –عليه السّلام– ربّه الولد ، على أنّ قوله بعد البشارة بيحيى : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ، ليس إنكاراً للبشارة ؛ لأنها تحقيق لما دعاه وسأله ، وحمل قوله ذلك : على الاستثبات عن كيفية حصول الولد ، وما الذي سيتغير في حاله ؟ هو ؟ أم زوجته ؟ ونحو ذلك على ما تقدّم .

وفي قوله –تعالى–: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤ ﴾ [المائدة: ٤] فإمساك الصيد من

(١) جامع البيان (٨/٣١٠) .

الحيوان المعلَّم معناه: عدم أكله منها، فإذا أكل فقد دخل في المحرّم السابق، وهو قوله: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣] [١].

وفي قوله -تعالى-: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف: ٧٧] طلبٌ من ثمود بأن يأتي صالح بما توعّدهم به، وما الذي توعّدهم به؟، إنّه عذاب الله ونقمته؛ بدليل قوله بعدها: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٨]، وهذا جواب لطلبهم [٢].

---

(١) انظر جامع البيان (٤/٤٣٦)، وتحقيق شاكر (٩/٥٦٤).

(٢) انظر جامع البيان (٥/٥٣٨)، وتحقيق شاكر (١٢/٥٤٤). وانظر موضعين آخرين في المائدة (٩٤-٩٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الآيتين جامع البيان (٥/٤٠-٤١)، والتوبة (٩٣) ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٤٨).

المطلب الثالث : السياق المعلّلُ يدلُّ على المراد :

فأقرب الناس للمؤمنين النصارى ، ولكن ليس كل من تسمى نصرانيًا كان قريباً من المؤمنين ، وإنما من كان منهم على صفة معينة : قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٤] ، فهذه الصفات الحميدة في هؤلاء القسّيسين والرهبان توصلهم إلى الدخول في الإسلام حتماً ، وليس مجرّد القرب من المؤمنين فقط ؛ ولذلك كان ثوابهم: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة: ٨٥] وهذا الثواب دليل على أنّ قربهم من المؤمنين ليس لمجرد النصرانية ؛ بل لما في قلوبهم من التجرّد لطلب الحق ، والخشوع للموعظة ، وأنهم لا يستكبرون .[1]

---

(١) انظر جامع البيان (٥/٦-٩) ، ومثله في المائدة (٧٨-٨٠) ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الآيات جامع البيان (٥/٦٥٨-٦٥٩) .

المطلب الرابع : الجواب على الاستفهام يدل على معنى :

وأغلب أمثلته في حزب المفصّل [1] : ومنها قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾ [الصف: ١٠ - ١١] قال -رحمه الله- " فبيّن لنا -جلّ ثناؤه- ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم ، فقال: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ محمد -ﷺ- ". [2]

وقوله -تعالى-: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ ﴾ [المرسلات: ١٢] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى ذِكْره- مُعَجِّباً عباده من هول ذلك اليوم وشدّته : لأيّ يوم أجّلت الرسل ووقّتت ؟ ، ما أعظمه وأهوله ، ثم بين ذلك : وأيّ يوم هو؟ فقال : ﴿ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ ﴾ [المرسلات: ١٢ - ١٣] " [3]

وقوله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٨] ثم بيّنه فقال : ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ [الانفطار: ١٩] . [4]

(١) تحديد نهاية المفصل بسورة الناس متفق عليه ، وأما بدايته فعلى أقوال ، والمشهور الصحيح أنه من : سورة ق إلى الناس ، وانظر مقدمة بحث الدكتوراه عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصّل ، صفحة (١٤-١٥) .

(٢) جامع البيان (٨٤/١٢) .

(٣) جامع البيان (٣٨٣/١٢) .

(٤) انظر جامع البيان (٤٨١/١٢). وانظر مواضع أخرى في : عبس (١٨-١٩) ﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٤٧/١٢) ، والطارق (١-٣) ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾ الآيات جامع البيان (٥٣٢/١٢) ، و(٥-٦) ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ الآيتين جامع البيان (٥٣٤/١٢) ، والبلد (١١-١٦) ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ ﴾ الآيات جامع البيان (٥٩٣/١٢-٥٩٤) ، والقارعة (١-٥) ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ الآيات جامع البيان (٦٧٥/١٢-٦٧٦) ، و(٩-١١) ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ الآيات جامع البيان (٦٧٧/١٢) ، والهمزة (٤-٦) ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ ﴾ الآيات جامع البيان (٦٨٩/١٢) .

المطلب الخامس:

قد يتوعّد الله قوماً ولا يقع الوعيد المؤكّد،ويدلّ السّياق على حكمة عدم إيقاعه :

كتهديد اليهود في المدينة بطمس الوجوه ، وردها على أدبارها ، ونحو ذلك ، في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء: ٤٧] ، ولم يقع العقاب عليهم ، -ولو وقع لنقل -؛ لأن بعض اليهود استجاب للنداء التحذيري ، فآمن منهم أمثال : عبد الله بن سلام وغيره ، ودلّ قوله -تعالى-: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ﴾[النساء: ٥٥]، على أنّ فريقاً منهم آمن.[1]

---

(١) انظر جامع البيان (٤/١٢٧و١٤٤) ، وتحقيق شاكر (٨/٤٤٥) .

المطلب السادس:

قد يرد العطف بين الجمل ، ولكن لا يدخل بعضها على المعنى الذي عطفت عليه:

حرف العطف يربط الكلمات بمعنى واحد ، ولكن في بعض الأحوال وحسب الشيء المذكور، قد تدخل المعطوفات فتشترك في الحكم ، وقد لا تشترك : ومن أمثلة ذلك :

قوله -تعالى-: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ١٧ -٢٣] فقوله: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ مما يطاف به على أهل الجنة ، ولكن الحور العين في قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ ، لا يطاف بهن عليهم ، وإتباع الآخر بالأول في الإعراب ، مع أن المعنى مختلف ؛ لأن المعنى معروف ظاهر .(١)

هذه أمثلةٌ دلّ السياق فيها على المعنى ، وكان السياق فيها بين آيات متتابعة .

-فرحم الله الإمام الطبري – ما أحسن استنباطه ، وأحسن تتبعه للسياق...(٢)

---

(١) انظر جامع البيان (٦٣٢/١١) . وذكر الباقلاني :أن الفاكهة واللحم كذلك لا يطاف بها ، وإنما يؤتون بها مع ما يطاف به عليهم . انظر الانتصار للقرآن ٥٧٦/٢ ، تحقيق د. محمد عصام القضاة .

(٢) انظر بقية المواضع مثلها عموماً في : البقرة (٣٥) ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٦/١) ، و(١١١) ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ جامع البيان (٦١٠/١) ، و(١٤٧) ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ جامع البيان (٣٠/٢) ، و(٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/٢) ، وآل عمران (٤) ﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ الآية جامع البيان (١٦٩/٣) ، و(٣٦) ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ الآية جامع البيان ٢٣٦/٠٣-٢٣٧) ، و(٧٠) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ جامع البيان (٣٠٧/٣) ، و(١٤٣) ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ جامع البيان (٤٥٣/٣) ، و(١٥١) ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ جامع البيان (٤٦٨/٣) ،

والنساء (١١٦) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٢٧٧/٤) ، والمائدة (٨٥) ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٥) ، و(١٠٢) ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ جامع البيان (٨٦/٥-٨٧) ، والأنعام (١١٧) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ جامع البيان (٣٢٠/٥) ، و(١٦٠) ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ جامع البيان (٤١٦/٥) ، والأعراف (٢٣) ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٤٥٣/٥) ، و(٢٩) ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ جامع البيان (٤٦٤/٥) ، و(٤٥) ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ جامع البيان (٤٩٦/٥) ، و(٧٠) ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ جامع البيان (٥٢٨/٥) ، و(٩٩) ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٦) ، و(١٠٣) ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٤/٦) ، و(١١٨) ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢٣/٦) ، و(١٢٣) ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢٤/٦) ، و(١٥٣و١٥٤) ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ ﴾ الآيتين جامع البيان (٧٢/٦) ، و(١٦٤) ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ جامع البيان (٩٥-٩٦) ، و(١٨٥) ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (١٣٥/٦) ، و(٢٠٠) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٥٥/٦) ، والأنفال (١٤) ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ جامع البيان (١٩٨/٦) ، و(٢٦) ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٢١٨/٦)، و(٤٢) ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢٥٧/٦) ، و(٥٣) ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ جامع البيان (٢٦٩/٦)، والتوبة (٦) ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢١/٦) ، و(٧) ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٣/٦) ، و(٥٧) ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ جامع البيان (٣٩٢/٦) ، ويونس (٦٠) ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾الآية جامع البيان (٥٧٢/٦) ، وهود (٢-٣) ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ الآيتين جامع البيان (٦٢٢/٦) ، و(٨٣) ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ جامع البيان (٩٤/٧) ، ويوسف (٣١) ﴿ فَلَمَّا

=

=

سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٨/٧) ، و(٣٤) ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ جامع البيان (٢٠٩/٧)، و(٥١) ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٧) ، و(٨٩) ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ (٨٩) ﴾ جامع البيان (٢٩٠/٧)، و(١٠٠) ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾الآية جامع البيان (٣٠٤/٧) ، و(١٠٦) ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ جامع البيان (٣١٢/٧) ، والرعد (٢٢) ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٦/٧) ، و(٤٢) ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾الآية جامع البيان (٤٠٩/٧) ، وإبراهيم (٢٨) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ (٢٨) ﴾ جامع البيان (٤٥٢/٧) ، والنحل (٥٥) ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥) ﴾ جامع البيان (٥٩٨/٧) ، و(٦٧) ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ جامع البيان (٦٠٧/٧) ، و(٨٣) ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٣) ﴾ جامع البيان (٦٣٠/٧) ، و(٨٥) ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) ﴾ جامع البيان (٦٣١/٧) ، و(٩٢) ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٩/٧) ، و(١١٣) ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) ﴾ جامع البيان (٦٥٦/٧) ، و(١١٦) ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٥٨/٧) ، والإسراء (١٠) ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) ﴾ جامع البيان (٤٤/٨)، و(٢٦) ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) ﴾ جامع البيان (٦٨/٨) ، والكهف (١٩) ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾الآية جامع البيان (١٩٦/٨) ، و(٣٧) ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) ﴾ جامع البيان (٢٢٤/٨) ، و(٤٤) ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ جامع البيان (٢٢٧/٨) ، و(٥٠) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٥/٨) ، و(٨٦) ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٥/٨) ، ومريم (٩) ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) ﴾ جامع البيان (٣١١/٨-٣١٢) ، و(٢٩) ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) ﴾ جامع البيان (٣٣٦/٨) ، و(٦٠) ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) ﴾ جامع البيان (٣٥٧/٨) ، و(٦٦) ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) ﴾ جامع البيان (٣٦٢/٨) ، و(٧٦) ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٧٦) ﴾ جامع البيان (٣٧٤/٨) ، و(٧٨) ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) ﴾ جامع البيان (٣٧٦/٨) ، وطه (١١) ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ (١١) ﴾ جامع البيان (٣٩٦/٨) ، و(٢٢) ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ (٢٢) ﴾ جامع البيان (٤٠٩/٨) ، و(٣٧)

=

=

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ جامع البيان (٤١١/٨)، و(٣٩) ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٨-٤١٣)، و(٧٥) ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ جامع البيان (٤٣٧/٨-٣٤٨)، و(٨٥-٨٦) ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ الآيتين جامع البيان (٤٤٣/٨)، و(١٣٢) ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (٤٧٩/٨)، والأنبياء (٧٥) ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ جامع البيان (٤٨/٩)، والحج (٦٠) ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٨٢/٩)، والمؤمنون (١١١) ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ جامع البيان (٢٥١/٩)، والفرقان (١١) ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ جامع البيان (٣٦٩/٩)، و(٦٨) ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ جامع البيان (٤١٤/٩)، والشعراء (١٠) ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ جامع البيان (٤٣٤/٩)، و(٢١١) ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ جامع البيان (٤٨٠/٩)، و(٢١٦) ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٤٨٥/٩)، والنمل (٦٥) ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ جامع البيان (٧/١٠)، و(٦٩) ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١٠)، و(٨٩) ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ جامع البيان (٢١/١٠)، والقصص (١٣) ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ جامع البيان (٤٠/١٠)، و(٥١) ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ جامع البيان (٨٣/١٠)، والعنكبوت (٥) ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (١٢٢/١٠)، و(٢٦) ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٣٣/١٠)، ولقمان (٣٤) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٦/١٠)، والسجدة (٢) ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ جامع البيان (٢٢٩/١٠)، والأحزاب (١٦) ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٢٧٢/١٠)، و(٣٩) ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ جامع البيان (٣٠٥/١٠)، وسبأ (٩) ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٩/١٠)، و(٢٣) ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٢/١٠)، وفاطر (٢٣) ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٤٠٧/١٠)، و(٣٢) ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية جامع البيان (٤١٣/١٠)، ويس (٧٦) ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ جامع البيان (٤٦٣/١٠)، والصافات (٤) ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ

=

=
﴿٤﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٦٩)، و(٤١) ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٨٤)، و(٥٨) ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ
﴿٥٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٩٣)، و(٦٩) ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٩٦)، و(١٢٧) ﴿فَكَذَّبُوهُ
فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٢٣)، وسورة ص (٤٩) ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ جامع البيان
(١٠/٥٩٥)، و(٥٥) ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٩٧)، و(٧١) ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ
بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٦٠٥)، و(٧٨) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٦٠٦)، والزمر
(٤٠) ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٩)، و(٥٠) ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٣)، وغافر (١٩) ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ جامع
البيان (١١/٥٠)، و(٢٥) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾الآية جامع
البيان (١١/٥٢)، و(٤١-٤٣) ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾ الآيات جامع البيان
(١١/٦٣)، و(٤٦) ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ جامع البيان
(١١/٦٦)، و(٥٥) ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ جامع البيان
(١١/٧٠)، وفصلت (٢٧) ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ جامع البيان
(١١/١٠٥)، والشورى (١٤) ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾الآية جامع البيان (١١/١٣٦)، و(٥٣)
﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٦٤)، والزخرف (١٣)
﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٧٠)، و(٦٥) ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٢٠٨)، والجاثية (٣٣) ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٢٦٩)، والأحقاف (٢٣) ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي
أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٢٩٢)، ومحمد (١١) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾
جامع البيان (١١/٣١٢)، والفتح (١٤) ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾الآية جامع البيان
(١١/٣٤٢)، و(١٦) ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية جامع البيان ١١/٣٤٦)، و(٢٢)
﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣٥٤)، و(٢٧) ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ
رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٣٦٧)، والحجرات (٥) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣٨٣)، والطور (١١-١٣) ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾
الآيات جامع البيان (١١/٤٨٥)، و(٤٦) ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٤٩٨)،
=

=

والنجم (٤٥) ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ جامع البيان (١١/٥٣٥)، والتغابن (١٦-١٧) ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/١١٩-١٢٠)، والطلاق (٢) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٢٩-١٣٠)، والملك (٢٧) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/١٧٣)، والقلم (٢٨) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ جامع البيان (١٢/١٩٤)، و(٥١-٥٢) ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٢٠٤)، والمعارج (٤٣) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ جامع البيان (١٢/٢٤٣)، ونوح (٣-٤) ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٢٤٦)، والجن (١٤) ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ جامع البيان (١٢/٢٦٨)، والمدثر (٢٧) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣١٠)، و(٣٢) ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣١٥)، و(٥٤) ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٢٣)، والإنسان (١٢-١٣) ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٣٦٣)، والمرسلات (١٦) ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٨٤)، و(٢٩) ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٨٧)، و(٥٠) ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٩٤)، والنبأ (١) ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٩٥)، و(١٧) ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤٠١)، و(٣١-٣٢) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٤١٠)، والنازعات (٢٧) ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٦)، والتكوير (٢٧) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤٧٥)، والانفطار (٦) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤٧٩)، والبلد (٧) ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ جامع البيان (١٢/٥٩٠)، والعلق (١) ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ جامع البيان (١٢/٦٤٤)، والزلزلة (٧-٨) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٦٦١)، والهمزة (٣) ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ جامع البيان (١٢/٦٨٨).

المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف:

إن من تمام معنى الكلام : معرفة من توجه إليه الخطاب ، ومن الموصوف في الخطاب بتلك الصفات ، حتى يعرف الخطاب هل كان عاماً أم خاصاً ؟ ، ولماذا وُجِّه الخطاب إلى أولئك وليسوا هم الفاعلين ، ونحو ذلك ، ومن أمثلته :

قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥] قال -رحمه الله- :"...فأعلمَ ربنا -تبارك وتعالى ذِكْره -الذين خاطبهم بهذه الآيات ، من يهود بني إسرائيل ، الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله-ﷺ- ، أنهم لن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمداً -ﷺ- ، وجحودهم نبوّته ، وتركهم الإقرار به ، وبما جاء به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بحقيقة أمره ، كأسلافهم وآبائهم ، الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى ، وتوثبهم على نبيهم موسى -صلوات الله وسلامه عليه - تارة بعد أخرى ، مع عظيم بلاء الله -جلّ وعزّ- عندهم ، وسبوغ آلائه عليهم."(١)

ومن المعلوم أن المعاصرين للنبي -ﷺ- من اليهود ، داخلون في الخطاب ، أو هم المخاطبون به ، وذلك بسبب رضاهم عن فعل آبائهم ، فكان الخطاب لهم بهذا الاعتبار ، ولا يصح توجيه الخطاب إلى القائلين لموسى-ﷺ- : أرنا الله جهرة ؛ لهلاكهم زمن موسى -ﷺ- فخطاب الميت لا يصح .

وقوله -تعالى-: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات: ٧] فالتعبير بالظرفية في قوله : ﴿ فِيكُمْ ﴾ ، يفيد أنه موجه للصحابة في حياة رسول الله -ﷺ- ، وليس للمؤمنين عامة .(٢)

وفي خطاب الله للمؤمنين عموماً ، يدخل الذكور والإناث ، ولكن بعض الآيات قد يدل السياق فيها على اختصاص بعض الأوصاف للذكور ، كما في وصف المؤمنين المفلحين بقوله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ

---

(١) جامع البيان (٣٢٨/١) ، وتحقيق شاكر (٨٢/٢) .

(٢) انظر جامع البيان (٣٨٥/١١) .

هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ٥-٦، المعارج: ٢٩-٣٠] فلما كانت الرجال مباحاً لها : الحرّة بالنكاح ، والأمة بملك اليمين ، صرف الخطاب لها ، دون النساء التي لا يحل لهن ذلك ، ولكن بقية الصفات عامة للجنسين من المؤمنين .(1)

وقريب من هذا المعنى قوله -تعالى-: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ ﴾ [الطور: ٢٠] قال -رحمه الله-: " وقوله : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: وزوّجنا الذكور من هؤلاء المتقين ، أزواجاً بحور عين من النساء ." (2)

إذ إن الحور العين إناث للذكور ، ولكن الاتكاء على السرر المصفوفة عام لأهل الجنة ، وكذا ما قبله من النعيم .(3)

---

(1) في جامع البيان ذكر الطبري -رحمه الله- أن الفروج فروج الرجال ، ولم يذكر أن السياق هو السبب . (١٩٩/٩) .

(2) جامع البيان (٤٨٧/١١) .

(3) وانظر بقية أمثلة تحديد المخاطب والموصوف في : البقرة (١٥١) ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية جامع البيان (٤٠/٢) ، و(٢١٨) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٨/٢) ، وآل عمران (١٦٩) ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ ﴾ جامع البيان (٥١٣/٣) ، والنساء (٤٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ ﴾ جامع البيان (١٣١/٤) ، و(١٥٠) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ ﴾ جامع البيان (٣٤٣/٤-٣٤٤) ، و(١٧١) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ جامع البيان (٣٧٢/٤) ، والمائدة (٧٤) ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ جامع البيان (٦٥٣/٤) ، و(١٠٠) ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾الآية جامع البيان (٨٠/٥-٨١) ، والأنعام (٩١) ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٥/٥) ، و(٩٤) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٢/٥)، و(١١٦) ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٣١٩/٥) ، والأعراف (٥١) ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾الآية جامع البيان (٥٠٩/٥-٥١٠)، والنحل (٤٥) ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ جامع البيان (٥٨٩/٧) ، والإسراء (٩٤) ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ ﴾ جامع البيان (١٥١/٨) ، والكهف (٤٨) ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ
=

المبحث الرابع:احتمال السّياق لمعانٍ متعدّدة :

إنّ دلالة السياق على المعنى واضحة في مواضع كثيرة ، ومرجّحة لقول على سائر الأقوال الأخرى ، وقد سبق شيء من ذلك ، وسيرد في الفصل الأخير التوسع في الأمثلة ، ولكن هناك مواضع يحتمل السياق أوجهاً ، وليس هناك مرجّحٌ واضح لأحدها ، وهذا من إعجاز كلام الله –عزّ وجلّ- أن يحتمل معاني كثيرة ، غير متناقضة ، والفقيه الذي يحسب للمعنى أوجهاً ثم يختار منها ما يترجح بالأدلة[1].

ومن المواضع التي ذكر الطبري –رحمه الله– احتمالها لأقوال :

١– احتمال أن يكون القول من قول الله –عزّ وجلّ– أو غيره : كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يس: ٤٧] **قال – رحمه الله –** :"...وفي قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين ، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ : ما أنتم أيها القومُ في قيلكم لنا : أنفقوا

=

صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٢٣٣) ، والنور (٥٤) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٤٢) ، و(٥٩) ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٤٨) ، والقصص (٦٣) ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾الآية جامع البيان (١٠/٩٣) ، ولقمان (٢٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٢٢-٢٢٣) ، والسجدة (٢٧) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢٥١)، وغافر (١٤) ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٤٦) ، وفصلت (٤٩) ﴿ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٢٣) .

(١) انظر الإتقان (١/٤٤٥-٤٤٦) .

مما رزقكم الله على مساكينكم ، إلا في ذهاب عن الحقّ ، وجور عن الرشد ، مُبين لمن تأمله وتدبره أنه في ضلال ، وهذا أوْلى وجهيه بتأويله . والوجه الآخر : أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذٍ : ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، إلا في ضلال مبين ، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال ." (١)

فهذان القولان محتملان ، وقد ذكر ابن جرير –رحمه الله- أن الأول أولى من الآخر ، وبنحوه قال ابن كثير والبغوي ، واستظهره الآلوسي – رحمهم الله – (٢) –والله أعلم –.

٢- احتمال الوصل والقطع في الكلام : كما في قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه: ٧٢] **قال –رحمه الله–**: " ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ يقول : قالوا : لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات ، وعلى الذي فطرنا...فـ{الّذِي} من قوله : ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ خفض على قوله : ﴿مَا جَآءَنَا﴾ ، وقد يحتمل أن يكون قوله : ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ خفضاً على القسم ، فيكون معنى الكلام : لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والله ." (٣)

فقوله : ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ﴾ إما أن يحمل على القسم ، فكأهم قالوا : والله لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ، أو يحمل على البيان أهم قالوا : لن نقدم على عبادة الله الذي فطرنا أحداً مهما كان .

٣- قد يحتمل السياق معاني كثيرة ، ولكن السياق يحصر نوعها : كما في قوله -تعالى- : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة: ٥٢] **قال –رحمه الله–** :"...وأما قوله : ﴿بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فإن السديّ كان يقول.: الأمر : الجزية ، وقد يحتمل أن يكون الأمر الذي وعد الله نبيّه محمّداً -ﷺ – أن

---

(١) جامع البيان (٤٤٨/١٠) .
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤) ، ومعالم التنـزيل (١٤/٤) ، وروح المعاني (٤٤/٢٣/١٣) .
(٣) جامع البيان (٤٣٦/٨) .

يأتي به : هو الجزية ، ويحتمل أن يكون غيرها ، غير أنه أيّ ذلك كان ، فهو مما فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله ، ومما يسوء المنافقين ولا يسرّهم ، وذلك أن الله -تعالى ذِكْره- قد أخبر عنهم أن ذلك الأمر إذا جاء : أصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ." (١)

فالأمر الذي يأتي به الله-عزّ وجلّ – قد يكون جزية أو غيرها ، ولا يدخل في هذا الأمر إلا ما يظهر فيه على المنافقين الحسرة والندم .

(١) جامع البيان (٤/٦٢٠) ، وتحقيق شاكر (١٠/٤٠٦) . انظر بقية المواضع في : الروم (٣٢) ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١٨٥) ، والشورى (٧) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٢٩-١٣٠) ، والدخان (١٥) ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٢٢٩) ، والقمر (٥) ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٥٤٩) .

المبحث الخامس :

مواضع لم يَستعِن فيها الإمام الطبري-رحمه الله- بالسّياق لإظهار المعنى:

بعد المرور على أمثلة كثيرة للإمام الطبري -رحمه الله- في تتبع السياق ، والاستفادة منه للوصول إلى المعنى ، هناك مجموعة قليلة من المواضع التي لم يستعمل فيها السياق ، ومنها :

لما ذكر الله -عزّ وجلّ -منّته على رسوله محمدٍ -ﷺ- في سورة الضحى في قوله -تعالى-: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ ﴾ [الضحى: ٦ -٨]، قال : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ [الضحى: ٩ - ١١] ، ولكن لم يربط ابن جرير -رحمه الله- في المعنى بين هذه الآيات وما قبلها [(١)]، و لم يذكر أنّ هذه الأوامر هي في مقابل تلك النعم الماضية.

فحين يوجد هذا الربط والتقابل ، يكون أمره بعد هذه النعم أن يتذكر حاله سابقاً، ويرفق بمن كانوا في مثل حاله ، ويترتب على ذلك وضوح معنى السائل في قوله : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ١٠] وأنه : سائل العلم ، فكما كنت ضالا فهداك الله ، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد .

وأن معنى النعمة التي يتحدث بها في قوله -تعالى-: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾ [الضحى: ١١] هي بعد أن كان فقيرا فأغناه الله فحدث بنعمة الله عليك ، وقيل : هي النبوة ، أو القرآن ، ومن التحدّث بنعمة النبوّة دعوة الناس إلى الإيمان بها ، والدخول في الإسلام الذي يدعو إليه .[(٢)] والله أعلم .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾ [الجمعة: ٥] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى ذِكْره- : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ يقول : ثم لم يعملوا بما

---

(١) جامع البيان (١٢/٦٢٥) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٤/٥٢٤-٥٢٥) . وقال ابن القيم :" والتحقيق أن الآية ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ تتناول النوعين" . التبيان في أقسام القرآن (٨٥) .

فيها ، وكذّبوا بمحمد - ﷺ - ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ...(١)

وإنما سياق سورة الجمعة في اليهود ، فقد قال الله -تعالى - بعدها : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾ [الجمعة: ٦].

وفي قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [الحشر: ١٠] (٢) لم يذكر -رحمه الله- : العطف على أهل الفيء ، حيث اشترط العلماء فيهم : الترضي عن صحابة رسول الله -ﷺ- كما ورد ذلك عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ومالك وأحمد -رحمهما الله -، وغيرهم .

قال القرطبي -رحمه الله -: " هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظّاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ، وأن مَن سبّهم أو واحداً منهم ، أو اعتقد فيه شرّاً ، أنه لا حق له في الفيء ، روي ذلك عن مالك وغيره . قال مالك : من كان يُبْغِض أحداً من أصحاب محمد-ﷺ - ، أو كان في قلبه عليهم غِلّ ، فليس لـه حق في فَيْء المسلمين ، ثـم قرأ : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ﴾ الآية ." (٣)

(١) جامع البيان (٩٢/١٢) .

(٢) وموضع تفسير الآية من جامع البيان (٤٣/١٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (جزء ٢٢/١٨) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٣٣٩/٤-٣٤٠) . وانظر بقية المواضع في: المائدة (٢٠) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٩/٤) ، ويوسف (٤٦) ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/٧)، و(٥٢) ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۝﴾ وما بعدها ، جامع البيان (٢٣٥/٧) ، والأنبياء (٧٩) ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الآية جامع البيان (٤٩/٩) ، ولقمان (٣) ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ جامع البيان (٢٠١/١٠) ، والذاريات (١٦) ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝﴾ جامع البيان (٤٥١/١١) ، والرحمن (٧٠) ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝﴾ جامع البيان (٦١٣/١١) ، والواقعة (٦٨) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝﴾ ، و(٧١) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝﴾ جامع البيان (٦٥٥/١١) ، والطلاق ، (٦) ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١٤٠/١٢) ، والتحريم

فأهل الفيء في الآيات هم : مهاجرون وأنصار ثم تابعون لهم بإحسان ، والآيات معطوف بعضها على بعض في حكم الفيء ومصرفه ، قال تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ٧ - ١٠].

وفي ختام الفصل : يتبيّن أنّ لدلالة السياق أثراً واضحاً ومهماً جداً في الوصول إلى المعنى ، سواء كان ذلك في الآية الواحدة ، أو الآيات المتعددة ، ومن الوصول إلى تمام المعنى وكماله الجواب على ما يوهم التناقض ، ومعرفة أن الجواب عائد على السؤال ، وأن المعطوف المشترك مرتبط مع عطف غير المشترك في المعنى ، ومن تمام المعنى تحديد المخاطب والموصوف ، ومع ما سبق فهناك حالات للسياق قد تحتمل أوجهاً متعددة ولا يتضح المعنى بجلاء لأحدها دون البقية ، ولكن للسياق دور في حصرها .-والله الموفق - .

=

(٥) ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٥٦) ، والقيامة (٣٦) ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٣٥١) ، والمطففين (١٠) ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٤٨٩) .

الفصل الخامس

أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم :

الفصل الخامس :

أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم :

هذا الفصل يبين أثر دلالة السياق الواضح لما حذف متعلّقه من كلام الله –عز وجل – على عبارة المفسر ، والمتعلّق يرد في النحو ، ومعناه : رجوع الظرف أو الجار والمجرور إلى المتعلّق ، وهو : الفعل أو ما يشبهه لتكملة المعنى [1]، حيث يتبع المفسر سياق الآية بين الآيات ، ويحمل معنى ما حذف متعلّقه على ما كان السياق فيه ، أو قد يذكر المعنى الخاص للسياق ويذكر العام معه ، وسار على هذه الطريقة الطبري –رحمه الله- .

ويتضح معنى هذا الفصل والتمثيل عليه باختصار من كلام العلامة السعدي –رحمه الله- حيث يقول في : " حذف المتعلّق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له، وهذه قاعدة مفيدة جداً ، متى اعتبرها الإنسان في الآيات القرآنية أكسبته فوائد جليلة، وذلك أن الفعل وما في معناه متى قُيِّد بشيء تقيد به ، فإذا أطلقه الله -تعالى- ، وحَذَف المتعلّق كان القصد من ذلك التعميم ، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد كثيراً من التصريح بالمتعلّقات ، وأجمع للمعاني النافعة ، ولهذا أمثلة كثيرة جداً منها : أنه قال في عدّة آيات : ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [2]﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [3]

---

(١) انظر المعجم المفصل في النحو (١/٣٦٢) .

(٢) ورد التعليل بهذا في : البقرة (٧٣) ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، و(٢٤٢) ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، والأنعام (١٥١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، ويوسف (٢) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، والنور (٦١) ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، والزخرف (٣) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، والحديد (١٧) ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

(٣) ورد التعليل بهذا في : الأنعام (١٥٢) ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، والأعراف (٥٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ،والنحل(٩٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [(١)] فيدلّ ذلك على أن المراد :

لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه ، وكل ما علمكموه ، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة .

ولعلكم تذكرون فلا تنسون وتغفلون ،فتكونوا دائما متيقظين ، مرهفي الحواس، تحسون كل ما تمرون به من سنن الله وآياته ، فتذكرون جميع مصالحكم الدينية والدنيوية .

ولعلكم تتقون جميع ما يجب اتقاؤه ، من الغفلة ، والجهل ، والتقليد ، وكل ما يحاول عدوكم أن يوقعكم فيه ، من جميع الذنوب والمعاصي، ويدخل في ذلك ما كان سياق الكلام فيه ، وهو فرد من أفراد المعنى العام...

[ثم مثل بأمثلة منها] : ما أمر به من الصلاح والإصلاح ، وما نهى عنه من الفساد والإفساد مطلقاً ، يدخل فيه كل صلاح في الدنيا والدين ، كما يدخل في النهي كل فساد كذلك...وكــذلك قوله -تعالى- : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر: ١] فحذف المتكاثر به ؛ ليعم ما قصد الناس فيه المكاثرة : من الرياسات ، والأموال ، والجاه ، والضيعات ، والأولاد ، وغيرها مما يتعلّق به أغراض النفوس الغافلة عن حكمة الله وسننه ، فيلهيها ذلك عن طاعة الله... وكذلك أمره بالصبر ، ومحبته للصابرين ، وثناؤه

=

وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ والنور (١) ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ ، و(٢٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ ، والذاريات (٤٩) ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ .

(١) ورد التعليل بهذا في : البقرة (٢١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ ، و(٦٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ ، و(١٧٩) ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ ، و(١٨٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ ، والأنعام (١٥٣) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ ، والأعراف (١٧١) ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧١﴾ .

عليهم ، وبيان كثرة أجورهم ، من غير أن يقيد ذلك بنوع ؛ ليشمل أنواع الصبر الثلاثة ، وهي : الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله . ومقابل ذلك ذمه للكافرين ، والظالمين ، والفاسقين ، والمشركين ، والمنافقين ، ونحوهم ، من غير أن يقيّده بشيء ؛ ليشمل ذلك جميع المعنى ، ومن هذا قوله -تعالى- : ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦] ؛ ليشمل كل حصر ومنع ، ومنه قوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾[البقرة: ٢٣٩] ؛ ليعم كل خوف ، وقد يقيد ذلك ببعض الأمور ، فيتقيّد به ما سيق الكلام لأجله ، وهذا شيء كثير ، لو ذهبنا نذكر الأمثلة عليه لطالت ، ولكن قد فتح لك الباب ، فامش على هذا السبيل المفضي إلى رياض بهيجة من أصناف العلوم ." [(١)]

وسيكون الحديث في هذا الفصل حسب تعامل الإمام -رحمه الله-مع هذا الأثر من خلال

المباحث التالية :

المبحث الأول : ذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثاني : ذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثالث : ذكر المعنى المناسب للسياق من ختام الآيات بأسماء الله -سبحانه وتعالى- مع الإشارة للعموم أو بدونها . [(٢)]

المبحث الرابع : موضع لم يستعمل فيه الإمام ابن جرير -رحمه الله- الطريقة السابقة .

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (٤٦-٥٠) . ولم يذكر أمثلة لما يقيد به السياق إذا كان الكلام له متعلّق ، وقد يكون المذكور بعد المتعلّق دليلاً على تخصيصه : كقوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾البقرة: [٢١٩ - ٢٢٠] ونحوها . -والله أعلم -.

(٢) ويلاحظ أن المعنى لما حذف متعلّقه -سواء ذكر المعنى الخاص للسياق وحده ، أو ذكر المعنى الخاص ومعه المعنى العام - فالمراد بالآية المعنى العام ، ويدخل الخاص فيه دخولاً أولياً .-والله أعلم -.

المبحث الأول :

ذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه:

إذا عقب الله -عزّ وجلّ- على حكم أو خبر ما تعقيباً محذوف المتعلّق، فقد يذكر ابن جرير -رحمه الله- المعنى القريب المناسب للآية، ولا يشير إلى غيره مما يشابهه، مع اندراجه في المعنى العام :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ... "﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ **قال أبو جعفر** : يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : والله يعلم ما هو خير لكم مما هو شر لكم، فلا تكرهوا ما كتبت عليكم من جهاد عدوّكم، وقتال من أمرتكم بقتاله، فإني أعلم أن قتالكم إياهم، هو خير لكم في عاجلكم ومعادكم، وترككم قتالهم شر لكم، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم، يحضّهم - جلّ ذكره - بذلك على جهاد أعدائه، ويرغّبهم في قتال من كفر به ." (١)

فذكر -رحمه الله- أن المراد بعلم الله -عز وجل- في هذه الآية، ونفي العلم عن المؤمنين، هو العلم بخيريّة القتال، وشرّية القعود عنه، مع أنه يصح أن يقال : بأن كل الأشياء يعلمها الله -عز وجل- علما محيطا، ولا يعلم الخلق شيئاً عن كثير منها .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النور: ٢٩] **قال -رحمه الله-** : وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ يقول : وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك، ما الذي تقصدون به ؟ إطاعة الله والانتهاء إلى أمره، أم غير ذلك ؟ " (٢).

فالله -عز وجل- يعلم كل ما يبدي الإنسان وما يخفي ،ولكن لما ذكر العلم في هذا الموضع

---

(١) جامع البيان (٢/٣٥٨-٣٨٩)، وتحقيق شاكر (٤/٢٩٩) .

(٢) جامع البيان (٩/٣٠٢) .

بالأخص ، جعل معناه مناسباً لمحلّه وسياقه ، وهو : الاستئذان .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين: ٣٦] قال -رحمه الله -: "وقوله: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين ؟ ، من سخريتهم منهم ، وضحكهم بهم، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون ، وهم في النار يعذّبون." [1]

ولاشك أن الله -سبحانه- مجازٍ الكفار في الآخرة على كل أفعالهم ، ولكن لما ذكر الله -تعالى- في هذا السياق الاستهزاء بالمؤمنين ، والضحك منهم ، حمل الفعل عليه و لم يذكر غيره مع أنه لا يمتنع دخول غيره .

وحكم هذا النوع : أن حصر المعنى على ما ورد فيه السياق مع جواز دخول غيره لا يعني نفي دخول الغير ، ولكن المقصود إظهار أهم هذه المعاني ، وأهمها ما دل عليه السياق ، وقد أدخل الإمام ما شابه السياق في القسم الثاني ؛ ولذلك قلت بدخول غير ما دل عليه السياق في معناه ؛ لتشابه المواضع في القسمين ، والتفريق بين المتشابهات غير مقبول .[2]

---

(١) جامع البيان (١٢/٥٠٣) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ جامع البيان (١/١٩٦) ، و(٢٤) ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (١/٢٠٤-٢٠٥) ، و(٤١) ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (١/٢٩٢) ، و(٧٧) ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ جامع البيان (١/٤١٦) ، و(٩٠) ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٦٢) ، و(٩٩) ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ جامع البيان (١/٤٨٦) ، و(١٢١) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ جامع البيان (١/٥٧٠)، و(١٤٠) ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾الآية جامع البيان (١/٦٢٧) ، و(١٤٦) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٢٩) ، و(١٥٩) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ
=

=

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ جامع البيان (٥٦/٢)، و(١٧٧) ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠٦/٢)، و(١٧٩) ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ جامع البيان (١٢٠/٢)، و(١٨٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٣٥/٢)، و(١٨٥) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ الآية جامع البيان (١٦٢/٢)، و(١٩٠) ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ جامع البيان (١٩٧/٢)، و(١٩٦) ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٢)، و(٢٠٢) ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ جامع البيان (٣١٣/٢-٣١٤)، و(٢٠٣) ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ جامع البيان (٣٢٤/٢)، و(٢٢١) ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/٢)، و(٢٧١) ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ جامع البيان (٩٢/٣)، و(٢٥٨) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢٩/٣)، وآل عمران (١٥) ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (٢٠٧/٣)، و(٤٩) ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٩/٣)، و(٨٣) ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ جامع البيان (٣٣٦/٣)، و(١١٢) ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٧/٣)، و(١١٧) ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ جامع البيان (٤٠٦/٣)، و(١٨٤) ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ جامع البيان (٥٣٩/٣)، والنساء (٣٢) ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ جامع البيان (٥١/٤)، و(٥٧) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٤٧/٤)، والمائدة (٧) ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (٤٨٢/٤)، و(٢٥) ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ جامع البيان (٥٢٢/٤)، و(٥١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ

=

اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ جامع البيان (٤/٦١٨)، والأنعام (٣٧) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الآية
جامع البيان (٥/٤٧٨)، و(٤٥) ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ جامع البيان (٥/١٩٤)، و(٤٩)
﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ جامع البيان (٥/١٩٧)، و(١٢٤) ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن
نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٣٥)، و(١٤٤) ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ الآية
جامع البيان (٥/٣٧٧)، والأعراف (٨١-٨٢) ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيتين جامع البيان (٥/٥٤٠-٥٤١)، والتوبة (١٩) {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} الآية جامع البيان (٦/٣٣٧)، و(٣٧) ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾
الآية جامع البيان (٦/٣٦٩)، و(١٠٩) ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا
جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٤٧٩)، ويونس (٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا
يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٥٣٣)، و(٤٠) ﴿وَمِنْهُم مَّن
يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٥٦٣)، و(٨٣) ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن
قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٥٩٣-٥٩٤)،
وهود (٢٩) ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٣١)، و(٤٦) ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي
أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٤)، والحجر (١٨) ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ جامع
البيان (٧/٤٩٩)، والنحل (٣٤) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٥٨١-
٥٨٢)، و(٣٨) ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾
جامع البيان (٧/٥٨٣)، و(٧٥) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا
وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٢٢)، و(٧٨) ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٢٥)، و(٩١)
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾
جامع البيان (٧/٦٣٧)، و(١٠١) ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٤٦)، والإسراء (٣٠) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
﴿٣٠﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٧٢)، ومريم (٣٥) ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ جامع

البيان (٨/٣٤٢)، والشعراء (٦٢) ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ جامع البيان (٩/٤٤٧)، والنمل (٨٦) ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾ جامع البيان (١٠/١٨)، والقصص (١٠) ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾ جامع البيان (١٠/٣٧)، و(١١) ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾ جامع البيان (١٠/٣٨)، والعنكبوت (٣٨) ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾ جامع البيان (١٠/١٤٠)، و(٦٤) ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ جامع البيان (١٠/١٥٩)، ولقمان (١٤) ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ جامع البيان (١٠/٢١٠)، والسجدة (٢٧) ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ٢٧﴾ جامع البيان (١٠/٢٥٢)، والأحزاب (٤٤) ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾ جامع البيان (١٠/٣٠٦)، و(٥١) ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣١٦)، و(٦٢) ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ جامع البيان (١٠/٣٣٤)، والزمر (٩) ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦٢١)، و(٦٧) ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ جامع البيان (١١/٢٧)، والشورى (٢٤) ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾ جامع البيان ١١/١٤٦)، والحديد (٨) ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨﴾ جامع البيان (١١/٦٧٢)، والمجادلة (٣) ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾ جامع البيان (١٢/١٠)، و(٥) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ جامع البيان (١٢/١٣)، و(١٠) ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠﴾ (١٢/١٧)، والحشر (٥) ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ جامع البيان (١٢/٣٤)، و(١٣) ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣﴾ جامع البيان (١٢/٤٥)، والممتحنة (٨) ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ جامع البيان (١٢/٦٣)، والتكوير (٢٩) ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ جامع البيان (١٢/٤٧٥).

المبحث الثاني :

ذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه :

سبق في المبحث الماضي [١] أن الإمام الطبري –رحمه الله– يذكر ما ورد فيه السياق فقط ، وأن ذلك لا يعني حصر المعنى بما ورد في السياق ، بل يدخل ما يشابهه في المعنى ، ويدل على ذلك الأمثلة الآتية في هذا المبحث ، فهو يذكر ما دل عليه السياق وما يشابهه في معناه ، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله –تعالى– : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] **قال أبو جعفر** : " يعني –تعالى ذِكْره– بقوله : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وخافوا الله فيما فرض لبعضكم على بعض من الحقوق ، وفيما ألزم نساءَكم لرجالِكم ورجالَكم لنسائِكم ، وفيما أوجب عليكم لأولادكم ، فاحذروه أن تخالفوه فتعتدوا في ذلك – وفي غيره من فرائضِه وحقوقِه – حدودَه ، فتستوجبوا بذلك عقوبته ." [٢]

فالأمر بالتقوى في ختام هذه الآية ، يرجع أولاً : إلى ما ورد في سياقها من أوامر وأحكام ، ويدخل جميع ما فرضه الله –تعالى– وحدّه على وجه العموم ثانياً .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ

---

(١) ذكر المعنى الخاص للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه صفحة (٤٨٩) .

(٢) جامع البيان (٢/٥٢٤) ، وتحقيق شاكر (٥/٧٦) .

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور: ٣١] قال -رحمه الله-: " وقوله : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضّ البَصر ، وحفظ الفرج، وتَرْك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيه . ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول : لتفلحوا وتدركوا طَلباتكم لديه ، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم ." (١)

فلما أمر الله –سبحانه وتعالى – في هذا الموضع بالتوبة ، رجع الرابط إلى ما ورد في سياقها من أوامر وأحكام ، ولا يعني ذلك اختصاص التوبة بهذا المذكور في السياق بل يدخل كل ما يشابهه مما يتاب منه ، وتكون التوبة منه سبيل الفلاح .

وفي قوله -تعالى- : ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧] قال –رحمه الله– : " وقوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ يقول -تعالى ذِكْره-: وما أعطاكم رسول الله- ﷺ – مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذوه ، ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره من الأمور ﴿فَٱنتَهُواْ﴾ ." (٢)

وهذا الأمر من الله –تعالى- بطاعة رسول الله-ﷺ – يدخل فيه أولاً : ما كان الحديث عنه وهو قسمة الفيء ، ويدخل كل ما جاء به الرسول -ﷺ – من الأوامر تبعاً للفيء ؛ لمشابهته له في وجوب الطاعة .(٣)

(١) جامع البيان (٣١١/٩) .

(٢) جامع البيان (٣٨/١٢) .

(٣) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢٧) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ الآية جامع البيان (٢١٧/١) ، و(٢٩) ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ جامع البيان (٢٣٢/١)، و(٩٥) ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥﴾ جامع البيان (٤٧٢/١) ، و(١٠٩) ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/١) ، و(٢٣١) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ
=

أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾الآية جامع البيان (٢/٤٩٦)، و(٢٣٧) ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٦٨-٥٦٩)، و(٢٤٩) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾الآية جامع البيان (٢/٦٣٨)، و(٢٦٥) ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٩و٧٤)، و(٢٦٩) ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) ﴾ جامع البيان (٣/٩١)، و(٢٧٦) ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) ﴾ جامع البيان (٣/١٠٦)، و(٢٨٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾الآية جامع البيان (٣/١٣٨)، و(٢٤٨) ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾الآية جامع البيان (٣/١٤٢)، و(٢٨٤) ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾الآية جامع البيان (٣/١٥١)، وآل عمران (٢٨) ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) ﴾ جامع البيان (٣/٢٢٩)، و(٥٧) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ﴾ جامع البيان (٣/٢٩٢)، و(٧٦-٧٧) ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) ﴾ الآيتين جامع البيان (٣/٣١٨)، و(١١٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) ﴾ جامع البيان(٣/٤٠٣)، و(١١٩) ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤١٣)، و(١٣٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) ﴾ جامع البيان (٣/٤٣٥)، و(١٦٢) ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) ﴾ جامع البيان (٣/٥٠٤)، و(١٧٤) ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ جامع البيان(٣/٥٢٤)، و(١٨٠) ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾الآية جامع البيان (٣/٥٣٥)، والنساء (١٣) ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) ﴾ جامع البيان (٣/٦٣٢)، و(٣٢) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) ﴾ جامع البيان (٤/٥٢)، و(٤٩) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) ﴾ جامع البيان (٤/١٣١)، و(٥٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) ﴾ جامع البيان (٤/١٤٥)، و(٩٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ لآية جامع البيان

=

(٤/٢٢٤)، و(١٠٨) ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨)﴾ جامع البيان (٤/٢٧٢)، و(١٢٧) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٠٤)، و(١٥٤) ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)﴾ جامع البيان (٤/٣٤٨)، والمائدة (٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾الآية جامع البيان (٤/٤٨٠)، و(٩) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)﴾ جامع البيان (٤/٤٨٤)، و(٢٣) ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾ جامع البيان (٤/٥٢٠)، و(٩٦) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾ جامع البيان (٤/٧٧)، والأعراف (٣٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ جامع البيان (٥/٤٧٦)، والأنفال (٧٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾الآية جامع البيان (٦/٢٩٦)، والتوبة (١٦) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)﴾ جامع البيان (٦/٣٣٣)، و(٣٩) ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ جامع البيان (٦/٣٧٣)، و(١١٥) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ جامع البيان (٦/٥٠٠)، و(١٢٠) ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾الآية جامع البيان (٦/٥١١)، ويونس (٦٠) ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)﴾ جامع البيان (٦/٥٧٢)، وهود (٤) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)﴾ جامع البيان (٦/٦٢٤)، وإبراهيم (٢٧) ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ جامع البيان (٧/٤٥١)، و(٣٩) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)﴾ جامع البيان (٧/٤٦٧)، والنحل (٧٤) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾ جامع البيان (٧/٦٢١)، و(٧٧) ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)﴾ جامع البيان (٧/٦٢٤)، و(٩٧) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ جامع البيان (٧/٦٤١)، و(١٢٤-١٢٥) ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

=

=

يختلفون (١٢٤) ﴾ الآيتين جامع البيان (٧/٦٦٣) ، والإسراء (١٧) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) ﴾ جامع البيان (٨/٥٤) ، و(٢٥) ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) ﴾ جامع البيان (٨/٦٣) ، والكهف (٤٥) ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) ﴾ جامع البيان (٨/٢٢٩) ، والأنبياء (٨٠) ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) ﴾ جامع البيان (٩/٥٣) ، والحج (١٧) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴾ جامع البيان (٩/١٢١) ، و(٣٠) ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٤٤) ، والنور (١٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) ﴾ جامع البيان (٩/٢٨٧) ، و(٢٨) ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾ جامع البيان(٩/٢٩٩)،والعنكبوت(٢٠) ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ جامع البيان (١٠/١٣٠) ، والأحزاب (٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٦٤) ، و(٥٤) ﴿ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) ﴾ جامع البيان (١٠/٣٢٧) ، وفاطر (١) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ جامع البيان (١٠/٣٩٤) ، والصافات (١٨٠) ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) ﴾ جامع البيان (١٠/٥٤٣) ، والزمر (٤٦) ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) ﴾ جامع البيان (١١/١١) ، وفصلت (٣٩) ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ جامع البيان (١١/١١٤) ، والشورى (١٢) ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾ جامع البيان (١١/١٣٤)، والفتح (١٣) ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) ﴾ جامع البيان (١١/٣٤١) ، و(٢٦) ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٣٦٦) والحجرات (١٠) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﴾ جامع البيان (١١/٣٨٩)، والحديد (٢) ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) ﴾ جامع البيان (١١/٦٦٩) ، و(١٠) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧٥) ، والمجادلة (٤) ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٢) ، والطلاق (٣) ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ جامع البيان (١٢/١٣٢) ، والتحريم (٨)

=

المبحث الثالث :

ذكر المعنى المناسب للسياق من ختام الآيات بأسماء الله –سبحانه وتعالى– مع الإشارة للعموم أو بدونها:

وهذا النوع لا شك أنه راجع إلى ما سبق ، إلا أن إفراده بالحديث مستقلاً يبرز أهمية العناية به؛ لأنه تبيين لمعاني أسماء الله الحسنى في الآيات ، وقد كثر هذا في كتاب الله –سبحانه وتعالى – ، فمعرفة طريقة تفسير ذلك ، يفيد في إظهار معنى الختام ، ويوضح سياق الآية من هذا الوجه .

وطريقة الإمام الطبري –رحمه الله –في ذلك اثنتان :

إما أن يأتي بالمعنى المذكور أو المناسب في السياق ولا يشير إلى العموم

وإما أن يأتي بالمعنى المذكور أو المناسب في السياق ويشير إلى العموم .

وسأفرد كل طريقة في مطلب وهما :

المطلب الأول : أن يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير إلى العموم .

المطلب الثاني : أن يذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى العموم .

=

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٦٠) ، والبروج (٩) ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٢٧) ، والفجر (١٤) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٧٢) .

المطلب الأول : أن يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير إلى العموم :

ومن أمثلته قوله -تعالى- : ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٨١]..." ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ **قال أبو جعفر** : يعني -تعالى ذِكْره- بذلك : إن الله ﴿سَمِيعٌ﴾ لوصيتكم التي أمرتكم أن توصوا بها لآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها ، أتعدلون فيها على ما أذِنْتُ لكم من فعل ذلك بالمعروف ؟ أم تحيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد ؟. ﴿عَلِيمٞ﴾ بما تخفيه صدوركم ، من الميل إلى الحقّ والعدل ، أم الجور والحيف ." (١)

وفي الآية التالية لها وهي قوله -تعالى- : ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٨٢] **قال -رحمه الله-**: " وأما قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ فإنه يعني : والله غفور للموصي فيما كان حدّث به نفسه من الجنف والإثم ، إذا ترك أن يأثم ويجنف في وصيته ، فتجاوز له عما كان حدّث به نفسه من الجور، إذ لم يُمْضِ ذلك فيُغْفِل أن يؤاخذه به ، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يحيف عليه لغيره ، أو يأثم فيه له ." (٢)

ومعلوم أن ذكر سمع الله وعلمه ، في الآية الأولى ، وذكر مغفرته ورحمته -سبحانه وتعالى- في الآية الثانية ، ليس خاصّاً بالموصي المذكور في الآية فقط ، ولكن لما ختمت الآية التي فيها الوصية أرجع معناها إلى ما ذكر فيها ، ويدلّ لذلك : طريقته في الأمثلة الآتية في المطلب الثاني .

---

(١) جامع البيان (٢/١٢٨-١٢٩) ، وتحقيق شاكر (٣/٣٩٩) .

(٢) جامع البيان (٢/١٣٣) ، وتحقيق شاكر (٣/٤٠٨) .

المطلب الثاني : ذكر المعنى المناسب لسياق الآية مع الإشارة إلى العموم :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠ ﴾ [العنكبوت: ٦٠] **قال -رحمه الله-:** " يقول -تعالى ذكره -: للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد -ﷺ- هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عيلة ولا إقتاراً ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها، يعني: غذاءها ، لا تحمله فترفعه في يومها لغدها ؛ لعجزها عن ذلك . ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ يوماً بيوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم : نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة ، ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ ما في أنفسكم ، وما إليه صائر أمركم ، وأمر عدوّكم ، من إذلال الله إياهم ، ونُصْرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه ." (١)

وفي هذا المثال يتبين اهتمام الإمام الطبري -رحمه الله- بذكر المعنى العام للاسمين الكريمين في ختام الآية: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما يناسب الكلام ، مع المعنى المذكور في السياق، فبعد الأمر بالهجرة في قوله -تعالى-: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ذكر الله -سبحانه وتعالى- تكفله بالرزق لكل دابة ، حتى لا يتقاعس مريد الهجرة عنها وهو المعنى المناسب ، ولم يقصر المعنى عليه ؛ ولذلك أضاف فقال : وغير ذلك من أموركم ؛ لأن سمع الله وعلم الله -عز وجل- عام لكل الخلق .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ ﴾ [الدخان: ٦] **قال -رحمه الله-:** "... ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يقول : إن الله -تبارك وتعالى -هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا ، وأرسلنا من رسلنا إليهم ، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم ، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم ." (٢)

وفي السياق الماضي ذكر الله الرسالة وإنزال الكتاب في قوله -تعالى- : ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ

---

(١) جامع البيان (١٠/١٥٧) .

(٢) جامع البيان (١١/٢٢٤) .

ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥)﴾ [الدخان: ١ - ٥] ولما ختم بالاسمين الكريمين: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فسر ابن جرير معناهما حسب السياق، حيث حمله على تهديد المكذبين برسالة محمد -ﷺ-، والمكذبين بكتاب الله، الذي أنزله في أشرف الليالي، وهي ليلة القدر، مع أن سمع الله وعلمه لا يحيط به أي شيء؛ ولذلك أضاف المعنى العام فقال: وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم... وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم...[1]

(١) وانظر بقية المواضع في: البقرة (١٢٧) ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ جامع البيان (١/٦٠٢)، و(١٣٧) ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ جامع البيان (١/٦٢١)، و(١٤٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ الآية جامع البيان (٢/٢١)، و(٢٠٧) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢٠٧)﴾ جامع البيان (٢/٣٣٥)، و(٢٢٦) ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦)﴾ جامع البيان (٢/٤٣٩)، و(٢٣٥) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٤٢)، و(٢٤٠) ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٩٨)، و(٢٦٢) ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾ جامع البيان (٣/٦٤)، و(٢٦٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٨٧)، وآل عمران (٣٠) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٣٠)﴾ جامع البيان (٣/٢٣١)، والنساء (١١) ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٢٤)، و(١٧) ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)﴾ جامع البيان (٣/٦٤٤)، و(٢٤) ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٦-١٧)، و(٢٦) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)﴾ جامع البيان (٥/٢٩-٣٠)، و(٣٤) ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٤/٧٢)، و(١٠٤) ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)﴾ جامع البيان (٤/٢٦٤-٢٦٥)، و(١٤٨) ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)﴾ جامع البيان (٤/٣٤٢)، و(١٥٨) ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ جامع البيان (٤/٣٥٦)، والمائدة (٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٢٦)، و(١٩) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾

=

جامع البيان (٤/٥٠٨) ، و(٣٤) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤) ﴾ جامع البيان (٤/٥٦٦) ، و(٣٨) ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) ﴾ جامع البيان (٤/٥٧٠) ، و(٧٦) ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾ جامع البيان (٤/٦٥٥) ، والأنعام (٨٣) ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾ جامع البيان (٥/٢٥٦) ، و(٩٦) ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) ﴾ جامع البيان (٥/٢٨٠) ، والأنفال (١٧) ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ﴾ جامع البيان (٦/٢٠٤)، و(٦٣) ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾ جامع البيان (٦/٢٨١) ، والتوبة (٢٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) ﴾ جامع البيان (٦/٣٤٨) ، و(٩٧) ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) ﴾ جامع البيان (٦/٤٥١) ، و(١٠٣) ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ جامع البيان (٦/٤٦٣) ، ويوسف (٣٤) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ جامع البيان (٧/٢١٠) ، والنحل (٤٧) ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) ﴾ جامع البيان (٧/٥٩١) ، و(٦٠) ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾ جامع البيان (٧/٦٠٠-٦٠١)، و(٧٠) ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) ﴾ جامع البيان (٧/٦١٥) ، والإسراء (١) ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾ جامع البيان (٨/١٧) ، و(٤٤) ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ جامع البيان (٨/٨٥) ، والحج (٥٩) ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾ جامع البيان (٩/١٨٢) ، والنمل (٧٨) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) ﴾ جامع البيان (١٠/١٢) ، والأحزاب (٢) ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) ﴾ جامع البيان (١٠/٢٥٤) ، و(٥) ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٢٥٨) ، وفاطر (٢) ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾ جامع البيان (١٠/٣٩٤) ، والحجرات (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) ﴾ جامع البيان (١١/٣٧٨) ، و(١٣) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ جامع البيان (١١/٣٩٩)، والحديد (٢٤) ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) ﴾ جامع البيان (١١/٦٨٨) .

المبحث الرابع :

موضع لم يَستعمل فيه ابن جرير –رحمه الله– الطريقة السابقة :

سبق الكلام بالتفصيل عن طريقة ابن جرير في ذكر المعنى المناسب للسياق فيما حذف متعلّقه، وأن له طريقتين : الأولى : أن يذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه، والثانية : أن يذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه ، ويعتبر هذا منهجاً مطّرداً طبّقه الإمام الطبري –رحمه الله–واستعمله في تفسيره ، وقد سبق في الأمثلة ، وفي هذا الموضع، رجح الإمام القول بالعموم دون تقييده بسياق الآية ، وردّ على من خصّ المعنى ، أو ذكر المناسب للسياق وحده :

ففي قوله –تعالى– : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٨] **قال–رحمه الله–**:"...وكان ابن زيد يقول : الفاسق في هذا الموضع : هو الكاذب...وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفوع ، إلاّ أن الله –تعالى ذِكْره– عمّ الخبر بأنه لا يهدي جميع الفسّاق ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقل ، فذلك على معاني الفسق كلها حتى يخصّص شيئاً منها ما يجب التسليم له ، فيسلّم له ." (١)

فهذا مخالف لما سبق في طريقته في المبحث الأول : حيث يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير للعموم ، وفي هذا الموضع كان السياق في الحلف والشهادة ، فلا بأس من ذكر ما كان السياق فيه ، وهو الكذب في الحلف والشهادة ، فهو محرم يكون فاعله فاسقاً ، كما دل عليه السياق ، فلا يقال بأنه لم يدل عليه الخبر ، ولكن لا يقال بخصوصه فيه ، ويدخل غير الكذب من المفسقات والكبائر ، فيكون تفسير ابن زيد ليس تخصيصاً بل هو ذكر المناسب للسياق ، كما كانت طريقة ابن جرير في الأمثلة الماضية .–والله أعلم–.

كما قال الشوكاني –رحمه الله–: " الفاسقين الخارجين عن طاعته بأي ذنب ، ومنه الكذب

---

(١) جامع البيان (١٢٤/٥) ، وتحقيق شاكر (٢٠٦/١١) .

في اليمين أو الشهادة ." (١)

وهذا المثال وحده هو الذي وجدته مخالفاً لما مضى ، فإما أن يُقال بأن طريقة الإمام الماضية من ذكر المعنى الخاص فقط - وأن هذا لا يعني الخصوص - هي الأغلب ، وهذا التعقيب على ابن زيد -رحمه الله- يكون من النادر ، وإما أنه نسيان يعتري بني الإنسان ، وهو الأرجح .-والله أعلم-.

وبعد هذا العرض للمواضع ، يظهر أثر السياق في الدلالة على ذكر المعنى المناسب للسياق لعمومه ولا ينفي العموم ، وأن طريقة التطبيق عند الإمام -رحمه الله- أن يذكر المعنى المناسب وحده ، دون إدخال غيره أو يذكر المعنى المناسب ويدخل غيره من المعاني التي تشابهه ، ومثل ذلك مع الأسماء الحسنى لله -جل وعلا- ، ولم يخرج عن هذا النهج إلا في موضع واحد ، إما أن يحمل على النادر أو أنه نسيان .-والله تعالى الموفق-

(١) فتح القدير (٢/٨٨) .

الفصل السادس

أثر دلالة السّياق

في الدلالة على المحذوف من الكلام :

الفصل السادس : أثر دلالة السّياق في الدلالة على المحذوف من الكلام :

بعد عدّ شيء من آثار السياق ، يتبين في هذا الفصل -إن شاء الله- ما للسياق من أثر في سبر أغوار الكلام ، وفهم ما وراءه ، مما دل عليه ظاهر اللفظ والسياق .

وقد أشار الإمام الطبري -رحمه الله- إلى أن الحذف الذي دل عليه الدليل في القرآن وفي لغة العرب كثير يتعب إحصاؤه .(١)

وسيتبين أن من عادة العرب -والقرآن نـــزل بلغتهم- حذف ما يفهم معناه بدلالة السياق ، وهذا يدل على سعة هذا الفصل ؛ لكثرة المواضع والأمثلة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، وسأعرض لمـــا يكفي في المعنى -إن شاء الله- حسب المستطاع ، من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : اللغة واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف .

المبحث الثاني : قد يدل سبب النـــزول على حذف .

المبحث الثالث : أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق .

المبحث الرابع : الحذف قد يكون محتملاً ، بسبب السياق ، أو القراءة .

المبحث الخامس : تقدير الحذف بما يناسب السياق .

المبحث السادس : مواضع قدر فيها الإمام -رحمه الله- الحذف ، أو لم يقدّر فيها الإمام -رحمه الله- محذوفاً مناسباً للسياق ، والراجح بخلاف ذلك .

---

(١) جامع البيان (٥٨٨/٦) عند قوله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: ٧٧].

المبحث الأول : اللغة ، واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف :

من خلال مواضع الحذف المستخرجة ، يتبين أن الحذف له أدلته من السياق ، وللعرب طريقة متبعة فيه ، وسأورد شيئاً من ذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول : الأصل عدم الحذف ، ولا يقال به إلا عند الاضطرار إليه .

المطلب الثاني : إنما يكون الحذف إذا دل عليه ظاهر الكلام ، وعرف السامع المراد منه .

المطلب الثالث : الإعراب يحدد ماهية المحذوف .

المطلب الرابع : يقدر الكلام حال الحذف على أنه كلام واحد لا متعدّد .

المطلب الخامس : لابد من مناسبة تقدير المحذوف للمذكور .

المطلب السادس : أمثلة على حذف بعض الحروف والكلمات بدلالة سياق الكلام عليه .

المطلب الأول :

الأصل عدم الحذف ، ولا يقال به إلا عند الاضطرار إليه :

قد يسهل على المفسّر وغيره تقدير محذوف ما عند تبادره ، ولكن ذلك ليس له دائماً ، بل الأصل عدم الحذف ، ما دام المعنى مفهوماً على وجهه الصحيح دون تقدير :

ففي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] الآية ، " قال أبو جعفر : وهذه "اللام" التي في قوله : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ، لام قسم . ثم اختلف أهل العربية في جالبها : فكان بعض نحويي الكوفة يقول : إن شئت جعلت ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . قال : وإن شئت جعلته في موضع نصب، يعني : كتب ليجمعنكم كما قال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [الأنعام: ٥٤] يريد : كتب أنه من عمل منكم ...وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصبت "لام" ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾، لأن معنى : ﴿ كَتَبَ ﴾ [: فرضَ، وأوجب، وهو بمعنى القسم]، كأنه قال: والله ليجمعنكم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ غايةً. وأن يكون قوله : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ خبرًا مبتدأ ، ويكون معنى الكلام حينئذ: ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه ؛ لينتقم منكم بكفركم به... وليس من صفة الرحمة : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ، فيكون مبينًا به عنها . فإذ كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا أن تنصب بنية تكرير "كتب" مرة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فيوجَّه إلى ما ليس بموجود في ظاهره"(١)

فلم يقل بتكرير كلمة "كَتَبَ" تقديراً ؛ لأنه يلزم منه تقدير حذف ، والحذف ليس إلا عند الضرورة ، والضرورة هي عدم فهم الكلام على وجهه الظاهر ، ولا ضرورة هنا ، فاكتفى بالقول بالاستئناف .

---

(١) جامع البيان (١٥٧/٥) ، وتحقيق شاكر (٢٧٨/١١) . وانظر موضعين آخرين : في البقرة (٦٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٧/١) ، والأعراف (٤) ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ جامع البيان (٤٢٨/٥) .

المطلب الثاني :

إنما يكون الحذف إذا دل عليه ظاهر الكلام ، وعرف السامع المراد منه :

وسأمثل على ما دل عليه الدليل ، وما لم يدل عليه الدليل :

١- فأمثلة ما دل عليه الدليل على نوعين : هما :

أ – أن يكون الدليل على الحذف جملة : كما في قول الله – تعالى – : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧] قال الطبري – رحمه الله – " فإن قال لنا قائل : إنك ذكرتَ أنّ معنى قول الله –تعالى ذكره– ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ : خَمدتْ وانطفأتْ ، وليس ذلك بموجود في القرآن ، فما دلالتك على أنّ ذلك معناه؟ . قيل : قد قلنا : إنّ من شأن العرب الإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفتْ وتركتْ ...[وذكر شواهد من العربية على الحذف ، ثم قال :] فكذلك قوله : ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ ، لَمَّا كان فيه وفيما بعدَه من قوله : ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ دلالةٌ على المتروك كافيةٌ من ذكره – اختصرَ الكلامَ طلبَ الإيجاز . وكذلك حذفُ ما حذفَ واختصارُ ما اختصرَ من الخبر عن مَثل المنافقين بَعدَه ، نظير ما اختصرَ من الخبر عن مَثَل المستوقد النارَ ؛ لأن معنى الكلام : فكذلك المنافقون ذَهبَ الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون – بعد الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون – كما ذهب ضَوء نار هذا المستوقد، بانطفاء ناره وخمودها، فبقي في ظلمة لا يُبصر .

فالمثل يدل على مساواة أناس بأناس أوقدوا نارا ، فأضاءت لهم الطريق ، ثم انطفأت وخيم الظلام عليهم ، ودليل حصول الانطفاء هو أن : التعبير بذهاب النور ، هو حصول نقيضه : ومع ذهاب النور يأتي الظلام الذي لا يحصل معه الإبصار ، ولابد من وجه الشبه بين المشبه : وهم القوم المستوقدون ، والمشبه بهم : وهم المنافقون ، فيكون المراد من المثل وذهاب النور ، ما يحصل للمنافقين من إطفاء النور في الآخرة ، كما في قوله – تعالى – : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ

مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣] "(١).

ب – وقد يكون الدليل على الحذف حرفاً واحداً : كما في قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ٩١] قال – رحمه الله – : " وأدخلت الواو في قوله : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ ؛ لمحذوف من الكلام بعده ، دل عليه دخول الواو وكالواو في قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ، وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السمات والأرض ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحاً ، ولم يكن هنالك متروك ، وكان : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به .

فالواو في قوله : ﴿ وَلَوِ ﴾ دالة على محذوف دل عليه الكلام ، وتقدير الحذف المناسب هنا : ولو افتدى به لن يقبل منه ، كما أن الواو في قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ دالة على حذف تقديره : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السماوات والأرض ، وهذا مثل هذا ." (٢)

٢– ومن أمثلة الحذف الذي لم يدل عليه دليل وضعفه الطبري – رحمه الله– : في قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] " قال ابن زيد – رحمه الله – في قوله ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ هذا استفهام . وفي قوله : ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ [القمر: ٥] قال : استفهام أيضاً ، قال أبو جعفر :...وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلا على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في قوله : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد ، كان معلوما أنه ليس به..." (٣)

---

(١) جامع البيان (١/١٧٩) ، وتحقيق شاكر (١/٣٢٧) .

(٢) جامع البيان (٣/٣٤٥) ، وتحقيق شاكر (٦/٥٨٦) .

(٣) جامع البيان (٩/٧٦) .

فليس هناك دليل على أن قوله : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ استفهام ؛ لعدم دلالة الكلام على أنه محذوف ، والعرب لا تقول مثل ذلك في كلامها ، فالكلام خبر لا استفهام .[١]

---

(١) وانظر بقية الأمثلة على وجه العموم في : الفاتحة (٧) ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ جامع البيان (١/١٠٧) ، والبقرة (٢٦) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ الآية جامع البيان (١/٢١٥) ، و(٥٤) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٢٨) ، و(١٤٣) ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٤) ، و(٢٤٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٠٦) ، و(٢٥١) ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٣٩) ، و(٢٧٥) ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٠٤) ، وآل عمران(٩) ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝ ﴾ جامع البيان (٣/١٨٩) ، والنساء (٨١) ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٨١) ، والمائدة (١٢) ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٩١) ، و(١٠٦) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥/١١٠) ، و(١٠٧) ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٢٠) ، والأنعام (٣٥) ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٨٣) ، و(٧٣) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٣٧) ، و(٩٩) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٨٩) ، و(١٣٠) ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٤٦) ، و(١٥١) ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٩٠) ، والأعراف (١٥٥) ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٧٦) ، والإسراء (١) ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٦) ، والكهف(٢) ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٧٥) ، و(١٥) ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٩٠) ، و(٢٢) ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٠٦) ، وطه (٥٠) ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ
=

المطلب الثالث : الإعراب يحدد ما هية المحذوف :

ففي قوله – تعالى – : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٠] قال أبو جعفر : فان قال لنا قائل : وكيف قال : ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فرفع الإخوان ، وقال في موضع آخر : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] قيل : لافتراق معنييهما ، وذلك أن أيتام المؤمنين إخوان المؤمنين والإخوان مرفوعون بالمعنى المتروك ذكره، وهو "هم" ؛لدلالة الكلام عليه ، وأنه لم يرد بالإخوان الخبر عنهم أنهم كانوا إخوانا من

= هُدًى ﴿٥٠﴾﴾ جامع البيان (٤٢٢/٨) ، والأنبياء (٤٢) ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ الآية جامع البيان (٣٠/٩) ، والنمل (١٢) ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ الآية جامع البيان (٥٠١/٩) ، والروم (٣) ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ جامع البيان (١٦٧/١٠) ، ويس(٨) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ جامع البيان (٤٢٦/١٠) ، والصافات (١٠٠) ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ جامع البيان (٥٠٥/١٠)، والزخرف (١٨) ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ جامع البيان (١٧٣/١١) ، و(٥٢) ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ جامع البيان (١٩٦/١١) ، والدخان (٥٣) ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ جامع البيان (٢٤٨/١١) ، ومحمد (١٥) ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية جامع البيان (٣١٤/١١) ، والحجرات (١١) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٣/١١) ، والذاريات (٤٩) ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ جامع البيان (٤٧٢/١١) ، والطور (٢٠) ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ جامع البيان (٤٨٧/١١) ، والنجم (١٩-٢٠) ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ جامع البيان (٥١٩/١١) ، والقمر (٢٠) ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ جامع البيان (٥٥٨/١١) ، والواقعة (٨) ﴿فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ جامع البيان (٦٦٧/١١)، والواقعة (٩١) ﴿فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ جامع البيان (٦٦٧/١١) ، والإنسان (٧) ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ جامع البيان (٣٥٩/١٢) ، والنبأ (١٦) ﴿وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ جامع البيان (٤٠٠/١٢) ، و(٣٣) ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ جامع البيان (٤١٠/١٢) ، والضحى (٣) ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ جامع البيان (٦٢٢/١٢).

أجل مخالطة ولاهم . ولو كان ذلك المراد لكانت القراءة نصباً ، وكان معناه حينئذٍ : وإن تخالطوهم فخالطوا إخوانكم ، ولكنه قرئ رفعاً ؛ لما وصفت من أنهم إخوان للمؤمنين الذين يلونهم ، خالطوهم أو لم يخالطوهم . " (١)

فاستدل بكون كلمة "إخوان" مرفوعة ، على أن المحذوف ضمير وليس فعلا ؛ لأنه لو كان فعلا لكانت القراءة لكلمة : " إخوان " بالنصب ، والقراءة ليست كذلك .

(٣) جامع البيان (٢/٣٨٥)، وتحقيق شاكر (٤/٣٥٦).وانظر مثله في البقرة (٥٨) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٤١) ، والعنكبوت (٨) ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ الآية جامع البيان (١٠/١٢٣) .

المطلب الرابع : ينبغي تقدير الكلام حال الحذف على أنه كلام واحد لا متعدد :

في قوله- تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٣] قال رحمه الله : " واما الإحسان : فمنصوب بفعل مضمر ، يؤدي معناه قوله : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ إذا كان مفهوما معناه فكان معنى الكلام –لو اظهر المحذوف -: وأخذنا ميثاق بني إسرائيل بان لا تعبدوا إلا الله ، وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، فاكتفى بقوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ من أن يقال : وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، إذ كان مفهوما أن ذالك معناه بما ظهر من الكلام ، وقد زعم بعض أهل العربية في ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسنوا إحسانا ، فجعل الباء التي في " الوالدين" من صلة الإحسان مقدمة عليه ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : ألا تعبدوا إلا الله ، وأحسنوا بالوالدين إحسانا فزعموا أن الباء التي في : " الوالدين" من صلة المحذوف – أعني : أحسنوا – فجعلوا ذلك من كلامين ، وإنما يصرف الكلام إلى ما ادعوا من ذلك ، إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجه ، فأما وللكلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد فلا وجه لصرفه إلى كلامين..."(١).

فإذا فهم الكلام وقدر محذوفه على أنه كلام واحد وكان ذلك ممكناً ، فلا ينبغي العدول عنه إلى تقديره بمتعدد من الكلام إلا إذا لم يكن له إلا ذاك المحمل .

(١) جامع البيان (٤٣٤/١) ، وتحقيق شاكر (٢٩٢/٢) .

المطلب الخامس : لا بد من مناسبة تقدير المحذوف للمذكور :

ففي قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ [النساء: ١١] قال أبو جعفر -رحمه الله -:" واختلف أهل العربية في المعنيّ بقوله : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ : فقال بعض نحويي البصرة بنحو الذي قلنا : فإن كان المتروكات نساء ، وهو أيضا قول بعض نحويي الكوفة .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك فإن كان الأولاد نساء، وقال : إنما ذكر الله الأولاد فقال: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ثم قسم الوصية فقال : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾ وإن كان الأولاد [نساء وإن كان الأولاد واحدة] ترجمة منه بذلك عن الأولاد .

قال أبو جعفر : والقول الأول الذي حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي ؛ لأن قوله : ﴿فَإِن كُنَّ﴾ لو كان معنياً به الأولاد لقيل : وإن كانوا ؛ لأن الأولاد تجمع الذكور والإناث ، وإذا كان كذلك فإنما يقال : كانوا لا ﴿كُنَّ﴾ " .(١)

فتقدير المحذوف بالأولاد لا يدل عليه قوله : ﴿كُنَّ﴾ ؛ لأن لفظ "كنّ" خاص بالإناث ، ولو كان الخطاب للذكور والإناث لأشار إليهم بلفظ : " كانوا " .

---

(١) جامع البيان (٦١٨/٣) ، وتحقيق شاكر (٣٤/٨) .

المطلب السادس :

أمثلة على حذف بعض الحروف والكلمات بدلالة سياق الكلام عليه :

ذكر الإمام الطبري –رحمه الله – أن العرب تحذف في كلامها إذا دل الكلام على المحذوف ، وقد ورد ذلك في مواضع ، وسأذكر بعض الأمثلة على ما حذف ودل سياق الكلام عليه :

١ – مثال حذف لا : في قوله – تعالى - : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦] " قال أبو جعفر : وموضع ﴿أن﴾ في قوله : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ نصب في قول بعض أهل العربية ؛ لاتصالها بالفعل . وفي قول بعضهم : خفض ، بمعنى : يبين الله لكم بأن لا تضلوا ولئلا تضلوا ، وأسقطت "لا" من اللفظ وهي مطلوبة في المعنى ؛ لدلالة الكلام عليها ، والعرب تفعل ذلك ، تقول : جئتك أن تلومني ، بمعنى : جئتك أن لا تلومني " .[١]

فحذف "لا" هنا تستعمله العرب في كلامها ، ولا شك أن تبيين الله لعباده الأحكام وخاصة الفرائض من أجل أن يهتدوا لا ليضلوا .

---

(١) جامع البيان (٣٨٤/٤) ، وتحقيق شاكر (٤٤٥/٩) . وانظر مثلها في البقرة (٢٢٤) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ جامع البيان (٤١٥/٢) ، والأنعام (٧٠) ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾الآية جامع البيان (٢٢٨/٥) ، والأعراف (٢٠) ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ الآية جامع البيان (٤٥٠/٥) ، والحج (٦٥) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ الآية جامع البيان (١٨٤/٩) ، ولقمان (١٠) ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٧/١٠) ، والزمر (٥٦) ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ جامع البيان (١٨/١١) .

٢- **ومثال حذف الكلمة** : في قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] قال أبو جعفر : " يعني بذلك -جل ثناؤه- ومن يكن الشيطان له خليلاً وصاحباً يعمل بطاعته ويتبع أمره ، ويترك أمر الله في إنفاقه ماله رئاء الناس في غير طاعته وجحوده وحدانية الله والبعث بعد الممات ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ، يقول : فساء الشيطان قريناً . وإنما نصب القرين ؛ لأن في "سَاءَ" ذكراً من الشيطان ، كما قال -جل ثناؤه-: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] ، وكذلك تفعل العرب في ساء ونظائرها . " (١)

---

(١) جامع البيان (٩٠/٤) ، وتحقيق شاكر (٣٥٨/٨) . وانظر بقية الأمثلة التي أكد فيها أن لغة العرب تستعمل هذا الحذف في : النساء (٤٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ الآية جامع البيان (١١٢/٤) ، و(٩٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾الآية جامع البيان (٢٠٠/٤) ، و (١٢٧) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٧/٤) ، والأعراف (٧٣) ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٠/٥) ، و(١٧٧) ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ الآية جامع البيان (١٢٩/٦) ، والأنفال (١٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ جامع البيان (١٩٨/٦) ، والتوبة (٨) ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الآية جامع البيان (٣٢٥/٦) ، والنحل (٥) ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ الآية جامع البيان ٥٥٩/٧ ، والمؤمنون (٣٣) ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/٩) ، والفرقان (٢٠) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٣٧٦/٩) ، ولقمان (٢٨) ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٢٢/١٠) ، والصافات (٨) ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٧٢/١٠) ، وسورة ص (٢٢) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٦/١٠) ، والنازعات (٣٢) ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/١٢) .

٣- وقد يحذف الشيء ويشار إليه بالضمير مع عدم ذكره في الكلام السابق: ومثاله قوله - تعالى - : ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾ [يوسف: ٧٧] قال-رحمه الله- : "يعني بقوله : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فأضمرها ، وقال : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فأنث ؛ لأنه عنى بها الكلمة ، وهي : ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ، ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا ، كما قيل : ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [هود: ٤٩] ، و ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [هود: ١٠٠] ، وكني عن الكلمة و لم يجر لها ذكر متقدم ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، إذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعي الكلام ... ومنه قول الله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ﴾ [النحل: ١١٠] فقال : ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ و لم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث ."[(١)]

فمتى ثبت أن العرب تشير إلى شيء محذوف بضمير ، حسن القول بالحذف ، شريطة أن يكون الكلام على هذا التقدير مفهوما من السياق عند السماع ، كما في ضمير كلمة : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ فهو عائد على غير متقدم ، ولكنه مفهوم والمسر هو قوله : ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ والمثال الآخر : الهاء في قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ عائد على غير متقدم ، ولكنه مفهوم من السياق .

---

(١) والتقدير من بعد فعلتهم ، جامع البيان (٢٦٦/٧) ، ومثله في الأنعام (٣١) ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٧/٥-١٧٨) ، والعاديات (٤-٥) ﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ ﴾ الآية جامع البيان (٦٧٠/١٢) .

المبحث الثاني : قد يدل سبب النـــزول على حذف :

تقرر في فنّ علوم القرآن وتطبيقات المفسرين أهمية سبب النـــزول في معرفة المعـــنى، وفهـــم الآيات ، وعده العلماء من شروط أهلية المفسر لكلام الله – سبحانه وتعالى – :

ومثال سبب النـــزول الدال على حذف : ما ورد في نـــزول قوله – تعالى – : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] قال – رحمه الله – :" ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله – ﷺ- عن نسب ربّ العزّة، فأنـــزل الله هذه السورةَ جواباً لهم . وقال بعضهم : بل نـــزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فأُنـــزلت جواباً لهم... فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا : قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربك وصفته ، ومن خلقه ؟ : الرب الـــذي سألتموني عنه ، هو الله ، الذي له عبادة كل شيء ، لا تـــنبغي العبادة إلا له ، ولا تصلـــح لشـــيء سواه ." (١)

فالأمر بالقول في هذه السورة عائد على سؤال متقدم دل عليه سبب النـــزول .

ويدخل تحت هذا ، بدلالة المفهوم : الآيات التي فيها سبب نـــزول ، ومن أمثلة ذلك :

نـــزول أول سورة اقرأ ، فالأمر كان متوجهاً من جبريل – عليه السلام – ثـــلاث مـــرات ورسول الله – ﷺ- يقول : ما أنا بقارئ ، أي: لست أحسن أن أقرأ ، ثم أنـــزل الله عليه بيان ما أمر بقراءته .

وكذلك سورة الكافرون، ترجع إلى ما طلبه المشركون من رسول الله- ﷺ- أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، ونحو ذلك من السور والآيات . – والله أعلم –.

---

(١) جامع البيان (٧٤١/١٢) ، أسباب نزول سورة الإخلاص ضعيفة جداً ، انظر المحرر في أسباب النـــزول للـــدكتور خالـــد المزيني (١١٠٧/٢) .

المبحث الثالث : أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق :

وصنفت الأمثلة على ستة مطالب ، وهي :

المطلب الأول : حذف قال أو قالوا ، ونحوهما . وحذف القائل .

المطلب الثاني : حذف مقطع من القصة ، أو حدث من واقعة .

المطلب الثالث : حذف جوابي السؤال والقسم ونحوهما .

المطلب الرابع : حذف المقابل .

المطلب الخامس : حذف اسم الإشارة في أوائل السور .

المطلب السادس : ختام الآية بالأسماء الحسنى دالٌّ على محذوف مراد معناه .

المطلب الأول : حذف قال أو قالوا ، ونحوهما ، وحذف القائل :

١- حذف قال أو قالوا ، ونحوهما ، والسر اللغوي في ذلك :

ورد في القران جمل محكية عن متكلمين ، ولم يشر في الآية إلى تعيين القائل، إلا أن هذا التحديد يعرفه من تأمل السياق .

وقبل سوق الأمثلة على ذلك ، يجب الإحاطة بأن تقدير نسبة الكلام لهذا أو ذاك خاضع لدلالة السياق الفاصلة ، فلا يكون القول بأن هذا قول لمخصوص قد حذف إلا بدليل :

ففي قوله – تعالى – : ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف: ٢٥] نقل – رحمه الله – الخلاف فيها : " فقال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ [الكهف: ٢٦] وقالوا : لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف، لم يكن لقوله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ وجه مفهوم، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره...وقال آخرون:بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم ...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : كما قال الله – عز ذكره – : ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً -إلى أن بعثهم الله ؛ ليتساءلوا بينهم ، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر – ثلاث مائة وتسع سنين ، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه . وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ :"وقالوا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ" [١] وقول من قال : ذلك من قول أهل الكتاب ، وقد رد الله ذلك عليهم ، فإن معناه في ذلك – إن شاء الله – كان : أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله – ﷺ- أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مائة سنين وتسع سنين ، فرد الله ذلك عليهم، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن آووا إليه إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ، ثم قال -جل ثناؤه – لنبيه – ﷺ- قل يا محمد : الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدهم إلى يومهم هذا ، لا يعلم بذلك غير الله ، وغير من أعلمه الله بذلك . فان قال قائل : وما يدلّ على أن

(١) انظر الكشاف (٤٨١/٢) ، قال ابن كثير : " وقراءة ابن مسعود منقطعة " . (٧٨/٣) .

ذلك كذلك ؟ قيل: الدالّ على ذلك أنه – جل ثناؤه – ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء ، فقال : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ و لم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ؛ لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره ، وإذا جاز ذلك في أخباره ، جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره ، وذلك في قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله : : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ دليل على أن قوله : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ خبر منه عن قوم قالوه ، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره ، فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعاني ، فغير واجب أن يكون ذلك دليلاً على أن قوله : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلا على ذلك ، و لم يأت خبر بأن قوله: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه ، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها ، صحّ ما قلنا ،وفسد ما خالفه ."[1]

ويستفاد من هذا أن القول بوجود حذفٍ في شيء من الكلام أياً كان لا بد فيه من حجة ، وحين لا توجد حجّة بيّنة فإنه يحمل على الظاهر من السياق ، إلا إذا لم يوجد للقول من غير تقدير الحذف وجه ، فإنه يحمل عليه .

٢- يؤيد ما سبق ويعتبر من أمثلة حذف "قال" ونحوهما : قوله – تعالى – ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢] قال – رحمه الله – : " فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؟ أحَمِد الله نفسه جلّ ثناؤه فأثنى عليها ، ثم علّمناه ؛ لنقول ذلك كما قال ووصَف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فما وجه قوله -تعالى ذكره – إذًا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥] وهو -عزّ ذكرُه - معبودٌ لا عابدٌ ؟ أم ذلك من قِيلِ جبريلَ أو محمدٍ رَسول الله - ﷺ- ؟ فقد بَطل أن يكون ذلك لله كلامًا .

قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه - جلّ ذكره - حَمِد نفسه وأثنى عليها بما هو

(١) جامع البيان (٨/٢١٠-٢١١) .

له أهلٌ ، ثم علَّم ذلك عباده ، وفرض عليهم تلاوته ، اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقولوا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مما علمهم – جلّ ذكره – أن يقولوه ويَدينُوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال: وأين قوله: "قولوا"، فيكونَ تأويلُ ذلك ما ادَّعَيْتَ ؟ . قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها – إذا عرفتْ مكان الكلمة و لم تَشكَّك أنّ سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت – حذفُ ما كفى منه الظاهرُ من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت قولاً أو تأويلَ قولٍ . " [(١)]

وقد دل ظاهر السياق في هذا المثال على حذف قال وقولوا ، وهذا الحذف من أشهر أنـــواع الحذف عند العرب .

٣- إذا وجد في السياق قول -سواء كانت النسبة للقول موجودة أو محذوفة- فإنه يحسن في العربية هذا الحذف قصداً لتنويع الخطاب من مخاطب إلى غائب وعكسه ، وفي التنويع تجديـــد ، وتجديد للسمع أن يمل أو يكل :

ففي قوله – تعالى – : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣] قال – رحمه الله – : " يقول – تعالى ذكره – : والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتوَلَّوْنَهُم ويعبدونهم من دون الله يقولون لهم : ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى ، قربة ومنـــزلة ، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا ، وهي فيما ذُكر في قراءة أبيّ : "ما نَعْبُدُكُمْ" ، وفي قراءة عبد الله : "قالوا ما نعبـــدهم "[(٢)] ، وإنما حسن ذلك ؛ لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمراً كان أو ظاهراً ، جعـــل الغائـــب أحيانـــاً

(١) جامع البيان ١/٩٠-٩١ ، وتحقيق شاكر ١/١٣٩ .

(٢) عبد الله هنا هو : عبد الله بن عباس ، انظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٤/٤٥٧-٤٥٨) .

كالمخاطب ، ويترك أخرى كالغائب..." (١)

فهنا لما كان في السياق مقولة المشركين عن سبب عبادتهم للأولياء مع الله ، قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ، وقولهم هذا حديث عن الغائب ، وفي قراءة أبيّ : "ما نعبدكم" وهو خطاب لحاضر ، وحسن ذلك ؛ لوجود نسبة القول باطنة مفهومة من السياق ، ومن باب أولى : لو كانت نسبة القول موجودة ؛ لحسن التعبير من مخاطب إلى غائب ، وهو المسمى بالالتفات .(٢)

---

(١) جامع البيان (٦١١/١٠) .

(٢) الالتفات هو : العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم ، أو على العكس . التعريفات للجرجاني صفحة (٥١) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٥٧) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٨/١) ، (٦٠) ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٨/١) ، وآل عمران (٧٩) ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٣/٣) ، و(١٠٦) ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٦/٣) ، والأنعام (٧) ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٠/٥) ، و(١٢٨) ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٢/٥) ، و(١٥٤) ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٨/٥) ، والأعراف(٣) ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٦/٥) ، و(١٦٠) ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ الآية جامع البيان (٩٠/٦) ، و(١٩٦) ﴿ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٠/٦) ، والأنفال (٥٠) ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٨/٦) ، والتوبة(٣٥) ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ جامع البيان (٣٦٢/٦) ، والرعد(٢٤) ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٧/٧)، والنحل (٢٨) ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٧٥٩/٧) ، والإسراء (١٣) ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠/٨) ، والكهف (٢٤) ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٢٠٨/٨ ، و(٤٨) ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٣/٨) ، والأنبياء (٩٧) ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٨٨/٩) ، والحج (٢٢) ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ

=

=

(٢٢)﴾ الآية جامع البيان (٩/١٢٧)، والمؤمنون(١٠٥) ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥)﴾ الآية جامع البيان (٩/٢٤٦)، والنمل (٩٠) ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٤)، وسبأ (٧) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٤٨)، و(١٣) ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٥٦)، ويس (٦٠) ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤٥٧)، والصافات (٢٢) ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤٧٩)، و(٣٥) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤٨٣)، و سورة ص (٤٢) ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)﴾ الآية جامع البيان (١٠/٥٨٩)، غافر (٧) ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٨)، و (١٦-١٧) ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٨)، والزخرف (٦٨) ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٠٩)، والدخان (١٢) ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٢٨)، و(٣١) ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١)﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٦٨)، والأحقاف (٢٠) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ الآية جامع البيان (١١/٢٢٨)، وسورة ق (٢٤) {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} الآية جامع البيان (١١/٤٢٢)، و(٣٢) ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢)﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٢٧)، والذاريات (١٤) ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٥٠)، والطور (١٤) ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٨٦)، و(١٩) ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩)﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٨٦)، والقمر (٤٨) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ (٤٨)﴾ الآية جامع البيان (١١/٥٦٨)، والرحمن (٣٣) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (٣٣)﴾ الآية جامع البيان (١١/٥٩٤)، و(٤٣) ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣)﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٠٠)، والواقعة (٦٦-٦٧) ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٥٤)، والحاقة (٢٤) ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ الآية جامع البيان (١٢/٢١٨)، و(٣٠) ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠)﴾ الآية جامع البيان (١٢/٢٢٠)، والإنسان (٩) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (٩)﴾ الآية جامع البيان (١١/٣١٦)، و(٢٢) ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)﴾ الآية جامع البيان (١٢/٣٧٣)، والمرسلات (٤٣) ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ الآية جامع البيان (١٢/٣٩٢)، والنبأ (٣٠) ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾ الآية جامع

=

٤- قد يحذف القائل : كما في قوله – تعالى – : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٩ - ١١٠] قال – رحمه الله– : " وقيل : ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ، والخبر بذلك عن فرعون ، و لم يذكر فرعون ، وقلّما يجيء مثل ذلك في الكلام ، وذلك نظير قوله : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٢][1].فقيل: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ من قول يوسف ، و لم يذكر يوسف[2]."

فجملة : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ من قول فرعون استشارة منه لقومه الذين وصفوا موسى– ﷺ– بالسحر ، وأنه يريد إخراج أهل مصر منها ، ثم حكي كلام فرعون ، ومما يدل على هذا الحذف جوابهم بعدُ له بقولهم : ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأعراف: ١١١].

=

البيان (٤٠٩/١٢) .

(١) قد سبق الحديث عن كلام الإمام الطبري هذا ، وترجح في الآية اتصال الكلام بالمرأة دون يوسف –عليه السلام– ، وذلك في مبحث : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه . انظر صفحة (٢٠٣-٢٠٤) .

(٢) جامع البيان (١٨/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٠/١٣) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (٢٩) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣١/٤) ، وسورة ص (٥٩) ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٠/١٠) .

المطلب الثاني : حذف مقطع من قصة أو حدث من واقعة :

وهذا كثير في عرض القصص القرآني ، ويفهم هذا جلياً من سياق الآيات :

ومن أمثلة ذلك : قوله -تعالى- : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩] الآية ، قال أبو جعفر : " وفي هذا الخبر من الله -تعالى ذكره- متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عن ذكره . ومعنى الكلام : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] فأتاهم التابوت فيه سكينة من ربهم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، فصدقوا عند ذلك نبيهم ، وأقروا بأن الله قد بعث طالوت ملكا عليهم ، وأذعنوا له بذلك[(١)]. يدل على ذلك قوله : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ وما كان ليفصل بهم إلا بعد رضاهم به وتسليمهم الملك له ؛ لأنه لم يكن ممن يقدر على إكراههم على ذلك ، فيظن به أنه حملهم على ذلك كرهاً ". [(٢)]

وقد ذكر نبي بني إسرائيل – كما حكى الله عنه – لقومه مقومات كون طالوت ملكا عليهم، بعد إنكارهم ذلك بأنه لم يؤت سعة من المال فقال : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ثم قص الله -عز وجل- الآية التي أوتيها مباشرةً فصلِ طالوتَ بالجنود لهم على أنه ملكهم ، ولم يذكر قبل ذلك تسليمهم له بالملك عليهم ، وهذا مفهوم من القصة ، ولازم طاعتهم القتال خلفه وتحت رايته . [(٣)]

---

(١) وهذا معنى الآية التي قبلها ، ونصها : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

(٢) جامع البيان (٦٣١/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٣٨/٥) .

(٣) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٣٠) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية جامع البيان (٢٤٧/١)، و(٥٧) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾الآية جامع البيان (٣٣٨/١) ، و(٦٠) ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾الآية جامع البيان (٣٤٦/١) ، و(٦١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ الآية
=

=

جامع البيان (١/٣٥٣)، و(٧٣) ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴿٧٣﴾﴾ الآية جامع البيان (١/٤٠٤)، و(٢٤٦) ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله﴾ الآية جامع البيان (٢/٦١٥)، والنساء (٤٣) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ الآية جامع البيان (٤/١١١)، و(٦٠) ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ الآية جامع البيان (٤/١٥٥)، و المائدة (١٣) ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٩٥)، و(٣١) ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٤٠)، والأنعام (٨) ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴿٨﴾﴾ الآية جامع البيان (٥/١٥١)، و(٤٢-٤٣) ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴿٤٢﴾﴾ الآيتين جامع البيان (٥/١٩٠-١٩١)، والأعراف (١١٢-١١٣) ﴿يأتوك بكل ساحر عليم ﴿١١٢﴾﴾ الآيتين جامع البيان (٦/١٩)، و(١١٧) ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴿١١٧﴾﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٢)، و(١٣٥) ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴿١٣٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٢)، ويونس (٢) ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ الآية جامع البيان (٦/٥٢٩)، و(٨٠) ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ﴿٨٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٦/٥٩٠)، وهود (٤١) ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴿٤١﴾﴾ الآية جامع البيان (٧/٤٣)، و(٦٥) ﴿فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴿٦٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٧/٦٣)، ويوسف (١٥) ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ الآية جامع البيان (٧/١٥٧)، و(١٩) ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام﴾ الآية جامع البيان (٧/١٦٤)، و(٣٣) ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٠٨)، و(٣٦) ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ الآية جامع البيان (٧/٢١١-٢١٢)، و(٤٦) ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٢٧)، و(٥١) ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٣٤)، و(٨٣) ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٧٣)، و(٨٨) ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ الآية جامع البيان (٧/٢٨٥)، والكهف (٤٩) ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٣٤)، و(٩٦) ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٨٧)، ومريم (١٢) ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ﴿١٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٨/٣١٥)، و(٢٢) ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ﴿٢٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٨/٣٢٢)، وطه (٤٠) ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ الآية جامع البيان (٨/٤١٣-٤١٨)، و(٤٨) ﴿إنا قد أوحي إلينا أن

=

المطلب الثالث : حذف جوابي السؤال والقسم ونحوهما :

فمثال حذف جواب السؤال : قولـه -تعـالى- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٨] قال -رحمه الله- بعد تفسير الآية : " وترك الجواب ؛ لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه . والمعنى : فإنهم

=

الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٨) ، و(٦٦) ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٣/٨) ، و(٦٥) ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٢/٨) ، و(٧٠) ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٥/٨) ، و(٧٨) ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/٨) ، و(٩٤) ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٩/٨) ، والأنبياء (٦٩) ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ جامع البيان (٢٤/٩)، والمؤمنون (٧٢) ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٩) ، والفرقان (٣٦) ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/٩) ، والشعراء (١٨) ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٦/٩)، و(٤٣) ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٢/٩) ، والنمل (١٠) ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٨/٩) ، و(٢١) ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٦/٩) ، و(٤٠) ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾الآية جامع البيان (٥٢٥/٩) ، والقصص (١١) ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨/١٠) ، و(٣١) ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾الآيـة جـامع البيـان (٦٩/١٠) ، والصافات (٥٤) ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ جامع البيان (٤٩١/١٠) ، و(٩١) ﴿ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/١٠) ، وسورة ص (٣٢) ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٨/١٠) ، و(٧٣) ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٥/١٠) ، والزمر (٧٣) ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٤/١١) ، والدخان (٢٣) ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/١١) ، والأحقاف (٢٧) ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٥/١١) ، والذاريات (٢٧) ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٣/١١) .

سيقولون : لا ، فقل : حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها ، إياه أعبد ، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه ، فإنه الكافي ، وبيده الضر والنفع ، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع..."(١).

ولا شك أن الله -سبحانه وتعالى- هو المتصرف في الكون ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولم يذكر الله جواب السؤال الذي أمر الله رسوله - ﷺ- أن يقوله للمشركين وهو : ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ ؛ لدلالة ظاهر السياق عليه ، ومنه قوله : ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي : وحده دون من سواه من الآلهة المزعومة، فهو دليل على أنهم نفوا أن يكون أحد يفعل ذلك غير الله -تعالى- كما في آيات أخرى ، ومنها قوله -تعالى- : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

ومثال **حذف جواب القسم** : قوله -تعالى- : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات: ١ - ٥] قال -رحمه الله- : "واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ : فقال بعض نحويِّي البصرة : قوله : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ قسم - والله أعلم- على : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ٢٦] } ، وإن شئت جعلتها على : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ [النازعات: ٦] ، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النازعات: ٨] ، وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا ، وفي كلّ الأمور .

وقال بعض نحويي الكُوفة : جواب القسم في النازعات : ما تُرك لمعرفة السامعين بالمعنى ، كأنه لو ظهر كان لَتُبْعَثُنّ ولتحاسبنّ . قال: ويدل على ذلك : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ [النازعات: ١١] . ألا ترى أنه كالجواب لقوله : " لَتُبْعَثُنَّ " ؛ إذ قال : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ ، وقال آخر منهم نحو هذا ، غير أنه قال : لا يجوز حذف اللام في جواب اليمين، لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها ،

---

(١) جامع البيان (١١/٨) . وانظر مثله في غافر (١٢) ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٥) .

وذلك أنها تلي كلّ كلام .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغني عنه بدلالة الكلام ، فترك ذكره " . [١]

فالأقسام المتتالية في السورة تحتاج إلى جواب ، وهذا الجواب غير مذكور على الصحيح ، ولكن الذي يدل عليه إنكار المشركين للبعث أول هذه السورة ، مما يدل على أن أقرب تقدير لجواب القسم المحذوف ، هو : لتبعثن . [٢]

---

(١) جامع البيان (٤٢٦/١٢) .

(٢) وانظر مثله في : الانشقاق (١-٥) ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ الآيات جامع البيان (٥٠٦/١٢) ، ومثل ما سبق حذف جواب لولا في : النور (١٠) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٧٥/٩) ، و(٢٠) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/٩) ، والفتح (٢٥) ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٣/١١) ، وجواب لو في : هود (٨٠) ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٨٥/٧) ، والرعد (٣١) ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٦/٧) .

وحذف جواب جملة الشرط كما في : الأعراف (٣٥) ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٧٧/٥) ، والنمل (٨٧) ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٠/١٠) ، ويس (٤٥) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٤٧/١٠) ، والحديد (٢٤) ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ الآية جامع البيان (٦٨٨/١١) .

وحذف محجود بل في : الأنبياء (٤٢) ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٣٠/٩) ، والشعراء (٧٤) ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٥١/٩) ، والقمر (٤٦) ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٥٦٨/١١) .

والردع بـــ"كلا" في : العلق (٦) ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٦٤٦/١٢) ، و(١٥) ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٦٤٨/١٢) ، و(١٩) ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ الآية جامع البيان (٦٥٠/١٢) ، والتكاثر (٣-٥) ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ الآية جامع البيان (٦٧٩/١٢) .

المطلب الرابع : حذف المقابل :

والمراد أن يذكر شيء ويحذف مناظره ومقابله ومضاده ، فقد يحذف المقابل في الخبر ، أو في جواب الاستفهام ، واليك أمثلة لهما :

١- مثال حذف المقابل في الخبر : قوله - تعالى - : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]" ...قال أبو جعفر : فتأويل الكلام: وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس = فاستغنى بقوله : ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ ﴾ عن ذكر قوله : " من الذين نافقوا " ؛ لدلالة الكلام عليه . إذ كان في قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تأويل : "أيّ" على ما وصفنا. فكأنه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن ." (١)

فالكلام المذكور لما ذكر الله فيه أن الابتلاء والمصائب يظهر ويبين المؤمنين – على سبيل الحقيقة والواقع –، فهو دليل على أن ضد المؤمنين هم المنافقون ، فهم يظهرون ويتميزون ولا شك ، فجاز حذفهم ، وبضدها تتميز الأشياء .

٢–ومثال حذف المقابل مع جواب الاستفهام : قوله -تعالى- ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢] قال –رحمه الله– : " يقول -تعالى ذكره- : أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته، ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ ﴾ يقول : فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، بتنوير الحق في قلبه ، فهو لذلك لأمر الله متبع ، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه ، كمن أقسى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيقه عن استماع الحق ، واتباع الهدى ، والعمل بالصواب ؟ ، وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه . وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين ، وجعل مكان ذكر الصنف

---

(١) جامع البيان (٣/٤٥٠) ، وتحقيق شاكر (٧/٢٤٨) . ومثله في النساء (٤٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٠٤) ، والصافات (٥) ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤٦٩) .

الآخر الخبر عنه بقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ." [(١)] .

وهذا المثال واضح في تقسيم القلوب إلى قسمين : ذكر الله -سبحانه- القسم الأول منـــها ، وهو القلب المنشرح المنبسط لشرائع الإسلام ، فدل على ما يقابله ويضاده : وهو القلب الضيق بالكفر.

وقد توعد الله القسم الثاني في ختام هذه الآية فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ، ومن هذا يفهم أن قلوب القسم الأول ليست قاسية .

---

(١) جامع البيان (٦٢٧/١٠) . ومثله في هود (١٧) ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ الآية جـــامع البيـــان (٢٠/٧)، والرعد (٣٣) ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/٧) ، وفاطر (٨) ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٦/١٠) ، والزمر (٢٤) ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/١٠) .

المطلب الخامس : حذف اسم الإشارة في أوائل السور :

كما في قوله -تعالى- : ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾ [التوبة: ١] " قال أبو جعفر : يعني بقوله -جل ثناؤه-: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ ، هذه براءة من الله ورسوله . فـ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مرفوعة بمحذوف، وهو "هذه"، كما قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١]، مرفوعة بمحذوف هو "هذه".

ولو قال قائل: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ ، وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ ، كالمعرفة ، وصار معنى الكلام : البراءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، كان مذهبًا غير مدفوعة صحته، وإن كان القول الأول أعجبَ إليّ ؛ لأن من شأن العرب أن يضمروا لكلِّ معاين نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعاين ، "هذا" و"هذه" ، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسن : "حسن والله" ، والقبيحَ : "قبيح والله" ، يريدون : هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ؛ فلذلك اخترت القول الأول ." [(١)]

فلغة العرب على رفع النكرة والمعرفة أول الكلام ، إذا كان معايناً ومشاهداً ويخبر عنه ، بتقدير محذوف هو : هذا أو هذه ، ويدخل تحت هذا المثال ، فواتح سور أخرى عديدة ، كالأعراف ، وهود ، وإبراهيم ، وغيرها بعد الأحرف المقطعة [(٢)].

---

(١) جامع البيان (٣٠١/٦) ، وتحقيق شاكر (٩٥/١٤) . ومثله في مريم (٢) ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ②﴾ جامع البيان (٣٠٥/٨) .

(٢) فأول الأعراف (١-٢) ﴿الٓمٓصٓ ① كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾، وهود (١) ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ ، وإبراهيم (١) ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ①﴾ .

المطلب السادس : ختام الآية بالأسماء الحسنى دالّ على محذوف مراد معناه :

قد يرد في الآية خبر ويختم باسم من أسماء الله الحسنى ، دون الإشارة إلى ما يكمل الخبر ، ولكن تدل تلك الأسماء الحسنى على المراد المحذوف .

كما في قوله -تعالى- : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء: ١٤٩] قال –رحمه الله- :" ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾ ، يقول: لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه، يصفح عمن عصَاه وخالف أمره. ﴿ قَدِيرًا ﴾ ، يقول : ذا قدرة على الانتقام منهم . وإنما يعني بذلك : أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه . يقول : فاعفوا أنتم أيضًا أيها الناس عمن أتى إليكم ظلمًا ، ولا تجهروا له بالسوء من القول ، وإن قدرتم على الإساءة إليه ، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم ، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره ." (١)

ففي ختم هذه الآية بالاسمين الكريمين : العفو القدير دعوة لتطبيق معناهما ، فيفهم من هـذا معنى محذوف ، فلو قرأت أول الآية فقط ، وهو قوله -تعالى- : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ ﴾ هل تفهم منها شيئاً ؟! ، إلا إذا ذكر ختامها : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ فإنك تفهم شيئاً تامـاً غـير المذكور ، فهو كلام محذوف فهم من خلال الختام .

---

(١) جامع البيان (٤/٣٤٣) ، وتحقيق شاكر (٩/٣٥١) . وانظر مثله في المائدة (٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٢٦) .

المبحث الرابع : الحذف قد يكون محتملا بسبب السياق ، أو القراءة :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مثال تقدير الحذف بسبب احتمال السياق .

المطلب الثاني : مثال تقدير الحذف بسبب القراءة .

المطلب الأول : مثال تقدير الحذف بسبب احتمال السياق :

قوله -تعالى- : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الدخان: ٢٤] قال -رحمه الله- : "يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابُك فاتركه ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخلته . وقيل: إن الله -تعالى ذكره- قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل ؛ فإذ كان ذلك كذلك ففي الكلام محذوف ، وهو : فسرَى موسى بعبادي ليلاً، وقطع بهم البحر ، فقلنا له بعد ما قطعه وأراد ردّ البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه : اتركْه رَهْوًا ." [(١)]

فقوله -تعالى- : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ يحتمل أن يكون خبراً متصلاً بقوله : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان: ٢٣] ، أو أن قول الله -عز وجل-لموسى- ﷺ- كان بعدما قطع البحر ، وكان كل فرق كالطود العظيم ، فيكون فعل موسى حين سرى ليلاً ببني إسرائيل ، وحين قطع البحر محذوفاً من الكلام ، والآية تحتمل هذا المعنى وذاك . -والله أعلم-.[(٢)]

---

(١) جامع البيان (١١/٢٣٤) .

(٢) انظر التحرير والتنوير (١٢/٢٥/٣٠٠) .

المطلب الثاني : مثال تقدير الحذف بسبب القراءة :

قوله – تعالى – : { سَتَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ } [القمر: ٢٦] قال –رحمه الله– : " يقول –تعالى ذكره– : قال الله لهم : ستعلمون غداً في القيامة من الكذّاب الأشر منكم معشر ثمود ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم ، وهذا التأويل تأويل من قرأه {سَتَعْلَمُونَ} بالتاء ، وهي قراءة عامة أهل الكوفة ، سوى عاصم[١] والكسائي[٢] .

أما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء ، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائي[٣] ، فإنه قال الله : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ وترك من الكلام ذكر "قال الله" ؛ استغناء بدلالة الكلام عليه . "[٤]

فعلى القراءة بالتاء :{ سَتَعْلَمُونَ } لا يحتاج الكلام لتقدير حذف ؛ لاتصال الكلام بقول الله في الآيتين التاليتين وهي قوله–تعالى– : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القمر: ٢٧ – ٢٨] .

وعلى القراءة بالياء : ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ تحتاج لتقدير محذوف ، أو تحمل على أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والعكس .

وحمل ابن عطية الالوسي والشوكاني –رحمهم الله– :قراءة التاء على معنى : قل لهم يا صالح ، وبالياء : من قول الله لصالح[٥] ، وفي الكشاف : بالتاء على سبيل الالتفات من كلام صالح ، وأن يكون من كلام الله على الالتفات أولى . [٦]

---

(١) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي مولاهم ، اسم أبيه بهدلة ، ومقرئ العصر بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، كان عابداً خيراً ، ثقة متقن في القراءة ، صدوق في رواية الحديث ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل ثمان وعشرين . انظر سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٦) ، والنشر في القراءات العشر (١/١٥٥) .

(٢) بالتاء الفوقية قراءة : ابن عامر وحمزة . انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٠٧) .

(٣) بالياء التحتية قراءة الباقين وهم : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٠٧) .

(٤) جامع البيان (١١/٥٦٠) .

(٥) انظر المحرر الوجيز (١٥/٣٠٦–٣٠٧) ، وروح المعاني (٢٧/١٣٥) ، وفتح القدير (٥/١٢٦) .

(٦) انظر الكشاف (٤/٣٩) .

المبحث الخامس : تقدير الحذف بما يناسب السياق :

وهذا لب الفصل وأساسه ، بعد تقرير شيء من استعمالات العرب للحذف ، وشروط تقديره، وكل ما مضى يصلح أن يكون من الأمثلة ، ولكن أفردها هناك تأصيلاً لتقدير المحذوف وبيان حدوده ، وسأورد هنا مثالاً واحداً واضحاً ، إذ أن المواضع كثيرة : وهو قوله -تعالى- عن الخضر -عليه السلام - : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف: ٧٩] قال -رحمه الله- : "وقوله : ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فيقول القائل : فما أغنى خَرْق هذا العالِم السفينة التي ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها ، مَعِيبها وغير معيبها ؟ ، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها ؛ لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ؟ قيل : إن معنى ذلك : أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً ، ويدع منها كلّ معيبة ، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها .

فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله : ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأبان بذلك أنه إنما عابها ؛ لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكتفى بذلك من أن يقال : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً ، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك . "(١)

وهذا التقدير للمحذوف يلتحم فيه قول الخضر -عليه السلام- وقصده مع فعله وتعليله ، ولو لم تقدر : "صالحة" أو "صحيحة" لما تلاءم الكلام مع الفعل منه - عليه السلام - ، ولكان خرق السفينة إضاعة لمال المساكين . (٢)

---

(١) جامع البيان (٢٦٥/٨) ، وقد نسبت هذه القراءة إلى أبي بن كعب كما في تفسير النسائي (١١/٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٥٣/٤) ، وفي تفسير السمرقندي نسبها لابن عباس (٣٠٩/٢) ، وفي تفسير كتاب الله العزيز ، لهود بن الحكم الهواري قال : وفي بعض القراءات : "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا" (٤٧٤/٢)، وقال الزمخشري : "وقيل في قراءة أبي وعبد الله : "كل سفينة صالحة". الكشاف (٤٩٥/٢) ، وقال أبو حيان في النهر الماد : ويحمل ذلك على أنه تفسير لا على أنه قرآن ، (جزء ٢ قسم ٣٢٦/١) ، وقال القرطبي : قرأ ابن عباس وابن جبير : صحيحة ، وقرأ أيضا : ابن عباس وعثمان بن عفان : صالحة . الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١١) .

(٢) انظر بقية المواضع في : البقرة (٦٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا

=

=

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦١/١) ، و (٧٠) ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/١) ، و(٧٤) ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾الآية جامع البيان (٤٠٧/١) ، و(٩٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾الآية جامع البيان (٤٦٨/١) ، و (٩٤) ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٠/١) ، و(١٠٢) ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٣/١و٤٩٦) ، و(١٣٥) ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾الآية جامع البيان (٦١٤/١) ، و(١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ الآية جامع البيان ٧٠/٢ ، و(١٦٥) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان ٧٢/٢ ، و(١٣٧) ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان ٩١/٢ ، و(١٧٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾الآية جامع البيان ١١٢/٢ ، و(١٨١) ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) ﴾ الآية جامع البيان ١٢٧/٢ ، و(٢١٦) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾الآية جامع البيان ٣٥٨/٢ ، و(٢٢٦) ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٠/٢ ، و(٢٢٩) ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾الآية جامع البيان ٤٧٣/٢ ، وال عمران (٢٦) ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ الآية جامع البيان ٢٢١/٣ ، و(٤٤) ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ الآية جامع البيان ٢٦٧/٣ ، و(٨٥) ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية جامع البيان ٣٣٧/٣ ، و (١١٧) ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ الآية جامع البيان ٤٠٤/٣ ، والنساء(٣) ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ الآية جامع البيان ٥٧٨/٣ ، و(٢٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ الآية جامع البيان ٦٦٢/٣ ، و(٣٤) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾الآية جامع البيان ٦٣/٤ ، والمائدة(٤) ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ﴾ الآية جامع البيان ٤٢٧/٤، و(٩) ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) ﴾ الآية جامع البيان ٤٨٤/٤ ، و (٤٧) ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾الآية جامع البيان٦٠٥/٤ ، والأنعام (٣٣) ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ الآية جامع البيان ١٨٠/٥ ، و(٧٨) ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ﴾الآية جامع البيان ٢٤٧/٥ ، و(١٤٢) ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾الآية جامع البيان ٣٧١/٥، والأعراف (٦٥) ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾الآية الأنعام: ١٥٢ جامع البيان ٥٢٢/٥، و(٨٠) ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ الآية الأعراف: ٦٥ جامع البيان ٥٤٠/٥،

=

=

و(١٨٩) ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الآية الأعراف: ٨٠ جامع البيان ١٤٢/٦، والأنفال (٧) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الآية الأعراف: ١٨٩ جامع البيان ١٨٧/٦، و(٣٥) ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ الآية الأنفال: ٧ جامع البيان ٢٣٨/٦، والتوبة (١١) ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية الأنفال: ٣٥ جامع البيان ٣٢٨/٦، ويونس (٧١) ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ الآية التوبة: ١١ جامع البيان ٥٨٥/٦، يوسف (١١) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ الآية يونس: ٧١ جامع البيان ١٥٥/٧، و(١١٠) ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ يوسف: ١١جامع البيان ٣١٦/٧، وإبراهيم (٤١) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ الآية يوسف: ١٠٩ جامع البيان ٤٦٧/٧، والحجر (١٠) ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ إبراهيم: ٤١ جامع البيان ٥٩٨/٧، و(١٠٢) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجر: ١٠ جامع البيان ٦٤٧/٧، و(١٢٦) ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ النحل: ٥٦ جامع البيان ٦٦٤/٧، والإسراء (٦٣) ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ النحل: ١٠٢ جامع البيان ١٠٧/٨، و(٧٨) ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل: ١٢٦ جامع البيان ١٢٧/٨، ومريم (٢٦)، ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ الآية جامع البيان ٣٣٢/٨، وطه(٢٤) ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٠٩/٨، و(١٠١) ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٥٥/٨، و(١١٧) ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٦٧/٨، والأنبياء(٣٩) ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٢٩/٩، و(٧٦) ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٨/٩، والحج (٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الآية جامع البيان ١١٢/٩، والشعراء (١٣) ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٥/٩، و(٢٢) ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٨/٩. و(٣٠) ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٤٠/٩، ولقمان (١٤) ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا ﴾ الآية جامع البيان ٢١٠/١٠، و(٢٧) ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان ٢٢٠/١٠، و(٣٢) ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية جامع البيان ٢٢٤/١٠، والأحزاب (١٩) ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ

=

المبحث السادس :

مواضع قدّر فيها الإمام الطبري –رحمه الله– حذفاً وليست كذلك ، أو لم يقدر فيها حذفاً مناسباً للسياق :

سبق ذكر أمثلة كثيرة على تقدير المناسب ، ولكن وقفت على ثلاثة مواضع –فيما يظهر– هي خلاف تطبيق ابن جرير –رحمه الله– السابق ، وتعتبر نادرة بالنسبة لعدد المواضع التي سار فيها على الطريقة السليمة الغالبة ، وهذه المواضع هي :

الموضع الأول : قوله–تعالى– : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾[الأنعام: ١٥١]"...قال أبو جعفر : يعني

= **مِنَ الْمَوْتِ** ﴾الآية جامع البيان ٢٧٥/١٠ ، وسورة ص (٣٦) ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٥٨٣/١٠ ، والزمر (١٩) ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ** ﴿١٩﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٦٢٦/١٠ ، والفتح (١٨) ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ الآية جامع البيان ٣٥٠/١١ ، و(٢٩) ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾الآية جامع البيان ٣٧٥/١٠ ، وسورة ق (٣) ﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴿٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٠٦/١١ ، و(٤٤–٤٥) ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** ﴿٤٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٣٩/١١ ، والذاريات(٢٩) ﴿ **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ** ﴿٢٩﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٤٦٥/١١ ، والواقعة(٨٣) ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٦٦٣/١١ ، والمجادلة (١١) ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾الآية جامع البيان ١٩/١٢ ، و(١٣) ﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ** ﴾الآية جامع البيان ٢٢/١٢ ، والحشر(١١) ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ** ﴾ الآية جامع البيان ٤٤/١٢ ، والمعارج(٣٩) ﴿ **كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ** ﴿٣٩﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٢٤٢/١٢ ، والمرسلات (٣٢) ﴿ **إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ** ﴿٣٢﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٣٨٩/١٢ ، والشمس(١٣) ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴿١٣﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٦٠٦/١٢ ، والتين(٤) ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٦٣٧/١٢ ، والقارعة (٦) ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴿٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٦٧٦/١٢، و(٨) ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ﴿٨﴾ ﴾ الآية جامع البيان ٦٧٦/١٢.

- تعالى ذكره - بقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ ، ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم ."(١) .

فعلّل قتل المشركين لأولادهم في الآية بخشية الفقر ، ومن المعلوم أن هذه الآية من سورة الأنعام لم يذكر فيها لفظ "خشية" ، وإنما ذكر الله -تعالى- الخشية في سورة الإسراء ، فقال -تعالى- : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[الإسراء: ٣١] فلا بد من فرق بين هذين الموضعين . وقد نبه على ذلك ابن كثير -رحمه الله- فقال في قوله -تعالى- : ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ "... أي : ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل في الآجل ؛ ولهذا قال هناك : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[الإسراء: ٣١] فبدأ برزقهم ؛ للاهتمام بهم ، أي : لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله ، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلا قال : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لأنه الأهم ها هنا -والله أعلم- ." (٢)

وبهذا يتبين أن آية الأنعام على ظاهرها بدون تقدير خشية ؛ لأن الكلام يستقيم بدون تقدير حذف ، وليفرق بين الآيتين في التعبير ، والتقديم والتأخير .

الموضع الثاني : قوله -تعالى- : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [غافر: ٧٩ - ٨٠] قال -رحمه الله- : "يقول -تعالى ذكره-: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ : الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش ، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ ﴾: من الإبل والبقر والغنم والخيل ، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ﴿ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا ﴾ يعني : الخيل والحمير ، ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم . وقال: ﴿ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا ﴾ ومعناه : لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً تأكلون ، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف...

---

(١) جامع البيان (٥/٣٩١) ، وتحقيق شاكر (١٢/٢١٧) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/١٠٨) ، وحسن ذلك الآلوسي في روح المعاني (٧/٨٠) ، وأشار أبو السعود إلى القولين في إرشاد العقل السليم (٢/٣٠٢) .

وقوله : ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول : ولتبلغوا بالحمولة على بعضها ، وذلك الإبل حاجة في صدوركم ، لم تكونوا بالغيها لولا هي إلا بشق أنفسكم ، كما قال - جلّ ثناؤه - : ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾[النحل: ٧]... وقوله :﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني : وعلى هذه الإبل ، وما جانسها من الأنعام المركوبة...". [١]

ففسر الإمام –رحمه الله– الأنعام بأنها : من الإبل والبقر والغنم والخيل ، وغير ذلك من البهائم، وهذا خلاف المستعمل في اللغة ، وخلاف المطلق في الشرع ، ونبه على ضعفه ابن عطية والراغب :

فقال ابن عطية : " وإنما الأنعام الأزواج الثمانية التي ذكر الله فقط " [٢].

وقال الراغب الأصفهاني –رحمه الله– : " والنعم مختص بالإبل ، وجمعه أنعام ، وتسميته بذلك؛ ليكون الإبل عندهم أعظم نعمة ، لكن الأنعام تقال : للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها : أنعام حتى يكون في جملتها الإبل ." [٣]

والمقصود أن إرجاع الهاء في قوله : ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ إلى الخيل والحمير لا يسلم ؛ لعدم دخولها في معنى الأنعام السابق ذكره في الآية : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ﴾ كما تقدم . والله أعلم .

الموضع الثالث : قوله –تعالى– : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤] قال –رحمه الله– :"يقول –تعالى ذكره– لنبيه محمد – ﷺ–: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام : من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحا لمعايشكم ، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ، ومنافع أقواتكم ، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم ؟ .

---

(١) جامع البيان (١١/٨٠-٨١) .

(٢) المحرر الوجيز (١٤/١٥٨-١٥٩) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٨١٥) .

وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ، ثم ذكره وهو : فإن قالوا : لا ندري ، فقل : الذي يرزقكم ذلك الله..." [(١)]

وتقدير جواب المشركين المحذوف بأنهم قالوا : "لا ندري" ، ليس بلازم ، بل هم يقرون بذلك ، كما بينه تعالى في مواضع من كتابه ، منها : قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١] ، وقوله -تعالى- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١] ، ولكن يحتمل في الآية الأولى -آية سورة سبأ- أنهم سكتوا أو أجابوا بالإقرار ، والإشارة فيها بالضلال والهدى عائد على شركهم ، وهو شرك في توحيد الألوهية لا في توحيد الربوبية ، والسؤال المطروح عليهم في الرزق متعلق بتوحيد الربوبية [(٢)].

وفي ختام الفصل عسى أن أكون قد وفّقت في توضيح أشياء مهمة متصلة بالسياق الدال على محذوف ، وأن يكون في الأمثلة المذكورة في المتن دلالة على الأمثلة المشار إليها في الحاشية .-والله أعلم-.

---

(١) جامع البيان (٣٧٥/١٠) .

(٢) توحيد الربوبية : هو إفراد الله -عز وجل- بالخلق والملك والتدبير ، وتوحيد الألوهية : هو توحيد العبادة ، فلا يتوجه بالعبادة إلا لله المعبود بحق . انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (١١/١-١٧) ، للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين ، جمع وتخريج الدكتور سليمان أبا الخيل ، والدكتور خالد المشيقح .

الفصل السابع

أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه :

الفصل السابع : أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه :

لقد عدّ العلماء –رحمهم الله–الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن ، وشرطاً من شروط أهلية دخول الشخص في تفسير كتاب الله–عز وجل – ، حتى لا يقع المفسر في أغلاط حين يفسر آية بنقيض أخرى ، دون أن يشير إلى أن هذه ناسخة لتلك، فقد فسر ابن عباس – رضي الله عنهما– الحكمة في قوله – تعالى – : ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩] بأنها : " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكَمه ومتشابهه ، ومقدَّمه ومؤخَّره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله ." (١)

مع ما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الإلمام بشيء من سير التشريع الإسلامي، وبيان شيء من حكمة الله – عزّ وجلّ– البالغة في النسخ كالتيسير والابتلاء ، وهو دليل على أن هذا القرآن من عند الله –عزّ وجلّ – ، ليس للنبي – ﷺ – فيه شيء إلا أن بلّغه .(٢)

ولهذه الأهمية ولغيرها ، فقد ألف جمع من العلماء في الناسخ والمنسوخ ، منهم: **أبو عبيد القاسم بن سلاّم** (٣)، **وأبو داود السجستاني** (٤)، **وأبو جعفر النحاس** ، **وابن الأنباري**(٥) ،

(١) جامع البيان (٣/٨٩) ، وتحقيق شاكر (٥/٥٧٦) .

(٢) انظر مناهل العرفان للزرقاني (٢/١٣٦) بتصرف .

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، إمام بارع في اللغة والنحو والتفسير والقراءات والحديث والفقه ، أشهر كتبه : الأموال ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٥٧) ، وبغية الوعاة (٢/٢٥٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/٣٢) ، وطبقات الحنابلة (١/٢٥٩) ، والمنهج الأحمد (١/٨٠) .

(٤) هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر ، وقيل ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني ، ولد سنة اثنتين ومائتين ، صنف كتباً منها : السنن ، والناسخ والمنسوخ . توفي بالبصرة ، سنة خمس وسبعين ومائتين. انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٢٤) ، وطبقات المفسرين (١/٢٠١) ، ووفيات الأعيان (٢/٤٠٤) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ، النحوي اللغوي صاحب المصنفات ، ومنها : إيضاح الوقف والابتداء ، كان يحفظ فيما قيل : ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن ، وكان إملاؤه من حفظه ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧٤) ، وغاية النهاية (٢/٢٣٠) .

ومكي بن أبي طالب ، وابن العربي ، وغيـــرهم .[١]

ولكن أورد جَمْع من العلماء في مؤلفاتهم في علم الناسخ والمنسوخ ، وجَمْع من المفســرين في ثنايا تفاسيــرهم ، أقوالاً في آيات بأنها ناسخة أو منسوخة ، وهي عند التحقيــق خــلاف ذلــك ، وسيتبين من خلال هذا الفصل ما لابن جريــر –رحمه الله– من التحقيق الدقيق في مثل هذه الآيات .

وسأعرض أمثلة هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقّق أو عدمه .

المبحث الثاني : الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ .

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي (٢/٧٠٠) ، وألف من المعاصرين الدكتور مصطفى زيد : النسخ في القرآن وغيره .

المبحث الأول :

الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقّق أو عدمه :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مثال الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق .

المطلب الثاني : شروط القول بأن هذا ناسخ أو منسوخ ، وما الذي لا يدخله النسخ .

المطلب الثالث : أمثلة على ما لم تتحقق فيه شروط النسخ .

المطلب الأول : مثال الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق :

في قوله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥] **قال أبو جعفر** : " وهذه الآية ، أعني : قوله : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر ، يدلّ على ذلك قوله : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٦] فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل ، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوّهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً، لم يكن للتخفيف وجه ؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدوّ ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدّماً لم يكن للترخيص وجه، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[الأنفال: ٦٦] ناسخ لحكم قوله : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (١) ".

فمن قال : بأن الآية الأولى على وجه الندب لا الفرض ، فإن السياق يدفع ذلك ويضعفه ؛ لقوله – تعالى – : ﴿ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ والتخفيف مقابل الإيجاب ، وهذا يدل على نسخ الأولى بالثانية ، وقد يكون الخلاف لفظيّاً إذ من العلماء من يعتبر التخفيف نسخاً ، ومنهم من لا يعتبره ، والمراد أن الحكم في الآية الأولى تغير من وجوب مصابرة المجاهد لعشرة من الكفار ، إلى وجوب مصابرته لاثنين منهم ، وتحرير محل النزاع هو: هل يعتبر التخفيف نسخاً أم لا ؟ قال الشوكاني –رحمه الله: " وقد اختلف أهل العلم : هل هذا التخفيف نسخ أم لا ؟ . ولا يتعلق بذلك كثير فائدة . " (٢)

---

(١) جامع البيان (٦/٢٨٥) ، وتحقيق شاكر (١٤/٥٦) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٨٤-١٨٥) ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾الآيتين جامع البيان (٢/١٤٥-١٤٦) ، والتوبة (١٢٠) ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٥١١-٥١٢) .

(٢) فتح القدير (٢/٣٢٤) .

المطلب الثاني:

شروط القول بأن هذا ناسخ أو منسوخ،وما الذي لا يدخله النسخ:

إذا تأملت الآيات التي قيل فيها بالنسخ ، تجد الإمام الطبري –رحمه الله– يذكر عندها شروط النسخ : ويمكن حصرها فيما يلي :

١– إذا كان أحد حكم الآيتين نافياً لحكم غيرها بكلّ معانيه ، حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعاً على صحته بوجه من الوجوه .

٢– إذا كان في ظاهر التنزيل دليل على نسخ إحدى الآيتين الأخرى .

٣– إذا ورد عن رسول الله - ﷺ - خبر يصحّ بأن أحدهما ناسخ لصاحبه .

٤– إذا حصل من المسلمين إجماع على وقوع النسخ .(١)

٥– إذا عرف المتقدم من المتأخر في تاريخ النزول .(٢)

٦– إذا كانت الآية لا تشتمل على خبر ؛ لأن الأخبار لا تنسخ .(٣)

---

(١) انظر جامع البيان (٥٨٦/٤) بتصرف .

(٢) انظر جامع البيان (٣١٨/١٠) عند الآية (٥٢) من سورة الأحزاب ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ الآية .

(٣) انظر الآية (٣٣) من الأنفال ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ جامع البيان (٢٣٧/٦) ، والآية (٢٣) من النبأ ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٢) .

المطلب الثالث : أمثلة على ما لم تتحقّق فيه بعض شروط النسخ :

١- مثال على اشتراط أن يكون في إحدى الآيتين ما يتناقض مع الآية الأخرى، ولا يحتمل معنى آخر : ففي قوله - تعالى - : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤] **قال -رحمه الله-** بعد ذكر الأقوال : "...وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية : قول من قال : إنها محكمة وليست بمنسوخة ؛ وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا بنفيه بآخر هو له ناف من كل وجوهه ، وليس في قوله -جلّ وعزّ -: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦] نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله : ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ ؛ لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ، ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه ، وقد أخبر الله -عزّ وجلّ- عن المجرمين أنهم حين تُعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة ، يقولون : ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[الكهف: ٤٩] فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها ، فلم تكن الكتب -وإن أحصت صغائر الذنوب وكبائرها - بموجبٍ إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له ، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين ؛ لأن الله -عزّ وجلّ- وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر ، فقال في تنزيله : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] فذلك محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم غير موجبٍ لهم منه عقوبة ، بل محاسبته إياهم -إن شاء الله-عليها ليعرّفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها،كما بلغنا عن رسول الله - ﷺ -[أنه] ... قال : «يُدْني اللّهُ عَبْدَهُ الْمُؤمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، حَتّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُها فِي الدّنْيا وأغْفِرُها اليَوْمَ ، ثُمّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ ، فَيَقُولُ : ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] أو كما قال : «وأمّا

الكَافِرُ فَإِنَّهُ يُنَادَى بِهِ عَلى رُءُوسِ الأَشْهَادِ» ." (١)

فهذا المثال يبين أن النظر إلى الآيات التي ظاهرها التعارض بعين التأمل في حكميها هل يلزم منهما تضاد وتناقض ؟ ، فإن لزم ذلك فشريعة الله –عز وجل– ليست كذلك حتماً ، فلا بد من حمله على النسخ بشروطه ، أما إذا وجد للآية محمل يسلم من تعارضهما ، وهو معنى صحيح ، وجب حمل الآية عليه دون القول بالنسخ ؛ لأن حمل الآية على المعنى الصحيح الذي لا يتناقض مع الآية الأخرى أولى من حملها على النسخ .(٢)

٢– مثال على أن القول بتقدم هذه الآية أو تأخرها في النزول لا يثبت بالاجتهاد بل بالنقل عمن حضر التنزيل :

فالقول بتأخر نزول آية أو تقدمها بغير نقل مردود : كما في قوله – تعالى-: ﴿ **وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] **أورد الطبري**

---

(١) جامع البيان (١٤٣/٣–١٤٥) ، وتحقيق شاكر (١١٨/٦) . والحديث رواه بنحوه : البخاري في كتاب التفسير في تفسير سورة هود باب قوله : ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴾ صفحة (٩٧٧–٩٧٨) حديث (٤٦٨٥) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، قال الإمام مسلم : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة به (٢١٢٠/٤) حديث (٢٧٦٨) .

(٢) وانظر مواضع أخرى لم يقل بالنسخ فيها لاحتمالها أوجها أخرى مع الآية التي قيل إنها ناسخة لها : في البقرة (١١٥) ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٥٥١/١–٥٥٢) ، و(٢١٥) ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾الآية جامع البيان (٣٥٦/٢) ، و(٢١٩) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾الآية جامع البيان (٣٧٩/٢–٣٨٠)، و(٢٢١) ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٣٨٩/٢–٣٩٠) ، والنساء (٨) ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ جامع البيان (٦٠٧/٣–٦٠٨) ، والمائدة (٤٢) ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾الآية جامع البيان (٥٨٥/٤–٥٨٦) ، والأنعام (١٥٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾الآية جامع البيان (٤١٤/٥–٤١٥) ، والأحزاب (٥٢) ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾الآية جامع البيان (٣١٧/١٠–٣١٨) ، والمعارج (٥) ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (٢٢٨/١٢) .

-رحمه الله- : رأي السدي في الآية وأنها نزلت قبل نزول الكفارات ، وأنه لا كفارة على حلف لذلك، ثم **قال الطبري -رحمه الله-**: " وأما الذي ذكرنا عن السدي من أن هذه الآية نزلت قبل نزول كفارات الأيمان ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة، والخبر عما كان لا تدرك صحته إلا بخبر صادق ، وإلا كان دعوى لا يتعذر مثلها وخلافها على أحد . وغير محال أن تكون هذه الآية نزلت بعد بيان كفارات الأيمان في سورة المائدة ، واكتفي بذكرها هناك عن إعادتها هاهنا ، إذ كان المخاطبون بهذه الآية قد علموا الواجب من الكفارات في الأيمان التي يحنث فيها الحالف ." (١)

فبين -رحمه الله-: أن هذا لا مجال للرأي فيه ، فلا بد من دليل : إما من الكتاب الكريم ، أو من سنة نبي الله محمد - ﷺ - أو خبر صادق عمن يقبل قوله، وهم الصحابة الذين عاصروا وقائع التنزيل أو من نقل عنهم ، أما الاجتهاد فقد يوجد ما يخالفه ، ولا يفصل في الأمر ، ولا مانع من نزول هذه الآية بعد بيان الكفارات في سورة المائدة ؛ لأنه لا يلزم إعادة الكفارة في كل موضع متعلق باليمين لعلم المخاطبين بها ، وذلك لأنهم يعلموها في آيات سابقة ، كما قال تعالى في المائدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة: ١] وقال في التحريم : ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم: ٢] .

٣- مثال على أن المقصود بالتقدم في الناسخ والمنسوخ هو في نزول القرآن ، لا في ترتيب الآية من السورة ، فلا يلزم من تأخر الآية في السورة الواحدة نسخها بما تقدمها ، حيث تقدم من شروط النسخ السابقة معرفة المتأخر من المتقدم في التاريخ ، ولا يصح الاستدلال بتقدم ترتيب الآية في السورة والقرآن أو بتأخرها ، إذ أن ترتيب القرآن توقيفي، فقد تنزل آية مدنية وتوضع في سورة مكية والعكس ، وليس ترتيب القرآن حسب تاريخ نزوله ، وإلا لكان أول القرآن : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ الآيات [العلق: ١-٥]، وآخره -على الصحيح -: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١] .

---

(١) جامع البيان (٢/٤١٦) ، وتحقيق شاكر (٤/٤٢١-٤٢٦) .

ومن الأمثلة على أن الآية المتقدمة محلاً في ترتيب السورة ، لا تنسخ بالمتأخرة من أجل ذلك، قوله - تعالى - : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] قال -رحمه الله- في الآية التي قبلها عند قوله - تعالى -: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢]: " وقد اختلف أهل العلم في وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتب...ذكر من قال : هي منسوخة : قد ذكرنا جماعة ممن قال : كل ما في هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن منسوخ بالآية التي في آخرها...**وقال آخرون** : هو على الوجوب ، ولكنه واجب على الكاتب في حال فراغه...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله -عزّ وجلّ- أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كُتُبُ الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل ، وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندب ، ولا دلالة تدلّ على أن أمره -جلّ ثناؤه- باكتتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك ندب وإرشاد ، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ، ومن ضيعه منهم كانَ حَرِجاً بتضييعه ، ولا وجه لاعتلال من اعتلّ بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ ؛ لأن ذلك إنما أذن الله -تعالى ذِكْره- به حيث لا سبيل إلى الكتاب ، أو إلى الكاتب ، فأما والكتاب والكاتب موجودان ، فالفرض إذا كان الدّين إلى أجل مسمى ما أمر الله -تعالى ذِكْره- به في قوله : ﴿ فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢] ، وإنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة ، على السبيل التي قد بيناها ، فأما ما كان أحدهما غير ناف حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء ، ولو وجب أن يكون قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ ناسخاً قوله : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢] ، لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٦] ناسخاً الوضوء بالماء في الحضر عند وجود الماء فيه ، وفي السفر الذي فرضه الله -عزّ وجلّ- بقوله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، وأن يكون قوله في كفارة الظهار : ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ [المجادلة: ٤] ناسخاً قوله : ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾[المجادلة: ٣] "[(١)].

فتحصّل من المثال أن ورود آية بعد أخرى لا يعني باللزوم نسخها للأولى ، بل يجب النظر في حكم كل آية والمراد بها وكذا الأخرى ، وهل بينهما تعارض أم لا ؟ . ثم النظر إلى شروط النسخ ، وليس منها تقدّم الآية وتأخرها في ترتيب القرآن .

٤- مثال على عدم دخول النسخ الأخبار : نصّ الإمام الطبري -رحمه الله- على عدم دخول النسخ الأخبار في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣] **قال -رحمه الله-** : " لا وجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله : ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤]؛ لأن قوله -جلّ ثناؤه- : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ خبر ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر أو النهي "[(٢)].

وقد تقرر عند العلماء أن الأخبار لا تُنْسَخ ، والعلة في ذلك : أن الأخبار إذا نسخت فهو تكذيب لها ، والقرآن الكريم ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، وما ورد فيه من وعود فهي بلا شك واقعة: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] [(٣)].

(١) جامع البيان (٣/١١٩-١٢٠) ، وتحقيق شاكر (٦/٥١) .

(٢) جامع البيان (٦/٢٣٧) ، وتحقيق شاكر (١٣/٥١٨) . وانظر مثله في النبأ (٢٣) ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ جامع البيان (١٢/٤٠٥) .

(٣) وحصول النسخ في الأحكام له حكم كثيرة ، منها : إظهار لربوبية الله – تعالى -على خلقه ، واختبار للعبد في عبوديته لربه ، والتخفيف ، ومراعاة الأحوال . -والله أعلم - انظر أصول التفسير وقواعده صفحة (٢٩٨) ، للشيخ خالد العكّ .

المبحث الثاني :

الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ :

وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : تغاير التعقيب القرآني على حكمين قد يدل على عدم النسخ ؛ لأن معنى حكم الأول ليس هو معنى حكم الثاني نفسه .

المطلب الثاني : اختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب في حكمي آيتين دليل على عدم النسخ؛ لصحة المعنى .

المطلب الأول :

تغاير التعقيب القرآني على حكمين قد يدل على عدم النسخ ؛ لأن معنى حكم الأول ليس هو معنى حكم الثاني نفسه :

فقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٢] قال -رحمه الله-: في قوله -تعالى-: " ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ يقول : هاتان الفرقتان، يعني : المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار ، وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض ، وأن الله ورّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بعْدُ بقوله: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال: ٧٥] "(١) .

ثم استدل على ضعف القول بالنسخ بالتعقيب في قوله - تعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤] فقال -رحمه الله- : " وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا إن معنى قول الله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ في هذه الآية ، وقوله : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث ؛ لأنه -جلّ ثناؤه- عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار ، والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحثّ على إمضاء الميراث على ما أمر ، وفي صحة ذلك كذلك

---

(١) جامع البيان (٦/٢٩٧) ، وتحقيق شاكر (١٤/٧٧) .

الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ ." [١]

فالتعقيب في سورة الأنفال بوصف الذين آووا ونصروا بقوله - تعالى - : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يدل على أن الإيواء في الآية بمعنى النصرة لا الميراث ، وقد كانت طريقة التعقيب القرآني على المواريث في سورة النساء تختلف عن ذلك ، فقد كان التعقيب على الفرائض بوجوب تطبيق حدود الله ، والحذر من عقاب الله، ونحو ذلك ، كما قال - تعالى - : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

ومن هنا فعلى المفسر المتابعة الدقيقة لتعقيبات القرآن وتوجيهاته بعد كل حدث وخبر وحكم؛ لما لها من توضيح المراد .

---

(١) جامع البيان (٦/٢٩٩) ، وتحقيق شاكر (١٤/٨٨) .

المطلب الثاني :

اختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب قد يدلّ على عدم النسخ لصحة المعنى:

قد يقال : إن حكم الآية في سورة ناسخ لحكم الآية من سورة أخرى ، ولكن حين تتأمل سياق الآيتين في موضعهما من كل سورة يترجح لديك أن هذه الآية لها حكم غير حكم الآية الأخرى ؛ لاختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب ، ومن ثَمَّ لا يوجد نسخ بينهما ؛ لصحة معنييهما، وعدم تطابقهما في هذه الجزئية من موضوع واحد .

كما في قوله – تعالى – : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال: ٦١] **فقد أورد –رحمه الله–: قول قتادة** : بأن هذه الآية نسخها قوله : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ثم قال أبو جعفر : " فأما ما قاله قتادة ، ومن قال مثل قوله : من أن هذه الآية منسوخة ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل ، وقد دللنا في غير موضعٍ من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كلّ وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخاً . وقول الله في براءة : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ غير ناف حكمه حكم قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ ﴾ إنّما عُني به بنو قريظة ، وكانوا يهوداً أهلَ كتاب ، وقد أذن الله –جلّ ثناؤه– للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ، ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم . وأما قوله : ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ فإنما عُني به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم ، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه ." [(١)]

فلما كان خطاب الآيتين في حكم الهدنة مع الكفار لفريقين مختلفين ، واحد منها لأهل الكتاب، والآخر لمشركي العرب ، لم يصحّ القول بنسخ إحدى الآيتين للأخرى ؛ لاختلاف المحلّ .

---

(١) جامع البيان (٢٧٨/٦-٢٧٩) ، وتحقيق شاكر (٤١/١٤) .

وأما القول بنـــزول قوله : ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ في بني قريظة ، فضعّفه ابـــن كـــثير -رحمه الله- معللاً بأنّ السياق في سورة الأنفال كلّه في وقعة بدر.

وضعّف أيضاً قول من قال : إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩] معللاً بأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك ، فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلّت عليه هذه الآية ، وكما فعل النبي- ﷺ-يوم الحديبية ، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص .(١)

هذا ما تيسر تحقيقه في النسخ مما يصح إلحاقه بآثار السياق ، وعسى أن أكون موفقاً للصواب فيمـــا تناولت من المواضع . -والله تعالى أعلم -.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٩) .

الفصل الثامن

أثر دلالة السياق

على وجود تقديم أو تأخيـــر :

الفصل الثامن :

أثر دلالة السياق على وجود تقديم أو تأخيـــر :

إن توارد الجمل تترى ، واحدة بعد أخرى ، قد يعني في بعضها أحياناً التقديم أو التأخيـــر ، وهذا فن دقيق لا يليق إلا بمن أوتي الحكمة وعلا فيها ، يقول ابن عباس – رضي الله عنهما- في معنى الحكمة من قوله – تعالى – : ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩] بأنها : " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكَمه ومتشابهه ، ومقدَّمه ومؤخَّره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله"[(١)].

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : أسباب القول بالتقديم أو التأخيـــر .

المبحث الثاني : قد يكون السياق محتملاً للتقديم أو التأخيـــر ، ولغيـــره .

---

(١) جامع البيان (٨٩/٣) ، وتحقيق شاكر (٥٧٦/٥) .

المبحث الأول :

أسباب القول بالتقديم أو التأخيـــر :

وسأعرض للأسباب من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : دفع توهم التناقض في فهم كلام الله العزيز .

المطلب الثاني : الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه ، ولا يقال بتقديم أو تأخيـــر إلا إذا لم يكـــن للأقوال في تفسيـــر الآية على ترتيبها وجه .

المطلب الثالث : إذا كانت الجملة فيها كلمتان تدل إحداهما على الأخرى فيحسن التقديم والتأخيـــر.

المطلب الرابع : لا بد من دليل على التقديم أو التأخيـــر ولو حرفاً واحداً .

المطلب الخامس : القصة لها ترتيبها في الوقوع ، وسياقها في الآيات فيه تقديم وتأخيـــر .

المطلب الأول: دفع توهم التناقض في فهم كلام الله العزيز :

قال تعالى في بني إسرائيل : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢] قال أبو جعفر : "ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته...فإن قال لنا قائل : وكيف قال -جلّ ثناؤه- : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وقد قال قَبْلُ : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ﴾ فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم ، وهم يجهلون أنهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به ، ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما معنى الكلام: وما هم ضارّون به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق . فقوله : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذمّ من الله -تعالى ذِكْره- فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه ، وخبر منه -جلّ ثناؤه- عنهم أنهم بئس ما شروا به أنفسهم برضاهم بالسحر عِوَضاً عن دينهم الذي به نجاة أنفسهم من الهلكة ، جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم ، وخسارة صفقة بيعهم ، إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله، ولا يعرف حلاله وحرامه ، وأمره ونهيه. ثم عاد إلى الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم: نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وَاتّبَعُوا مَا تَتْلُو الشّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ، وما أُنْزِلَ على المَلَكَيْنِ ، فأخبر عنهم أنهم : قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق ، ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها، ويكفرون بالله ورسله ، ويؤثرون اتباع الشياطين ، والعمل بما أحدثته من السحر على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله ، عناداً منهم وبغياً على رسله ، وتعدّياً منهم لحدوده ، على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب..." (١)

---

(١) جامع البيان (٥١٢/١) ، وتحقيق شاكر (٤٥٥/٢) .

فحمل –رحمه الله- عدم العلم المنفي في الآية على حكم تعلم السحر أنه في غير اليهود ، وحمل الذم على فعل السحر مع العلم بحكمه وأنه لا نصيب له في الآخرة على اليهود ، ويلزم من ذلك إثبات تقديم وتأخير حتى لا يفهم كلام الله على معنى متناقض .

أما إذا لزم من القول بالتقديم أو التأخير لوازم باطلة فلا يُقال به :

فالإمام الطبري –رحمه الله- يهتم بلوازم المعاني التابعة لها ، فإن كانت باطلة فبالضرورة يكون القول باطلا : كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] **قال –رحمه الله-** : " يقول –تعالى ذِكْره- لنبيه محمد-ﷺ -: وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاقرأ القرآن . ولا وجه لما قال من ذلك ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه . وليس قوله : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ بالأمر اللازم ، وإنما هو إعلام وندب، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع : أن من قرأ القرآن و لم يستعذ بالله من الشيطان الرّجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضاً واجباً ." (١)

فلما كان القول بالتقديم والتأخير يلزم منه معنى باطل : وهو وجوب قراءة القرآن على كل مستعيذ ولو لم يرد القراءة ، فهو دليل قاطع على أن القول باطل أيضاً.

(١) جامع البيان (٧/٦٤٤) .

المطلب الثاني :

الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه ، ولا يقال بتقديم أو تأخير إلا إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية على ترتيبها وجه :

فلا بأس بالقول بالتقديم والتأخير إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية وجه : ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣] **قال –رحمه الله–** :

"...اختلف أهل التأويل في القليل الذين استثناهم في هذه الآية من هم ؟ ومن أيّ شيء من الصفات استثناهم ؟ **فقال بعضهم** : هم المستنبطون من أولي الأمر ، استثناهم من قوله : ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ ونفى عنهم أن يعلموا بالاستنباط ما يعلم به غيرهم من المستنبطين من الخبر الوارد عليهم من الأمن أو الخوف...**وقال آخرون** : بل هم الطائفة الذين وصفهم الله أنهم يقولون لرسول الله- ﷺ - طاعة ، فإذا برزوا من عنده بيتوا غير الذي قالوا . ومعنى الكلام : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً منهم...وقال آخرون : بل ذلك استثناء من قوله : ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ وقالوا: الذين استُثنُوا هم قوم لم يكونوا همّوا بما كان الآخرون همّوا به من اتباع الشيطان ، فعرّف الله الذين أنقذهم من ذلك موقع نعمته منهم ، واستثنى الآخرين الذين لم يكن منهم في ذلك ما كان من الآخرين...**وقال آخرون** : معنى ذلك : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعاً ، قالوا : وقوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ خرج مخرج الاستثناء في اللفظ ، وهو دليل على الجميع والإحاطة ، وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحد من الضلالة ، فجعل قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دليلاً على الإحاطة...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي : قول من قال : عنى باستثناء القليل من الإذاعة ، وقال : معنى الكلام : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً ، ولو ردّوه إلى الرسول . وإنما قلنا : إن ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد الأقوال التي ذكرنا ، وغير جائز أن يكون من قوله : ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ؛ لأن من تفضل الله عليه

بفضله ورحمته فغير جائز أن يكون من تُبَّاع الشيطان ، وغير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل ، فنوجّهه إلى المعنى الذي وجهه إليه القائلون معنى ذلك : لاتبعتم الشيطان جميعاً ، ثم زعم أن قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دليل على الإحاطة بالجميع . هذا مع خروجه من تأويل أهل التأويل ، وكذلك لا وجه لتوجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله : ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ ؛ لأن علم ذلك إذا ردّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، فبينه رسول الله- ﷺ - وأولوا الأمر منهم بعد وضوحه لهم ، استوى في علم ذلك كل مستنبط حقيقته ، فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم وخصوص بعضهم بعلمه مع استواء جميعهم في علمه ، وإذ كان لا قول في ذلك إلا ما قلنا ، ودخل هذه الأقوال الثلاثة ما بينا من الخلل ، فبيِّنٌ أن الصحيح من القول في ذلك هو الرابع ، وهو القول الذي قضينا له بالصواب من الاستثناء من الإذاعة ." (١)

فالآية على معناها الراجح يكون ترتيب الجمل فيها هكذا : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ وسبب الحمل على ذلك : أن الأقوال المحتملة في هذه الآية لا تسلم من اعتراض ، وهذا أسلمها حين أعملنا التقديم والتأخير .-والله أعلم-.(٢)

---

(١) جامع البيان (٤/١٨٦) ، وتحقيق شاكر (٨/٥٧٤) .

(٢) انظر شرح الكوكب المنير (٣/٣١٥-٣١٧) .

المطلب الثالث :

إذا كانت الجملة فيها كلمتان تدل إحداهما على الأخرى فيحسن التقديم والتأخير:

إذا كان لقارئ كتاب الله –عزّ وجلّ –تأمل وملاحظة ، فإن هناك مواضع متعددة يقدم في جملها وكلماتها ويؤخر ، ومن حكمة ذلك : أن يكون في معنى إحدى الكلمتين من التقارب ما يدل على معنى الأخرى .

ومن ذلك ما ذكره الإمام الطبري –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٨] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْره– : ثم دنا جبريل من محمد -ﷺ- فتدلّى إليه ، وهذا من المؤخّر الذي معناه التقديم ، وإنما هو : ثم تدلّى فدنا ، ولكنه حسن تقديم قوله : ﴿دَنَا﴾ ، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلّي ، والتدلّي على الدنوّ ، كما يقال : زارني فلان فأحسن ، وأحسن إليّ فزارني ، وشتمني فأساء ، وأساء فشتمني ؛ لأن الإساءة: هي الشتم، والشتم : هو الإساءة ." (١)

فاتّضح من هذا أن المقدّم والمؤخّر إذا كانا كلمتين ؛ فإن تقديم إحداهما على الأخرى لتلازم معناهما ، ودلالة كل منهما على الآخر حَسَنٌ .

---

(١) جامع البيان (١١/٥٠٦-٥٠٧) . وانظر نحوه في : سورة إبراهيم (٤٧) ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٤٧٨) ، وقريب منه في النور (٢٧) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٢٩٧-٢٩٩) .

المطلب الرابع : لا بد من دليل على التقديم أو التأخيـــر ولو حرفاً واحداً:

إذا كان في القرآن تقديم وتأخيـــر في بعض المواضع فإن القول بذلك لا بد فيه من دليل يثبت التقديم والتأخيـــر :

١- مثال دلالة حرف الواو على التقديم أو التأخيـــر : في قوله تعالى : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠] **قال أبو جعفر** : " يعني بذلك -تعالى ذِكْره- : وليعلم الله الذين آمنـــوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متصلاً بما قبله ، وكان : وتلك الأيام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا . ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خبراً مطلوباً ، واللام التي في قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ به متعلقة ." (١)

فالواو في قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متصلة بالمداولة وهي كخبر المبتدأ في قولـــه : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ فالمعنى فيه تقديم وتأخير ؛ لذلك .

٢- مثال دلالة حرف الفاء على عدم التقديم أو التأخيـــر : في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: ٩٩] **قال أبو جعفر** : يقول -جلّ ثناؤه- : فلمّا دخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف ، ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ يقول : ضمّ إليه أبويه ، فقال لهم : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾.

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله -عزّ وجلّ- عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضمّ إليه أبويه قال لهم هذا القول ؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم [كالسدي] : إن يعقوب إنما دخل على يوســـف هـــو وولده ، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر ، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل

---

(١) جامع البيان (٣/٤٥٠) ، وتحقيق شاكر (٧/٢٤١) .

أن يدخل مصر ، فآواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ بها قبل الدخول... وقال آخرون[كابن جريج[1]] : بل قوله : ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء من قول يعقوب لبنيه: ﴿ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾[يوسف: ٩٨] قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم ، فَلَمّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَى أبَوَيْهِ وقالَ ادْخلوا مصْر ورفع أبويه...عن ابن جريج: قالَ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّي إن شاء الله آمنين ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن .

قال أبو جعفر : يعني ابن جريج: "وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن "، أنه قد دخل بين قوله : ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾ وبين قوله : ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله: ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ ﴾ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله السّديّ ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدلّ على صحة ما قال ابن جريج،ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة ." [2]

فالقول بالتقديم أو التأخير ليس هو الأولى ، بل إنما يصار إليه إذا لم يكن للكلام على ظاهره وجه صحيح مفهوم ، فلم يقبل ابن جرير القول بالتقديم أو التأخير من غير دليل ، بل رجح أن الأولى للكلام أن يحمل على الظاهر ، وهو الترتيب ، دون زعزعة له بدون حجة ولا برهان ، وتبين بهذا المثال أنه لا يصح حمل معنى الآية على التقديم والتأخير إذا كان للكلام على ترتيبه وجه صحيح.

وفي قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٥] **قال –رحمه الله–** : " يقول –تعالى ذِكْره–:

---

(١) هو أبو الوليد ، أو أبو خالد ، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي ، مولاهم المكي ، ولد سنة ثمانين ، من تابعي التابعين ، فقيه الحرم ، عالم الحجاز ، أول من صنف التصانيف في العلم ، توفي سنة خمسين ومائة ، وقيل : غير ذلك. انظر المعارف صفحة (٤٨٨) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢٩٧/٢) ، ووفيات الأعيان (١٦٣/٣) .

(٢) جامع البيان (٣٠١/٧-٣٠٢) .

فجعل ذلك المرعَى غُثاء ، وهو ما جفّ من النبات ويبس ، فطارت به الريح ، وإنما عُني به هاهنا : أنه جعله هشيماً يابساً متغيـــراً إلى الحُوّة ، وهي السواد ، من بعد البياض ، أو الخُضــرة ، مـــن شـــدّة اليبس...وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يـــرى : أن ذلك من المؤخّر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى أحوى : أي أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك...وهـــذا القول وإن كان غيـــر مدفوع أن يكون ما اشتدّت خضرته من النبات قد تسميه العرب أسود ، غيـــر صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل ، في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخيـــر إذا لم يكن له وجه مفهوم إلاّ بتقديمه عن موضعه أو تأخيـــره ، فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخيـــر ." (١)

فالتقديم والتأخيـــر مخرج لفهم الكلام على وجهه بعد تعذر فهمه على ترتيبه .

٣- أما حرف العطف "ثم "فإن معناه الأصلي الترتيب بين الجمل ، إلا إذا لم يكن للكلام على معناها الأصلي وجه مفهوم صحيح : فلا يقال بتغييـــر معاني الحروف المرتبة مثل "ثم" أو تعطيل معانيها إلا لسبب قوي ، كل ذلك تضييقاً للقول بالتقديم والتأخيـــر .

وأذكر على ذلك مثالين متقابلين :

أحدهما : يـــرجح أنها على معناها الأصلي ، والآخر على خلافه :

أ- مثال على ترجيح حمل (ثم) على معناها الأصلي وهو الترتيب : في قوله تعـــالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم : تأويل ذلك : وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ في ظهر آدم أيها الناس ، ثُمّ صَوّرْناكُمْ في أرحام النساء خلقاً مخلوقاً ومثالاً ممـــثّلاً في صـــورة آدم...**وقـــال آخرون**: بل معنى ذلك : ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صوّرناكم في بطون أمهاتكم...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ يعني : آدم ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ يعني : في ظهره...وقال آخرون : معنى ذلك : ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها...

---

(١) جامع البيان (٥٤٤/١٢) .

قال أبو جعفر :وأولى الأقوال بالصواب قول من قال :تأويله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ : ولقد خلقنا آدم ، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ بتصويرنا آدم ، كما قد بيّنا فيما مضى من خطاب العربِ الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه ، والمعنيّ في ذلك سلفه ، وكما قال –جلّ ثناؤه– لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله –ﷺ– : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] وما أشبه ذلك من الخطاب الموجّه إلى الحيّ الموجود والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ معناه : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوّرناه . وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لأن الذي يتلو ذلك قوله : ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ، ومعلوم أن الله –تبارك وتعالى–قد أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قبل أن يصوّر ذرّيته في بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلق أمهاتهم ، و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل : " قمت ثم قعدت " ، لا يكون القعود إذ عطف به بـ"ثم" على قوله : "قمت" إلا بعد القيام ، وكذلك ذلك في جميع الكلام . ولو كان العطف في ذلك بالواو : جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها ، وذلك كقول القائل : " قمت وقعدت " ، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام ؛ لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً ؛ لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها ، على أن ذلك كان في وقت واحد ، أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا في وقتين : أيهما المتقدّم وأيهما المتأخر . فلما وصفنا قلنا إن قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لا يصحّ تأويله إلا على ما ذكرنا . فإن ظنّ ظانّ أن العرب إذْ كانت ربما نطقت بـ"ثم" في موضع الواو في ضرورة شعر كما قال بعضهم :

سألْتُ رَبِيعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا … أباً ثُمّ أُمّاً ؟ فَقالَتْ : لِمَهْ ![1]

يعني : أباً وأمّاً ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره ، فإن ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن كتاب الله –جلّ ثناؤه– نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها ،

(١) في تحقيق شاكر قال : لم أعرف قائل هذا البيت (٣٢٢/١٢) .

وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف ." [(١)]

فالقرآن الكريم لا يحمل على المعاني الشاذة ، استدلالاً بضرورة شعرية ؛ لنـــزوله على أفصح لغات العرب ولهجاهما ، ولا يعدل عن الأشهر إلى الشاذ إلا عند الضرورة إلى فهم الكلام على وجهه الصحيح .

ب- مثال على حمل " ثم " على غيـــر الترتيب :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٩] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، ومَن المعنيّ بالأمر بالإفاضة مـــن حيث أفاض الناس ؟، ومَنِ الناسُ الذين أمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم ؟: فقال بعضهم : المعـــنيّ بقوله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ قريش ، ومن ولدته قريش الذين كانوا يسمون في الجاهلية الحُمُس [(٢)]، أمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات ، وهي التي أفاض منها سائر الناس غيـــر الحُمُس . وذلك أن قريشاً ومن ولدته قريش ، كانوا يقولون : لا نخرج من الحرم . فكانوا لا يشهدون موقف الناس بعرفة معهم ، فأمرهم الله بالوقوف معهم... وقال آخرون : [كالضحاك] المخـــاطبون بقولـــه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ المسلمون كلهم ، والمعنيّ بقوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ من جَمْع [(٣)]، وبالناس إبراهيم خليـــل الرحمن -عليه السلام-...

قال أبو جعفر : والذي نراه صواباً من تأويل هذه الآية : أنه عُني بهذه الآية قريشٌ ومن كـــان متحمساً معها من سائر العرب ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله . وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية : فمن فرض فيهن الحجّ ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم، وما تفعلوا من خيـــر يعلمه الله . وهذا إذ كان

(١) جامع البيان (٥/٤٣٦-٤٣٨) ، وتحقيق شاكر (١٢/٣١٧) .

(٢) أصل معنى الحُمُس يطلق على : المتشدد الصلب في دينه ، ثم أطلقت على قريش وخزاعة ؛ لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، ومن أفعالهم عدم الخروج من الحرم إلى عرفات في الحج . انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٢١١-٢١٥).

(٣) جَمْع : اسم لمزدلفة ، وهي المشعر الحرام .

ما وصفنا تأويله فهو من المقدّم الذي معناه التأخير ، والمؤخر الذي معناه التقديم ، على نحو ما تقدم بياننا في مثله ، ولولا إجماع من وصفت إجماعه على أن ذلك تأويله . لقلت : أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله الضحاك من أن الله عنى بقوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ من حيث أفاض إبراهيم ؛ لأن الإفاضة من عرفات لا شك أنها قبل الإفاضة من جَمْع ، وقبل وجوب الذكر عند المشعر الحرام . وإذ كان ذلك لا شك كذلك ، وكان الله -عزّ وجلّ- إنما أمر بالإفاضة من الموضع الذي أفاض منه الناس ، بعد انقضاء ذكر الإفاضة من عرفات ، وبعد أمره بذكره عند المشعر الحرام ، ثم قال بعد ذلك: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ كان معلوماً بذلك : أنه لم يأمر بالإفاضة إلا من الموضع الذي لم يفيضوا منه ، دون الموضع الذي قد أفاضوا منه ، وكان الموضع الذي قد أفاضوا منه فانقضى وقت الإفاضة منه ، لا وجه لأن يقال : أفِضْ منه . فإذْ كان لا وجه لذلك ، وكان غير جائز أن يأمر الله -جلّ وعزّ - بأمر لا معنى له، كانت بيّنة صِحَّةُ ما قاله من التأويل في ذلك ، وفساد ما خالفه ، لولا الإجماع الذي وصفناه ، وتظاهر الأخبار بالذي ذكرنا عمن حكينا قوله من أهل التأويل ." (١)

فرجّح -رحمه الله- ما أجمع عليه أهل التأويل : أن المقصود بالخطاب قريش ومن معها لا إبراهيم والمسلمين ، وعلى هذا القول لا تدل "ثم" على الترتيب ؛ ففي الكلام تقديم وتأخير ، والذي ألجأه لذلك : إجماع أهل التأويل عليه ، مع أن للكلام تأويلاً آخر وهو حمل معنى الإفاضة في هذه الآية على الإفاضة من المشعر الحرام -مزدلفة-وله وجه مفهوم صحيح ، فلم يقل به طلباً لموافقة ما أجمع عليه أهل التأويل . (٢).

---

(١) جامع البيان (٢/٣٠٤-٣٠٧) ، وتحقيق شاكر (٤/١٨٤) . ومما دل السياق فيه على التقديم والتأخير وهو أكثر من حرف: قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨ ﴾ [البقرة: ١٨] جامع البيان (١/١٧٩-١٨٠) ، والمائدة(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ جامع البيان (٤/٣٩١) .

(٢) قال ابن عاشور : الذي عليه جمهور المفسرين : أن "ثم" للتراخي الإخباري ؛ للترقي في الخبر ، وأن الإفاضة المأمور بها هنا هي عين الإفاضة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ ﴾ [البقرة: ١٩٨] } وأن العطف بـ"ثم" للعودة إلى الكلام على تلك الإفاضة . فالمقصود من الأمر هو متعلق ﴿أَفِيضُواْ ﴾ ، أي : قوله : ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩] ، إشارة إلى عرفات فيكون متضمناً الأمر بالوقوف بعرفة لا بغيرها ؛ إبطالاً لعمل قريش الذين كانوا يقفون يوم الحج الأكبر على (قُزَح) المسمى بجمع وبالمشعر الحرام فهو من المزدلفة ، وكان سائر العرب وغيرهم يقف بعرفات ، فيكون المراد بالناس في جمهورهم من عدا قريشاً . التحرير والتنوير (٢/٢/٢٤٢) .

المطلب الخامس :

القصة لها ترتيبها في الوقوع ، وسياقها في الآيات فيه تقديم وتأخير :

أ- قد يكون التقديم والتأخير ظاهراً بيناً : كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [المنافقون: ٥] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى ذِكْره- : ورأيتهم يُعْرِضون عما دُعوا إليه وجوههم، ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله -ﷺ- ليستغفر لهم ، وإنما عُني بهذه الآيات كلها فيما ذُكر : عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول ، وذلك أنه قال لأصحابه : ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[المنافقون: ٧] [(١)]، وقال : ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[المنافقون: ٨] [(٢)] ، فسمع بذلك زيد بن أرقم[(٣)]، فأخبر به رسول الله -ﷺ- ، فدعاه رسول الله -ﷺ-، فسأله عما أخبر عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله -ﷺ- ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحرّكه استهزاءً ، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها."[(٤)]

---

(١) وهو ما حكى الله عنه في سورة المنافقون الآية (٧) .

(٢) وهو ما حكى الله عنه في سورة المنافقون الآية (٨) .

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، كنيته : أبو عمرو ، وقيل غير ذلك ، من مشاهير الصحابة ، شهد مؤتة وغيرها ، له أحاديث ، ردّه النبي - ﷺ - يوم أحد ؛ لصغره ، وحضر سبع عشرة غزوة مع النبي - ﷺ - ، أخبر النبي - ﷺ - أن الله صدّقه في ما نقله عن أبي المنافق أنه قاله ، توفي بالكوفة ، سنة ست وستين ، وقيل ثمان وستين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (١٩٩/١) ، وسير أعلام النبلاء (١٦٥/٣) ، والأعلام (٩٥/٣) .

(٤) جامع البيان (١٠٢/١٢) ، وقد روى نحوه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة المنافقين باب : ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢] رقم الحديث (٤٩٠١) صفحة (١٠٥٣) بإسناده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ -رضي الله عنه- قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ : لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَقَالَ أَيْضًا : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ- ﷺ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى
=

والشاهد هنا أن قول المسلمين للمنافق : ﴿ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، كان في القصة متأخراً عن قول المنافق ، وجاء في السورة متقدماً على قول المنافق : ﴿ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾وقوله : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ .

ب- **قد يكون التقديم والتأخير في القصة محتملاً** :كما في قصة ملكة سبأ في قوله -تعالى -: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[النمل: ٢٨] **قال -رحمه الله- :** " فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك [أي : هذه الآية]فقال بعضهم : معناه: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ، فانظر ماذا يَرْجِعون ، ثم تولّ عنهم منصرفاً إليّ ، فقال : هو من المؤخّر الذي معناه التقديم...قال أبو جعفر: فهذا القول...يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعاً بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها . وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم ، فكن قريباً منهم ، وانظر ماذا يرجعون ، قالوا : وفعل الهدهد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ، وقولها لهم : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٠] وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً.

وهذا القول أشبه بتأويل الآية ؛ لأن مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقي إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد أن ينصرف وقد أُمِر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ، ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان ." (١)

= عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -وَكَذَّبَنِي ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عزّ وجلّ- ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٧] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[المنافقون: ٨] فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ -فَقَرَأَهَا عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ ". ونحو هذا المثال في الأعراف (٧٩) ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ جامع البيان (٥/٥٣٩-٥٤٠) .

(١) جامع البيان (٩/٥١٢) .

ففي هذه الآية : ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ تقديم وتأخير محتمل لأمرين :

الأول : إما أن يكون سليمان - ﷺ - أمر الهدهد بالرجوع إليه بعد إلقاء الكتاب وبعد حضور مشورة المرأة لقومها ، ويكون معنى التولي هنا : الرجوع إلى بلده .

والثاني : أن يكون معنى التولي : البعد عنها مع سماع مشورتها .

وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النمل: ٣٨] **قال –رحمه الله–** : " اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ : فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبأ ، وقال له : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢] وأخبره أن لها عرشاً عظيماً ، فقال له سليمان- ﷺ-: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النمل: ٢٧] ، فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء: أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين . وقالوا إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة بعد ما صحّ عنده صدق الهدهد بمجيء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدهد ، قالوا : ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتاباً إلى من لا يدري ، هل هو في الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى : أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة قبل مجيء عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له : ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ معنى ؛ لأنه لا يُلِم بخبره الثاني من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذي علم بخبره الأوّل حين قال له : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ قالوا : وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان محالاً أن يقول نبيّ الله قولاً لا معنى له ، وقد قال : ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه : هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها...**وقال آخرون** : بل إنما اختبر صدقَ الهدهدِ سليمانُ بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رُسُلُها

من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه..." [١]

وفي هذه الآية الأخرى :احتمال لأمرين أيضاً :

الأول : أن يكون أمر سليمان-ﷺ - بالإتيان بعرش المرأة قبل إرسال الكتاب ، فمن المتعين أن يعلم صدق الهدهد عن خبر هذه المملكة بإتيانه بالعرش ، لا بإرسال الكتاب .

والثاني : أن أمر سليمان - ﷺ - بالإتيان بالعرش كان بعد إرسال الكتاب وبعد مجيء رسلها .

وعلى هذا الاحتمال بين الآيتين ، يكون احتمال التقديم والتأخير في سرد القصة. -والله أعلم- .

(١) جامع البيان (٩/٥١٩-٥٢٠) .

المبحث الثاني : السياق قد يكون محتملاً للتقديم أو التأخير ، ولغيره :

كثيراً ما يكون لمعنى الآيات أوجهاً متقاربة أو متعددة ، ولكلّ وجه منها استدلال من الآيات ، ومن أسباب احتمال التقديم أو التأخير : اختلاف القراءة ، أو احتمال الإعراب :

المطلب الأول : مثال احتمال السياق للتقديم والتأخير بسبب اختلاف القراءة:

قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[المائدة: ٦] قال –رحمه الله– : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ اختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأه جماعة من قرّاء الحجاز والعراق : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ نصباً [(١)] . فتأويله: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجُلَكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم . وإذا قرئ كذلك كان من المؤخر الذي معناه التقديم ، وتكون "الأرجل" منصوبة ، عطفاً على "الأيدي" . وتأوّل قارئوا ذلك كذلك ، أن الله –جلّ ثناؤه– إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها . ذكر من قال : عنى الله بقوله : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾الغسل :...عن أبي عبد الرحمن[(٢)] ، قال : قرأ عليّ الحسن والحسين –رضوان الله عليهما– ، فقرءا : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ فسمع عليّ – ﷺ – ذلك ، وكان يقضي بين الناس ، فقال : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ ، هذا من المقدّم والمؤخر من الكلام...عن السديّ ، قوله : ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ فيقول : اغسلوا وجوهكم ، واغسلوا أرجلكم ، وامسحوا برءوسكم ، فهذا من التقديم والتأخير .

وقرأ ذلك آخرون من قرأة الحجاز والعراق : { وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ } بخفض الأرجل، وتأوّل قارئ ذلك كذلك ، أن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها ،

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب . إتحاف فضلاء البشر (١/٥٣٠) .

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيِّعة السلمي ، القارئ ، أبوه صحابي ، قرأ عبد الله على : عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم ، توفي سنة سبعين ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب التهذيب (٢/٣١٩) ، وتحقيق شاكر (١٠/٥٥).

وجعل الأرجل عطفاً على الرأس ؛ وخفضوها لذلك ." [١]

فالقراءة إذا كان فيها اختلاف في الإعراب والعطف ، فإنه يترتب على ذلك اختلاف في مبنى الكلام وترتيبه ، وهل فيه تقديم أم تأخير ؟ ، وهنا : قراءة النصب إرجاع إلى الغسل ، وقراءة الخفض : إرجاع إلى مسح الأرجل ، وإنما يكون ذلك عند لُبس الخفين أو الجوربين .-والله أعلم-.[٢]

---

(١) جامع البيان (٤/٤٦٦-٤٦٨) ، وتحقيق شاكر (١٠/٥٢) . وانظر مثله في البقرة (٢٦٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٣-٥٤) ، و(٢٨٢) ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٤) ، والأعراف (٢) ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ جامع البيان (٥/٤٢٦) ، وإبراهيم (٣) ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ﴾ جامع البيان (٧/٤١٤) .

(٢) يرجع لتوجيه القراءات والموقف منه ص (٣٧٦) .

المطلب الثاني : مثال احتمال السياق للتقديم والتأخيـــر بسبب الإعراب :

كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] قال –رحمه الله– :"...يقول الله : ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ يعني: فقد سأل أسلاف هؤلاء اليهود وأوائلهم موسى –عليه السلام– أعظم مما سألوك من تنـــزيل كتـــاب عليهم من السماء ، فقالوا له : ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ : أي عياناً نعاينه وننظر إليه...وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول في ذلك:...إنهم إذا رأوه فقد رأوه ، إنما قالوا : جَهْرَةً أرِنا اللّهَ ، قال : هـــو مقـــدّم ومؤخّر. وكان ابن عباس يتأوّل ذلك : أن سؤالهم موسى كان جهرة . " [(١)]

فالذي يظهر أن سبب الاختلاف هنا : هو إعراب ﴿جَهْرَةً﴾ : هل هي حال من الرؤية ، أم حال من السؤال .

هذه بعض المواضع التي تتعلق بالتقديم والتأخيـــر ودلالة السياق تدل على إثبات ذلك أو ردّه، على نحو ما سبق دراسته [(٢)].– والله الموفق – .

---

(١) جامع البيان (٣٤٧/٤) .

(٢) وانظر بقية المواضع عموماً في : الـــنساء (١٢) ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٥/٣) ، و(٢٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية جامع البيان (٢١/٤) ، و(٩٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٠/٤) ، و(١٤٠) ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٨/٤) ، والأعراف (١٦٣) ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ الآية جامع البيان (٩٣/٦) ، و(١٦٩) ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ الآية جامع البيان (١٠٧/٦) ، والأنفال (٦٩) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ جامع البيان (٢٩١/٦) ، والتوبة (٣) ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣١٨/٦) ، وهود (١٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٧) ،والرعد (٣) ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾ الآية جامع
=

=

البيان (٧/٣٣٠-٣٣١)، والإسراء (٦٠) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٠٤-١٠٥)، والكهف (١-٢) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا﴾ الآية جامع البيان (٨/١٧٣-١٧٤)، و(٦٣) ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٤٩)، وطه (١٢٩) ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ۝١٢٩﴾ جامع البيان (٨/٤٧٦)، والنمل (١٤) ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ الآية جامع البيان (١٠/٥٠٢)، وسورة ص (٢٦) ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٥٧٥)، ومحمد (١٨) ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۝١٨﴾ جامع البيان (١١/٣١٧)، والممتحنة (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٥٥-٥٦)، والزلزلة (٦) ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾ جامع البيان (١٢/٦٦١)، والعاديات (٧) ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ جامع البيان (١٢/٦٧٤).

الفصل التاسع

أثر دلالة السياق

في تضعيف بعض الأقوال :

الفصل التاسع

أثر دلالة السياق في تضعيف بعض الأقوال :

وبعد سرد عدّة آثار من دلالات السياق وما نتج عنها من فوائد ، تجد للسياق أيضاً أثراً كبيراً ومهماً ، في تمييز الضعيف منها من القوي ، والصحيح منها من الخطأ ، والأولى منها من الممكن والمحتمل ، ولا شك أن الترجيح بين الأقوال بالاعتماد على ما يناسب سياق الكلام يستلزم تضعيفاً وترجيحاً غالباً ، ولا يقتصر الأثر على أحدهما .(١)

وسأتناول هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة .

المبحث الثاني : الخصوص والعموم .

المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم .

المبحث الرابع : دلالة الكلمة والسباق واللحاق وموضوع السورة .

المبحث الخامس : مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن .

المبحث السادس : تضعيف ما لم يرد ذكره في السياق .

المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب .

المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه .

---

(١) انظر قواعد الترجيح عند المفسرين ، (١/١٢٤-١٨٦) للدكتور : حسين بن علي الحربي ، وقد بين فيها : أن دلالة السياق من قواعد الترجيح عند وقوع خلاف بين المفسرين .

المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة :

أسباب ترجيح معنى الكلمة في اللغة قد يرجع إلى الكلمة ذاتها ، وأي معانيها يناسب السياق ، أو يعود إلى استعمال العرب للكلمة ذات المعنى الواحد ، وما يحدث من تغييرات لهذا الاستعمال ، كإدخال التعريف عليها مثلاً ، وما ينتج من مراعاة تصريف الكلمة وهل هي تابعة لأصل الكلمة هذه أو تلك ، وطريقة التعامل مع الضمائر وأسماء الإشارة ،والإعراب ودوره في الترجيح ، فإلى شيء من هذه الأمثلة من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : قد ترد الكلمة في اللغة ولها معان متعددة فيذكر الإمام الطبري –رحمه الله– المعاني ويرجح منها المعنى المناسب للسياق .

المطلب الثاني : الاستعمال اللغوي .

المطلب الثالث : النظر إلى تصريف الكلمة واشتقاقها .

المطلب الرابع : العطف بالواو يفيد التفريق لأنه الأشهر في الاستعمال .

المطلب الخامس : الضمير والإشارة وما يتعلق بهما .

المطلب السادس : الإعراب يرجح القول المناسب .

المطلب الأول :

قد ترد الكلمة في اللغة ولها معان متعددة فيذكر الإمام الطبري –رحمه الله– المعاني ويرجح منها المعنى المناسب للسياق:

ومن أمثلة ذلك قوله –تعالى– : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النحل: ٦٢] **قال –رحمه الله –:** " وقوله : ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ يقول –تعالى ذِكْره– : وأنهم مُخلّفون متروكون في النار ، منسيّون فيها . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك...**وقال آخرون** : معنى ذلك : أنهم مُعْجَلُون إلى النار مقدّمون إليها . وذهبوا في ذلك إلى قول العرب : أفرطنا فلاناً في طلب الماء ، إذا قدّموه لإصلاح الدّلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه فهو مُفْرَط...**وقال آخرون** : معنى ذلك: مُبْعَدُون في النار...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي اخترناه ، [وهو أن معنى : ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ مخلّفون ومتروكون في النار] ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم ، إنما يقال : فيمن قدم لإصلاح ما يقدم إليه ، إلى وقت ورود من قدّمه عليه ، وليس بمُقَدّم من قُدّم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحاً ، وإنما تَقَدّم مَن قُدّم إليها ؛ لعذاب يُعجّل له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة ، صحّ المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذي بمعنى: التخليف والترك ، وذلك أن يُحْكَى عن العرب : ما أفْرَطت ورائي أحداً ، أي : ما خَلّفته، وما فرطته ، أي : لم أخلفه ." (١)

---

(١) جامع البيان (٦٠٢/٧-٦٠٤) . وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٠٢) ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ الآية جامع البيان (٤٩٨/١-٥٠٠) ، و(٢٣٥) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٢-٢٣٦) ، والنساء (٣٤) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

فلما كان سياق الآيات في ذكر العذاب ، لم يصح حمل معنى الفرط على الذي يصلح ما يقدم عليه ؛ لأن ما يقدم عليه في السياق النار ، وليس هناك ما يصلحه الفرط ؛ ولذلك قال بالمعنى اللغوي الآخر للفظة : وهو التخليف والترك ؛ لمناسبتها للسياق .

=

عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٨-٧٠) ، و(٨٤) ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾النساء: ٨٣ الآية جامع البيان (٤/١٨٧) .

المطلب الثاني : الاستعمال اللغوي :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يس: ٣٧] **قال -رحمه الله-**: " يقول -تعالى ذِكْره- : ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كلّ ما شاء : ﴿ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ يقول : ننــزع عنه النهار . ومعنى : ﴿ مِنْهُ ﴾ في هذا الموضع : عنه، كأنه قيل : نسلَخ عنــه النهار ، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار...وقوله : ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ يقول : فإذا هم قد صاروا في ظلمةٍ بمجيء الليل ، وقال قتادة في ذلك :..يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل . وهذا الذي قالــه قتادة في ذلك عندي من معنى سلخ النهار من الليل بعيد ، وذلك أن إيلاج الليل في النهار ، إنما هــو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر ، وليس السلْخ من ذلك في شيء ؛ لأن النهار يسلخ من الليل كله ، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار ، ولا كلّ النهار في كلّ الليل ." (١)

بل يجب مراعاة الفرق بين كل كلمة وأخرى فــ"منهم" ليست مثل "فيهم"، ففــي قولــه -تعالى- : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾[النور: ٣٣] الآية **قال -رحمه الله -**: " وأما الخير الذي أمر الله -تعالى ذِكْره- عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم : فهو القُدْرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقاً ووفاءً وأداءً...**وقال آخرون** : بل معــنى ذلــك إن علمتم لهم مالاً...

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال : معناه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوّة على الاحتراف والاكتساب ، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها ، وصدق لهجة . وذلك أن هــذه

---

(١) جامع البيان (١٠/٤٤٠) . وانظر نحوه في البقرة (٩٣) ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٧/١-٤٦٨) ، والنساء (٢٢) ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٦١/٣) .

المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجةُ إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد ، فأما المال وإن كان من الخيــر ، فإنه لا يكون في العبد ، وإنما يكون عنده أو له لا فيه ، والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيــراً ، لا إذا علمنا عنده أو له ؛ فلذلك لم نقل : إن الخيــر في هذا الموضع معنيّ بـــه المال . " (١)

وواضح من سياق الآية تضعيف قول من قال بأن معنى : ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ : مالاً ؛ لأن المال ليس من الخيــر الذي في العبد ، بل هو خيــر له يملكه ، أو عنده في حوزته ، وإنما الخيـــــر : القدرة على الكسب ؛ لقضاء دين الكتابة لسيده ، والآية نسبت الخيــر إلى أنه فــيهم ، و لم تقــل : علمتم لهم خيــراً .

والضبح في اللغة يستعمل للخيل لا للإبل : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقال بعضهم : عُنِـــي بالعاديات ضَبْحاً : الخيل التي تعدوها ، وهي تحمحم...وقال آخرون: هي الإبل...

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عني بالعاديات : الخيل ، وذلـــك أن الإبل لا تضْبَح ، وإنما تضبح الخيل،وقد أخبر الله -تعالى- أنها تعدو ضَبْحاً ." (٢)

---

(١) جامع البيان (٩/٣١٣-٣١٥) .

(٢) جامع البيان (١٢/٦٦٥-٦٦٧) . وانظر مواضع أخرى مشابهة لما سبق : في البقرة (٥٠) ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠ ﴾ جامع البيان (١/٣١٤) ، و(٢٨٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٩) ، وآل عمران (٨١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾الآية جامع البيان (٣/٣٣١) ، والأنعام (١١٧) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١١٧ ﴾ جامع البيان (٦/٣٢٠) ، والأعراف (٢٧) ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٦١-٤٦٢) ، والنمل (٤٠) ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٥٢٤) ، وسورة ص (١٦) ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٥٩-٥٦٠) ، والشورى (٢٣) ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٤٥) ، والفتح (٢٤) ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ الفتح: ٢٠
=

والكلمة يختلف معناها مفردة مجردة عما يدخل عليها بعد ذلك : ومن الأمثلة على ذلك دخول (أل) التعريفية على الكلمة كما في قوله -تعالى- : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: ٣٦] **قال -رحمه الله-** : في قوله -تعالى- : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معنى ذلك : والجار ذي القرابة والرحم منك...**وقال آخرون** : بل هو جار ذي قرابتك...عن ميمون بن مهران(١)...قال : الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك . قال أبو جعفر : وهذا القول قول مخالف المعروف من كلام العرب ، وذلك أن الموصوف بأنه ذو القرابة في قوله : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ الجار دون غيره ، فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة ، ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقيل : وجار ذي القربى ، و لم يقل : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ ، فكان يكون حينئذٍ إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة : الوصية ببرّ جار ذي القرابة دون الجار ذي القربى. وأما ﴿وَالْجَارِ﴾ بالألف واللام فغير جائز أن يكون : ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ إلا من صفة الجار. وإذا كان ذلك كذلك كانت الوصية من الله في قوله: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ ببرّ الجار ذي القربى دون جار ذي القرابة ، وكان بيّناً خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك." (٢)

= الآيتين جامع البيان (١١/٣٥١-٣٥٤) ، والتحريم (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٤٩-١٥٠) ، والمرسلات(٣٢) ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٨٨-٣٨٩) ، والنبأ (١٤) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ جامع البيان (١٢/٣٩٨-٣٩٩) ، والنازعات (٣٠) ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٧-٤٣٨) .

(١) هو أبو أيوب ، ميمون بن مهران الجزري الرَقي القاضي ، نسبة لسكناه بلدة الرقة بعد إعتاقه ، قيل ولد سنة موت علي -رضي الله عنه- سنة أربعين ، كان من أجلاء التابعين وزهّادهم وعبّادهم ، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الرقة وقضائها، وثّقه العجلي والنسائي وابن سعد ، توفي سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٥/٧١) ، والأعلام (٨/٣٠١) .

(٢) جامع البيان (٤/٨٠-٨١) . وانظر مثله في البقرة (٨٥) ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ =

ففرّق -رحمه الله- بين كلمة "جار" منكرة وكلمة "الجار " معرفة بـ(أل)، والآية على التعريف ؛ فتفسر على القريب في المسكن دون جارٍ قريب الرحم .

﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٤٦) ، و(٢٤٨) ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٢٣-٦٢٤) ، والأنبياء (١٠٥) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ جامع البيان (٩/٩٧-٩٨) .

المطلب الثالث : النظر إلى تصريف الكلمة واشتقاقها :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٧] قال -رحمه الله : " وقوله ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ يقول : وجعل لكم النوم راحة ؛ تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ يقول -تعالى ذِكْره- : وجعل النهار يقظة وحياة ، من قولهم : نَشر الميتُ..ومنه قول الله : ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣] وكان مجاهد يقول في تأويل...قوله : ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ قال : ينشر فيه ...وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ في الليل . فإذ كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت .

والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب ؛ لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشاً ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نشر ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صحّت الرواية عن النبيّ -ﷺ- أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : «الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أحْيانا بَعْدَما أماتَنا ، وَإلَيْهِ النّشُورُ» ." (١)

فرجح -رحمه الله- أن المراد بالنشور اليقظة من النوم لا الانتشار ؛ لسببين : الأول : مقابلة لحكمة النوم في الليل ، فلما كان النوم موتاً أصغر ، فالنهار حياة ونشور ، الثاني : أن مصدر نشر : نشوراً ، وليس مصدر انتشر : نشوراً .

وكذلك الاستدلال على المراد من العدد بتمييز المعدود : كما في قوله-تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] **قال -رحمه الله-**:"...وأولى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين

(١) جامع البيان (٣٩٦/٩-٣٩٧) . والحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام صفحة (١٣٣٦) حديث (٦٣١٢) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨٣/٤) حديث (٢٧١١) .

وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب : قول من حدّ عددهم بزيادة عن عشرة آلاف ، دون من حده بأربعة آلاف ، وثلاثة آلاف ، وثمانية آلاف ؛ وذلك أن الله -تعالى ذِكْره- أخبر عنهم أنهم كانوا: ألوفاً، وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم : ألوف ، وإنما يقال : هم آلاف ، إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعداً إلى العشرة آلاف ، وغير جائز أن يقال : هم خمسة ألوف ، أو عشرة ألوف ." [1]

---

(١) جامع البيان (٢/٦٠٤) ، وتحقيق شاكر (٥/٢٧٦) . وانظر البقرة (١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ جامع البيان (٢/٦٩) ، وانظر مثله في المائدة (٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٠٧-٤٠٨) .

المطلب الرابع : العطف بالواو يفيد التفريق لأنه الأشهر في الاستعمال :

ففي قوله -تعالى- : ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] " **قال أبو جعفر** : يعني بذلك - جلّ ثناؤه - : وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذاباً مهيناً . ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ في موضع خفض عطفاً على "الكافرين" وقوله:... ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يقول : ولا يصدّقون بوحدانية الله ولا بالميعاد إليه يوم القيامة ، الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن . وقد قال مجاهد : إن هذا من صفة اليهود .[قال أبو جعفر :] وهو بصفة أهل النفاق الذين كانوا أهل شرك فأظهروا الإسلام تقية من رسول الله -ﷺ- وأهل الإيمان به وهم على كفرهم مقيمون أشبه منهم بصفة اليهود ؛ لأن اليهود كانت توحد الله وتصدّق بالبعث والمعاد ، وإنما كان كفرُها تكذيبَها بنبوّة محمد -ﷺ-. وبعد : ففي فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم في الآية قبلها وأخبر أن لهم عذاباً مهيناً ، بالواو الفاصلة بينهم ما ينبئ عن أنهما صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني ، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله . ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس لقيل إن شاء الله : وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولكن فصل بينهم بالواو لما وصفنا ." [(١)]

وقد يحدد مرجع الكلام المعطوف الأسلوب من خطاب أو غَيبة : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ آل [عمران: ٥٠] " **قال أبو جعفر** : يعني بذلك - جلّ ثناؤه - : وبأني قد جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة، ولذلك نصب ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ على الحال من ﴿وَجِئْتُكُم﴾. والذي يدلّ على أنه نصب على قوله: ﴿وَجِئْتُكُم﴾ دون العطف على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ [آل

---

(١) جامع البيان (٤/٩٠) ، وتحقيق شاكر (٨/٣٥٦) .

عمران: ٤٥] ، قوله : ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ولو كان عطفاً على قوله : ﴿وَجِيهًا﴾ ، لكان الكلام : ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم ." (١)

فاستدل -رحمه الله- على أن كلمة ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال من الفعل ﴿وَجِئْتُكُم﴾ دون العطف على كلمة ﴿وَجِيهًا﴾ وهي خطاب لغائب ؛ لأن ما بعد ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ جاء على صيغة المخاطب ، فيرجع بالخطاب إلى ما يلائمه .

المطلب الخامس : الضميـــر والإشارة واسم الموصول ، وما يتعلق بها :

١–ما يتعلق بالضميـــر : [١]

أ – الأصل في الضميـــر أن يعود إلى مذكور في السياق : ففي قوله –تعالى- : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩] **قال –رحمه الله–** : في قوله –تعالى- : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم: معنى ذلك : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ يعني بعيسى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ يعني : قبل موت عيسى ، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصيـــر الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم -ﷺ -... **وقال آخرون** : يعني بذلك : وإنّ من أهـــل الكتـــاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي...**وقال آخرون** : معنى ذلك : و إنّ من أهل الكتـــاب إلا ليـــؤمنن بمحمد -ﷺ - قبل موت الكتابي...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة والصواب : قول من قال : تأويل ذلك : وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى...وأما الذي قال : عنى بقولـــه : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ ليؤمنن بمحمد -ﷺ - قبل موت الكتابي ، فمما لا وجه له مفهوم...[وممّا يدل على فساده] أنـــه لم يجر لمحمد - عليه الصلاة والسلام - في الآيات التي قبل ذلك ذكر ، فيجوز صرف الهاء التي في قوله : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ إلى أنها من ذِكْره ، وإنما قوله: ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود ، فغيـــر جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيـــره ، إلا بحجة يجب التسليم لها مـــن : دلالـــة ظـــاهر التنـــزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة ، فأما الدّعاوى فلا تتعذر على أحد ." [٢]

---

(١) موضوع الضمير مهم في اللغة العربية بوجه عام ، ومن أغمض أنواعه ضمير الغائب ، وقد يسر الله دراسة هذا الموضـــوع في مرحلة الدكتوراه ، وكان عنوانه : عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل ، ونوقشت بتاريخ ١٦/٦/١٤٣٠هـــ ، عسى ربي أن يسهل طبعها .

(٢) جامع البيان (٤/٣٦٠-٣٦١) ، وتحقيق شاكر (٩/٣٧٩) .

ب - **أما تحديد ما يعود عليه الضمير فالأصل أن يكون إلى أقرب مذكور** : كما في قوله -تعالى- : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [هود: ٩٢] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْره- : قال شعيب لقومه: يا قوم أعززتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخففتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه ، ولا تعظّمونه حق عظمته؟! ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهريّاً ، فالهاء في قوله : ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ ﴾ على هذا من ذكر ما جاء به شعيب...

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ؛ لقرب قوله : ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ من قوله : ﴿ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فكانت الهاء في قوله : ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ ﴾ بأن تكون من ذكر الله ؛ لقرب جوارها منه أشبهَ وأولى ." (١)

وهذا الترجيح يرجع لقاعدة : طلب اتصال السياق ، وعدم الفصل بين الجمل والكلمات ما أمكن .

وليس إرجاع الضمير للأقرب في كل المواضع بل قد يترك ذلك لدلالات أقوى كدلالة السياق : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[الحج: ٧٨] **قال -رحمه الله-**"وقوله : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ يقول -تعالى ذِكْره- : سماكم يا معشر من آمن بمحمد -ﷺ- المسلمين من قبل ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...**وقال آخرون**: بل معناه : إبراهيم سمّاكم المسلمين ، وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم -ﷺ -:...ابن زيد : [في قوله:] ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ قال : ألا ترى قول إبراهيم : ﴿ وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً

---

(١) جامع البيان (٧/١٠٤-١٠٦) ، وتحقيق شاكر (١٥/٤٥٩) . وانظر مثالاً آخر في : الحج (٥٥) ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/١٧٩-١٨٠) .

لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] قال : هذا قول إبراهيم: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة ، ذكرت بالإيمان والإسلام جميعاً ، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان . ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن ؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله -تعالى ذِكْره- : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن : الله الذي لم
يزل ولا يزال ، وأما قوله : ﴿مِن قَبْلُ ﴾ فإن معناه : من قبل نزول هذا القرآن ، في الكتب التي نزلت قبله ، ﴿وَفِي هَٰذَا ﴾ يقول : وفي هذا الكتاب ." (١)

فليس إبراهيم -عليه السلام- هو مسمي المسلمين بهذا الاسم ؛ لأن التسمية هذه كانت في القرآن وفي الكتب التي قبله ، وهذه الكتب من كلام الله -عزّ وجلّ - لا من كلام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-.

ج -**تحديد الضمير لا بد من موافقته لما قبله في التذكير والتأنيث**: ففي قوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٨] **قال -رحمه الله-** : " يقول - جلّ ثناؤه- : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد ، يعني : مثل عاد ، والهاء عائدة على عاد . وجائز أن تكون عائدة على إرم ؛ لما قد بينّا قبل أنها قبيلة . وإنما عني بقوله ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ﴾ في العِظَم والبطش والأيد...وقال آخرون[كابن زيد:] بل معنى ذلك : ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٧ - ٨] لم يخلق مثل الأعمدة في البلاد، وقالوا : ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ﴾ في صفة ذات العماد ، والهاء التي في ﴿مِثْلُهَا ﴾ إنما هي من ذكر ذات العماد...وهذا قول لا وجه له ؛ لأن العماد واحد مذكر ، والتي للأنثى، ولا يوصف المذكر بالتي ، ولو كان ذلك من صفة العماد ؛ لقيل : الذي لم يخلق مثله في البلاد..." (٢)

---

(١) جامع البيان (٩/١٩٣-١٩٤) . وقريبٌ منه في النحل (١٠٠) ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٤٥-٦٤٦) .

(٢) جامع البيان (١٢/٥٦٨-٥٦٩) ، وانظر مواضع أخرى في البقرة (٢٢٩) ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ =

فكلّ ضمير يجب أن يرجع إلى ما يوافقه تذكيراً أو تأنيثاً ، وما خالف ذلك فضعيف كما في المثال ، حيث ورد فيه ضمير "التي" وهو ضمير مؤنث فلا يرجع للعماد لأنه مذكّر ، وإنما يرجع إلى ما يناسب المؤنث في سياق الآية وهو قبيلة عاد إرم .

٢- ما يتعلق بالإشارة :

أ-الإشارة تكون إلى المذكور القريب أولى من المذكور البعيد أو غير المذكور:

ففي قوله -تعالى- : ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٦] **قال -رحمه الله-:** " اختلف أهل التأويل في معنى قوله – جل ثناؤه – لمحمد -ﷺ- : ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه نذير لقومه، وكانت النذر الذين قبله نُذراً لقومهم ، كما يقال : هذا واحد من بني آدم ، وواحد من الناس... **وقال آخرون** : معنى ذلك غير هذا كله ، وقالوا : معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى...عن أبي مالك[(١)] ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ قال : مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى ، وهذا الذي ذكرت عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله – تعالى ذِكْره – ذَكَرَ ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النّذر الأولى ، التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم ، فقوله : ﴿هَٰذَا﴾ بأن تكون إشارة إلى ما تقدّمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك ." [(٢)]

=

الآية جامع البيان (٤٨٢/٢) ، والطلاق (٤) ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ الآية جامع البيان (١٣٤/١٢) .

(١) هو أبو مالك غزوان الغفاري ، تابعي محدث كوفي ، روى عن البراء وابن عباس ، وروى عنه السدي ، وثقه ابن معين ، وقال ابن حجر : ثقة من الثالثة . انظر تقريب التهذيب (١٠٥/٢) ، وتهذيب التهذيب (٢٤٥/٨)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال صفحة (٣٠٧) .

(٢) جامع البيان (٥٣٩/١١-٥٤٠) . وانظر مثله في سورة ص (٣٩) ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ جامع البيان (٥٨٥/١٠-٥٨٦) .

فاسم الإشارة : ﴿هَٰذَا﴾ يرجع إلى ما سبقه من نذر ومواعظ ، أولى مما بعُد محلّه ، أو لم يذكر في السياق .

ب- تحديد مرجع الإشارة إلى كل ما تقدم في السياق أو إلى بعضه راجـــع إلى تعقيبـــات القرآن : فإن من عادة القرآن التعقيب على الأحداث والأحكام فإذا لحق الكلام السابق تعقيب فالإشارة بعده تعود إلى السابق الذي لم يعقب عليه فقط ومثال ذلك :

قوله -تعالى- : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٣٠] **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في تأويل قولـــه : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا ﴾ فقـــال بعضهم : معنى ذلك: ومن يقتل نفسه ، بمعنى : ومن يقتل أخاه المـــؤمن ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ ...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ومن يفعل ما حرّمته عليه من أوّل هذه السورة إلى قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ من نكاحِ من حرّمت نكاحه ، وتعدّي حدوده ، وأكلِ أمـــوال الأيتام ظلماً ، وقتلِ النفس المحرّم قتلها ظلماً بغيـــر حقّ . **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ومن يأكل مال أخيه المسلم ظلماً بغيـــر طيبِ نفسٍ منه ، وقتل أخاه المؤمن ظلماً، فسوف نصليه ناراً.

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : معناه : ومن يفعل ما حرّم الله عليه من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾[النساء: ١٩] إلى قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ من نكاح المحرّمات ، وعضل المحرّم عضلُها من النّساء ، وأكل المال بالباطل ، وقتل المحرّم قتله من المؤمنين ؛ لأن كلّ ذلك مما وعد الله عليه أهله العقوبة . فإن قال قائل : فما منعك أن تجعل قوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ معنيّاً به جميع ما أوعد الله عليه العقوبة من أول السورة ؟. قيل : منعني ذلك أن كلّ فصلٍ من ذلك قد قرن بالوعيد ، إلى قوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨] ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرّم الله في الآي التي بعـــده ، إلى قولـــه : ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ . فكان قوله : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ معنياً به ما قلنا مما لم يُقرن بالوعيد ، مع إجماع الجميع على أن الله -تعالى- قد توعّد على كلّ ذلك ، أولى من أن يكون معنيّاً به ما سلف فيـــه

الوعيد بالنّهي مقروناً قبل ذلك."[١]

٣- ما يتعلق باسم الموصول :

فصيغة اسم الموصول ترجح المقصود بالحكم : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦] **قال -رحمه الله-:** "...اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ **فقال بعضهم** : هما : البِكْران اللذان لم يُحصنا ، وهما غير اللاتي عُنِيْنَ بالآية قبلها .[٢] وقالوا: قوله: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] معنيّ به الثيبات المحصنات بالأزواج ، وقوله ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ يعني به : البكران غير المحصنين...**وقال آخرون** : بل عُني بقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ الرجلان الزانيان...**وقال آخرون** : بل عني بذلك الرجل والمرأة، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب...

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ قول من قال : عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة ؛ لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال ، كما كان مقصوداً بقوله : ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ﴾ قصد البيان عن حكم الزواني لقيل: والذين يأتونها منكم فآذوهم ، أو قيل : والذي يأتيها منكم ، كما قيل في التي قبلها: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴾ فأخرج ذكرهنّ على الجميع ،

---

(١) جامع البيان (٤/٣٨-٣٩) ، وتحقيق شاكر (٨/٢٣٠) . وقريب منه في البقرة (٥) ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (١/١٤٠) ، و(٢٢٣): ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٤١١) ، والنحل (١٠٥): ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٠-٦٥١) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥] .

ولم يقل : واللتان يأتيان الفاحشة. وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجميع أو الواحد ، وذلك أن الواحد يدلّ على جنسه ، ولا تخرجها بذكر اثنين ، فتقول : الذين يفعلون كذا فلهم كذا ، والذي يفعل كذا فله كذا ، ولا تقول : اللذان يفعلان كذا فلهما كذا ، إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين ، كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية . فإذا كان ذلك كذلك ، قيل بذكر الاثنين، يراد بذلك الفاعل والمفعول به ، فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل –قد ينفرد كلّ واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين –فذلك ما لا يعرف في كلامها . وإذ كان ذلك كذلك ، فبيّن فساد قول من قال : عُني بقوله : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ ﴾ الرجلان ، وصحة قول من قال : عني به الرجل والمرأة ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهنّ في قوله : ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ ﴾ ؛ لأن هذين اثنان وأولئك جماعة..."[1]

فظهر من استخدام اسم الموصول "اللذان" أن الحكم مراد به مثنى مكون من ذكر وأنثى فحسب ، ولو كان أراد الجمع من الذكور والإناث لاستخدم اسم الموصول المناسب لهم وهو : اللاتي أو اللائي .

وهذا إبداع في التفسير ، وتتبع للسياق عزيز ، إذ نظر إلى أقرب وعيد سابق ، فجعل ما بعده داخلاً تحت الوعيد الحاضر ، فلله درّ الإمام الطبري على هذا الاستدلال الدقيق ، والتفسير البديع ، ومتابعة دلالة السياق التي وفّق إليها . –رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء –.

---

(١) جامع البيان (٦٣٧/٣) ، وتحقيق شاكر (٨١/٨) .

المطلب السادس : الإعراب يرجّح القول المناسب :

ففي قوله -تعالى- : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: ٨٢] **قال -رحمه الله-:** " وأما قوله : ﴿مَّنضُودٍ﴾ **فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه**...: ﴿مَّنضُودٍ﴾ يقول : مصفوفة ...**وقال الربيع بن أنس** فيه...: ﴿مَّنضُودٍ﴾ قال : نضد بعضه على بعض...**وقال بعضهم** : ﴿مَّنضُودٍ﴾ : يتبع بعضه بعضاً عليهم ، قال: فذلك نَضدُهُ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله : ﴿مَّنضُودٍ﴾ من نعت ﴿سِجِّيلٍ﴾ ، لا من نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض فصُيِّر حجارة ، ولم يمطروا الطين فيكون موصوفاً بأنه تتابع على القوم بمجيئه . قال أبو جعفر : وإنما كان جائزاً أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل لو كان التنزيل بالنصب: منضودةً ، فيكون من نعت الحجارة حينئذٍ ." (١)

فترجح أن : ﴿مَّنضُودٍ﴾ نعت لكلمة : ﴿سِجِّيلٍ﴾ المجرورة ، وسجيل طين ، ثم وصف الطين بأنه منضود ، فصار معنى النضد راجع إلى كلمة ﴿سِجِّيلٍ﴾ ، ولو كانت نعتاً للحجارة لكانت منصوبة ، وإنما القراءة بالخفض لا بالنصب .

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ٢٠] **قال -رحمه الله-** : في قوله : ﴿سَيْنَآءَ﴾ "...اختلف أهل التأويل في تأويله : **فقال بعضهم** : معناه : المبارك، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة تخرج من جبل مبارك...**وقال آخرون** : معناه : حسن...**وقال آخرون** : هو اسم جبل معروف...**وقال آخرون** : معناه : أنه جبل ذو شجر...

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن ﴿سَيْنَآءَ﴾ اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل جبلا طيّئ ، فأضيفا إلى طيّئ ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ،

---

(١) جامع البيان (٧/٩٣) .

أو كما قال من قال : معناه : حسن ، لكان : الطور منوّناً ، وكان قوله : ﴿سَيْنَآءَ﴾ من نعته ." [(١)]

فضعّف –رحمه الله- بعض الأقوال في تفسير : ﴿سَيْنَآءَ﴾ ؛ لأنها تستلزم صرف الكلمة وتنوينها ، وهي في الآية ممنوعة من الصرف ، فلا بد من تفسير الكلمة بما يحافظ على حالتها الإعرابية في سياق الآية .

والحالة الإعرابية للكلمات اللاحقة قد تحدّد المنعوت : كما في قوله -تعالى- : ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٣] **قال –رحمه الله–** : "اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك: وتجارة أخرى ، فعلى هذا القول يجب أن يكون : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ في موضع خفض عطفاً به على قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠] ، وقد يحتمل أن يكون رفعاً على الابتداء . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هي في موضع رفع. أي : ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة ، ثم قال : ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مفسراً للأخرى .

والصواب من القول في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو أنه معنّي به : ولكم أخرى تحبونها ؛ لأن قوله : ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ مبين عن أن قوله ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ في موضع رفع ، ولو كان جاء ذلك خفضاً حسن أن يجعل قوله : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ عطفاً على قوله: ﴿تِجَٰرَةٍ﴾ ، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرأ ذلك خفضاً : وعلى خلة أخرى تحبونها ." [(٢)]

فاستدلّ بجملة : ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ المرفوعة ، على أن أول الجملة وهي قوله : ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ كذلك في موضع رفع لا جرّ .

---

(١) جامع البيان (٢٠٧/٩-٢٠٨) . ومثله في التين (٢) ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ جامع البيان (٦٣٣/١٢-٦٣٤) .

(٢) جامع البيان (٨٥/١٢) ، وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٨) ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ جامع البيان (٤٥٣/١) ، و(٢١٧) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٤/٢-٣٦٥) ، والأنعام (١٥٦) ﴿أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ جامع البيان (٤٠١/٥-٤٠٢) .

ومعرفة المقصود من الاستثناء يرجح قولاً : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨] **قال -رحمه الله-** : "وقوله : ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية : فقال بعضهم: عني به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت...**وقال آخرون** : عني بذلك الشهداء...**وقال آخرون** : عني بالاستثناء في الفزع : الشهداء ، وفي الصعق : جبريل وملك الموت وحملة العرش...عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله -ﷺ- : «يُنْفَخُ في الصّور ثَلاث نَفَخاتٍ : الأُولى : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصّعْقِ ، والثّالِثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ – تبارك وتَعالى ، يَأْمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بالنّفْخَةِ الأُولى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ ، فَتَفْزَعُ أهْلُ السّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ» قال أبو هريرة : يا رسولَ الله ، فمن استثنىَ حين يقول : ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[النمل: ٨٧] قال : «أُولَئِكَ الشّهَداءُ، وإنّما يَصلُ الفَزَعُ إلى الأحْياء ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقاهُمُ اللّهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وأمّنَهُمْ ، ثُمّ يَأْمُرُ اللّهُ إسْرافِيلَ بنَفْخَةِ الصّعْقِ ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصّعْقِ ، فَيَصْعَقُ أهْلُ السّمَوَاتِ والأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ فإذا هُمْ خامِدُونَ ، ثُمّ يأتِي مَلَكُ المَوْتِ إلى الجَبّارِ – تَبارَكَ وتَعالى- فَيَقُولُ : يا رَبّ قَدْ ماتَ أهْلُ السّمَوَاتِ والأرْضِ إلاّ مَنْ شِئْتَ ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أعْلَمُ: فَمنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيتَ أنْتَ الحَيّ الّذِي لا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ . فَيَقُولُ اللّهُ لَهُ : اسْكُتْ إنّي كَتَبْتُ المَوْتَ على مَنْ كانَ تَحْتَ عَرْشِي ، ثُمّ يأتِي مَلَكُ المَوْتِ فَيَقُولُ : يا رَب قَدْ ماتَ جِبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ ، فَيَقولُ اللّهُ وَهُوَ أعْلَمُ : فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقولُ : بَقِيتَ أنْتَ الحيّ الّذِي لا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيتُ أنا ، فَيَقُولُ اللّهُ : فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ العَرْشِ،فَيَمُوتُونَ وَيأْمُرُ اللّهُ -تعالى- العَرْشَ فيَقْبِضُ الصّورَ . فَيَقُولُ: أيْ رَبّ قَدْ ماتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ بَقِي؟ وَهُوَ أعْلَمُ، فَيَقُولُ: بَقِيت أنْتَ الحَيّ الّذِي لا يَمُوتُ ، وَبَقِيتُ أنا ، قال : فَيَقُولُ اللّهُ : أنْتَ مِنْ خَلقِي خَلَقْتُكَ لِمَا رأيْتَ، فَمُتْ لا تَحْيَى ، فيَمُوتُ»[1] .

---

(١) وإسناد ابن جرير قال : حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ورفعه ، وفي الإسناد : =

وهذا القول الذي رُوي في ذلك عن رسول الله -ﷺ- أولى بالصحة ؛ لأن الصعقة في هـذا الموضع : الموت . والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله -تعالى ذِكْره- فإنهم قـد ذاقـوا الموت قبل ذلك . وإنما عنى - جلّ ثناؤه - بالاستثناء في هذا الموضع ، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق ، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل ، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق ، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، فذاق الموت من قبل ذلك ؛ لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدّد له موت آخر في تلك الحال..." (١)

فهذا الخبر في الآية : عن وقوع صعقة الموت على خلق كثيـر وعدم وقوعهـا علـى الـذين استثناهم الله ، دليل على أن إدخال الشهداء فيمن استثناهم الله ضعيف ؛ لأنه قد وقع عليهم الموت قبل الصعقة .-والله أعلم -.

وليس الدليل على خروج الشهداء الحديث المرفوع فقط ؛ لأنه ضعيف ، وإن كان يستأنس به، ولكن لما كان المراد من الاستثناء في الآية هنا : إثبات أن الله خص أناساً بعدم الموت وأن أكثر الخلـق يموتون ؛ كان ذلك دليلاً على أن الشهداء لا يدخلون فيمن نجاهم الله مـن صـعقة المـوت لأنهـم

=

إسماعيل بن رافع ضعفه كثير من الأئمة ، وفي تقريب التهذيب : ضعيف الحفظ (٦٩/١) ، وفيه مبهمان وهما : رجل مـن الأنصار ، ومحمد بن كعب تابعي ، وساق ابن كثير رواية قريبة للطبراني ثم قال : " هذا حديث مشهور ، وهـو غريـب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة "تفسير القرآن العظيم (١٤١/٢) ، قال ابن حجر في فتح الباري : وسنده ضعيف ومضطرب (٣٦٩/١١) ، وقد أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده (٨٥/١) ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٨٢٣/٣) ، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢٨٣/١) ، ومدار الحديث عندهم على إسماعيل بن رافع .

(١) جامع البيان (٢٧/١١-٢٩) . وانظر مواضع أخرى في آل عمران (١١٢) ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٥/٣-٣٩٦) ، والمائدة (١) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٠/٤) ، و(٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٣-٤١٣) .

ماتوا .-والله أعلم -.

ومن خلال الأمثلة السابقة يتبين : ما للسياق من أثر واضح في تقوية الأقوال وتضعيفها رجوعاً إلى اللغة العربية ، سواء كان ذلك بسبب اختيار المعنى المناسب للكلمة في سياق الآيات ، أو اختيار أكثر المعاني استعمالاً ، أو مراعاة الأصل اللغوي وتصريف الألفاظ في المفردة ، أو تغاير المعنى في العطف بالواو والفاء وثم ، أو تحديد مرجع الضمير ، والإشارة ، والموقع الإعرابي ، ونحو ذلك .

وهذا يؤكد ما لمعرفة اللغة العربية التي نزل بها القرآن من مترلة عند العلماء ، فهي من الشروط التي لا يقبل التهاون بها بحال ، وقد نهل العلماء من علم الإمام الطبري -رحمه الله- باللغة إلى يومنا هذا ولا يزالون .

المبحث الثاني : الخصوص والعموم :

قد يختلف المفسرون في المقصود بالآية : هل هو العموم أم الخصوص ؟ .

وسأعرض في هذا المبحث الأمثلة المندرجة تحت ترجيح الخصوص أو العموم من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : العام محدّد بالأوصاف المذكورة في الآية .

المطلب الثاني : قد يلزم من القول بالعموم ترجيح قول على آخر .

المطلب الثالث : أولى العموم ما كان مذكوراً في السياق .

المطلب الرابع : الأصل العموم ولا يخص اللفظ إلا بدليل .

المطلب الأول : العام محدّد بالأوصاف المذكورة في الآية :

١- **فاللفظ يكون عاماً ولكن عمومه في نوع معين** : مثال ذلك في قول الله -تعالى- : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٤٠] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أُمر به من الليل : **فقال بعضهم** : عني به صلاة العَتَمة [١]...**وقال آخرون** : هي الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى...عن مجاهد ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ قال : من الليل كله ، والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب ، وذلك أن الله – جلّ ثناؤه – قال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ فلم يَحُدّ وقتاً من الليل دون وقت . وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل . وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء ، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العَتَمة ؛ لأنهما يصلّيان ليلاً ."[٢]

---

(١) العتمة : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشمس والشفق . معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٢٤/٣) ، وعزاه للخليل بن أحمد ، وقد ورد النهي عن تسمية العشاء بالعتمة ، وأظهر الأقوال عند ابن القيم -رحمه الله- أن النهي عن استعمال لفظ العتمة إذا كان دائماً مع إهمال لفظ العشاء . انظر حاشية ابن القيم على أبي داود (٢٧٦/٧-٢٧٧) ، وفتح الباري (٤٥/٢) .

(٢) جامع البيان (٤٣٥/١١-٤٣٦) . وانظر مواضع أخرى مشابهة في البقرة (٢٢) ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٩/١-٢٠٠) ، و(٣٧) ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾البقرة: ٣٦ الآية جامع البيان (٢٧٩/١-٢٨٠) ، و(٦٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ جامع البيان (٣٦٤/١-٣٦٥)، وآل عمران (٢٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جامع البيان (٢١٧/٣-٢١٨) ، والمائدة (٣٣) ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥١/٤-٥٥٢) ، والأنعام (١٤٦) ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٢/٥) ، والمرسلات (١) ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ ﴾ جامع البيان (٣٧٨/١٢) .

٢- وقد يكون السياق فيه وصف معين ولكن لا يراد به الخصوص: كما في قوله -تعالى-: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦] **بين -رحمه الله-** أن الخبر بأن المتعة للمطلقة حق على المحسنين في هذه الآية وغيرها (١) لا يفيد تخصيص الأمر لهم ، بل يدخل عموم المكلفين ؛ لأن الله -عزّ وجلّ- أمرهم جميعاً بالإحسان والتقوى في كتابه ، كما في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقوله : ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وما وجب على هؤلاء الأخيار فغيرهم من باب الأولى .(٢)، والآية الأخيرة في سورة البقرة نفسها .

---

(١) ورد نحو الآية في أن الأمر حق على المتقين دون غيرهم في : البقرة (١٨٠) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ ، و(٢٤١) ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾.

(٢) انظر جامع البيان (٢/٥٤٩و٥٥١) الكلام بمعناه ، وتحقيق شاكر (٥/١٣٣) .

المطلب الثاني:قد يلزم من القول بالعموم ترجيح قولٍ آخر :

القول بالعموم قد يلزم منه دلالة أخرى أو ترجيح : ففي قوله -تعالى- : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٦] **قال -رحمه الله –** :"...وأما معنى قوله – جلّ ثناؤه – : ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُني به ، فقال بعضهم : عُني به أهل قبلتنا من المسلمين...**وقال آخرون:** عنى بذلك : كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن، حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بيّن في كتابه[1]...**وقال آخرون** : بل الذين عُنوا بقوله : ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ المنافقون...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب:...أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[الأعراف: ١٧٢] . وذلك أن الله – جلّ ثناؤه – جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما سُوْداً وجوهُه ، والآخر بِيْضاً وجوهُه ، فمعلوم -إذْ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان – أن جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهُه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّضَ وجهُه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عنى بقوله: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض، وقد عمّ الله- جلّ ثناؤه – الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك ." [2]

فلما كان الناس قسمين : مؤمنين وكافرين فقط لم يصح تخصيص من آمن ثم كفر بالمرتد المعروف ؛ لأن هناك من لم يؤمن مطلقاً فيخرج عن القسمين ويكون قسماً ثالثاً ، ولكن يصح التقسيم

---

(١) وهي قوله تعالى في الأعراف (١٧٢) : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

(٢) جامع البيان (٣/٣٨٦-٣٨٧) ، وتحقيق شاكر (٧/٩٤) . وانظر مثله في النساء (٥) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٤٩٠) .

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، ويدخل جميع الناس إذا قلنا إن الإيمان هو الفطرة ، وإيمانهم لما استشهدهم ربهم -عزّ وجلّ- وهم في ظهر آدم ، ويكون معنى الكفر هو الموت عليه ، سواء كان مؤمناً ثم ارتد ، أو كان كافراً أصليّاً ، ويكون معنى الإيمان : من مات على الإيمان سواء ولد مؤمناً ، أو كان كافراً ثم آمن ، ويكون التقسيم شاملاً لجميع الخلق كما في الآية الكريمة .

ولا يقال بالعموم في الخطاب إذا كان في الخطاب إشارة لتخصيص ؛ لأنه إذا جعل عاماً ذهب المقصود : ففي قوله -تعالى- : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] **قال -رحمه الله-**: " يقول -تعالى ذِكْره- خُلِق الإنسان يعني : آدم من عجل. واختلف أهل التأويل في تأويله : **فقال بعضهم** : معناه : من عَجَلٍ في بنيته، وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة...**وقال آخرون** : معناه: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أي: من تعجيل في خلق الله إياه ، ومن سرعة فيه ، وعلى عجل . وقالوا : خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها...وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة: إنما قال : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ وهو يعني : أنه خلقه من تعجيل من الأمر؛ لأنه قال : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٠] قال : فهذا العجل. وقوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ إنّي سأُرِيكُمْ آياتي. وعلى قول صاحب هذه المقالة ، يجب أن يكون كلّ خلق الله خُلق على عجل ؛ لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان . فإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه خصوص الإنسان إذاً بذكر أنه خُلق من عجل دون الأشياء كلها وكلها مخلوق من عجل؟ . وفي خصوص الله -تعالى ذِكْره- الإنسان بذلك الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة...وقال آخرون منهم : هذا من المقلوب ، وإنما خلق العجل من الإنسان ، وخلقت العجلة من الإنسان ...وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول ، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا : الذي ذكرناه عمن قال معناه : خُلق الانسان من عجل في خلقه ، أيْ : على عجل وسرعة في ذلك . وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأنه

بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح..." (١)

فقول الله -تعالى- : ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ تخصيص له ، وتفسير الآية بخلقه بكلمة : كن ، ضعيف ؛ لأن ذلك ليس خاصّاً بالإنسان ، بل هو عام للخلق ، قال -تعالى- : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ ؛ ولذلك يجب أن يفسر بما اختص به الإنسان دون ما كان عاماً لجميع الخلق .

والمقصود من المثال : تضعيف قول من قال : معنى : "خلق من عجل" : أي : بقول الله -عزّ وجلّ- للإنسان : كن فكان ؛ لأن هذا يشترك فيه جميع الخلق ، وأما أن آدم حصل منه أنه استعجل القيام ، أو أنه خلق آخر العصر من يوم الجمعة وأنه طلب تتميم خلقه قبل غروب الشمس ، فالظاهر أنه من الإسرائيليات ، " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " (٢) ، وهو داخل تحت العموم في المعنى الراجح وهو : أن الإنسان مطبوع على العجلة ، وأنها لا تنفك عنه ، كما قال -عزّ وجلّ- : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] (٣) ، وقد مثّل سبحانه على استعجال الإنسان بعد ذكر خلقه من عجل فقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٨] .

---

(١) جامع البيان (٩/٢٦-٢٨) .

(٢) رواه البخاري وغيره . برقم (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) وانظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني صفحة (٥٤٨-٥٤٩) ، وفتح القدير للشوكاني (٣/٤٠٧-٤٠٨) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/١٠١-١٠٢) .

المطلب الثالث : أولى العموم ما كان مذكوراً في السياق :

حين يكون اللفظ عاماً فإن المراد ما يدخل تحت معنى هذا اللفظ ، ومن باب التفريق بين دلالة اللفظ ودلالة السياق ، فقد اعتبر دخول ما في السياق دخولاً أوليًا :

ففي قوله -تعالى- : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧] **قال -رحمه الله-**: " واختلفوا في تأويل قوله : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ **فقال بعضهم** : الولد...**وقال بعضهم** : معنى ذلك ليلة القدر...**وقال آخرون** : بل معناه : ما أحلّه الله لكم ورخصه لكم...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْره- قال : ﴿وَابْتَغُوا﴾ بمعنى : اطلبوا ، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾ يعني : الذي قضى الله -تعالى- لكم. وإنما يريد الله -تعالى ذِكْره- : اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ أنه يباح فيطلق لكم ، وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ، وكذلك إن طلب ليلة القدر ، فهو مما كتب الله له ، وكذلك إن طلب ما أحلّ الله وأباحه ، فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ . وقد يدخل في قوله : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جميع معاني الخير المطلوبة ، غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال معناه : وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ بمعنى : جامعوهنّ ، فلأن يكون قوله: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بمعنى : وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهنّ من الولد والنسل أشبه بالآية من غيره من التأويلات ،التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل، ولا خبر عن الرسول -ﷺ- ."(١)

وهذا العموم في قوله : ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يدخل فيه أولاً : ما كان السياق فيه، وهو ابتغاء

(١) جامع البيان (٢/١٧٥-١٧٦) . ومثله في البقرة أيضا الآية (١٩٥) ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢١١) .

الولد ؛ لإتيانه بعد المباشرة للأزواج ، ويدخل كل ما يطلب مما كتب لدخول كل هذه المعاني في أنها مكتوبة في اللوح المحفوظ .

وقد يحمل الإمام الخطاب على العموم مع أن الخطاب لمعيّنين[(١)]: ففي قوله -تعالى- : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١]...في قوله -تعالى- ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ **قال أبو جعفر** : " اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهي عنه ؟. فقال بعضهم : المنهيّ عنه : ربّ النخل والزرع والثمر ، والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية : مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال...وقال آخرون : الإسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع : منع الصدقة والحقّ الذي أمر الله ربّ المال بإيتائه أهله بقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ...**وقال آخرون** : إنما خوطب بهذا السلطان: نهي أن يأخذ من ربّ المال فوق الذي ألزم الله ماله...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْره- نهى بقوله : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ عن جميع معاني الإسراف ، و لم يخصص منها معنى دون معنى. وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الإسراف في كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحقّ في العطية ، إما بتجاوز حدّه في الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب ، كان معلوماً أن المفرّق ماله مباراةً ، والباذلَهُ للناس حتى أجحفت به عطيته : مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما [ليس له] ، وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها ، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم ، إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء

---

(١) سبق الحديث تفصيلاً عن ذلك في قاعدة : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم صفحة (٢٧٨) وما بعدها .

الواجب فيه أهله يوم حصاده ، فإن الآية قد كانت تنـزل على رسول الله -ﷺ- بسبب خاص من الأمور ، والحكم بها على العامّ ، بل عامة آي القرآن كذلك ، فكذلك قوله : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ." (١).

وقد يجعل ما ورد في السياق مما يصح به التفسير محتملاً : كما في قوله -تعالى- : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤] **قال -رحمه الله-** :"...اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى اللّهُ بها إبراهيمَ نبيّه وخليلَهُ -صلوات الله عليه-: **فقال بعضهم:** هي شرائع الإسلام ، وهي ثلاثون سهماً[أي : شعبة وخصلة]...**وقال آخرون** : هي خصال عشرٌ من سنن الإسلام... **وقال بعضهم** : بل الكلمات التي ابتلي بهن عشر خلال بعضهنّ في تطهير الجسد ، وبعضهنّ في مناسك الحجّ...وقال آخرون : بل ذلك: إني جاعلك للناس إماماً في مناسك الحجّ...عن أبي صالح في قوله : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ : فمنهن : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، وآيات النسك...[و] عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمرٍ فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً !. قال : نعم. قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين . قال : تجعل البيت مثابة للناس . قال : نعم . [قال :] وأمْناً ، قال: نعم. [قال :] وتجعلنا مسلمَين لك ، ومن ذرّيتنا أمة مسلمة لك قال : نعم . [قال :] وترينا مناسكنا وتتوب علينا . قال : نعم . قال : وتجعل هذا البلد آمناً قال : نعم . قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم . قال : نعم...عن الربيع في قوله : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ : فالكلمات : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] وقوله : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: فذلك كلّه من الكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم...**وقال آخرون** : بل ذلك مناسك الحجّ خاصة...**وقال آخرون** : هي أمور منهن

---

(١) جامع البيان (٥/٣٧١) ، وتحقيق شاكر (١٢/١٧٣) . ومثله في الإسراء (٧٢) ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ جامع البيان (٨/١١٧-١١٨) .

الختان...**وقال آخرون** : بل ذلك الخلال الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والمنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلي بهنّ فصبر عليهنّ...**وقال آخرون** [عن السدي]:...الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم ربه : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ البقرة: [١٢٧ - ١٢٩].

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله -عزّ وجلّ- أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات ، أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بهنّ ، فأتمهنّ كما أخبر الله - جل ثناؤه - عنه أنه فعل . وجائز أن تكون تلك الكلمات : جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات ، وجائز أن تكون بعضه ؛ لأن إبراهيم -صلوات الله عليه -قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك ، فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأَمْره الواجب عليه فيه . وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لأحد أن يقول : عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر عن الرسول -ﷺ- ، أو إجماع من الحجة ، ولم يصحّ فيه شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته...ولو قال قائل في ذلك : إن الذي قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم ، كان مذهباً ؛ لأن قوله : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة: ١٢٤] وقوله : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] وسائر الآيات التي هي نظير ذلك ، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهنّ إبراهيم ." (١)

وإنما جعل ما ورد في سياق الآيات محتملاً ؛ لعدم ظهور الدلالة على أن ما بعد الكلمات تفسير لها ، فقال باحتمال الأقوال وأن كلاً له وجهه وحظه من النظر ، وتفسيرها بما يصلح من السياق مذهب .

---

(١) جامع البيان (١/٥٧٥-٥٧٦) ، وتحقيق شاكر (٣/٧) .

المطلب الرابع : الأصل في الخطاب العموم ، ولا بد من دليل على التخصيص:

١- الأصل العموم ولا يخص اللفظ إلا بدليل :

ففي قوله -تعالى- :﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى: ٣٩] **قال -رحمه الله-**: "يقول -تعالى ذِكْره- : والذين إذا بغى عليهم باغٍ واعتدى عليهم ينتصرون . ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد - تعالى ذكره - المنتصر منه بعد بغيه عليه : فقال بعضهم: هو المشرك إذا بغى على المسلم...**وقال آخرون** : بل هو كل باغٍ بغى فحمد المنتصر منه...وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب ؛ لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه."(١)

فالانتصار المحمود في الاقتصاص من الظالم الباغي ، على أي ظلم وقع من مسلم أو كافر ، ولابد أن يكون العافي والمصلح في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: [٣٩ - ٤٠] هو المسلم فقط ؛ لأن سياقها فيه ، ولا يؤجر إلا المسلم الموحد ، وأما الباغي: فيدخل فيه المسلم والكافر -والله أعلم-.

٢- أدلة تخصيص العموم عند الإمام الطبري -رحمه الله- :

أ- من أدلة تخصيص العموم ما يتبعه من تعقيب : ففي قوله -تعالى- : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٨١] **قال أبو جعفر** : " وأما السيئة التي ذكر الله في هذا المكان فإنها الشرك بالله...**قال أبو جعفر** : وإنما قلنا : إن السيئة -التي

(١) جامع البيان (١١/١٥٥) . ومثله في : البقرة (١٨) ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ جامع البيان (١/١٨١)، و(٤٤) ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ جامع البيان (١/٢٩٦-٢٩٧) ، و(٢٢٤) ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٤١٥) ، والروم (٢٦) ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١٧٩) ، والرحمن (٧٢) ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٦١٦) .

ذكر الله – جلّ ثناؤه – أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها –في هذا الموضع ، إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها في التلاوة عامّاً ؛ لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار ، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله –ﷺ– بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها ، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله ، دون أهل الإيمان ، فإن الله – جلّ ثناؤه – قد قرن بقوله : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ قولَهُ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٨٢] فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات ، غير الذي لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان..."(١)

فاستدل –رحمه الله– على معنى السيئة التي خلد أصحابها في النار بأنها الشرك ؛ لأن مقابل هذا الفريق هم المؤمنون الخالدون في الجنة ، ولا شك أن مقابل الكفر الإيمان وليست السيئة : المعصية من مسلم موحد (٢).

ب– **ومن أدلة تخصيص العموم الاستثناء** : كما في قوله –تعالى– : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] **قال أبو جعفر** : "اختلف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله –تعالى ذِكْره– أنه حرّمها على اليهود من البقر والغنم: فقال بعضهم : هي شحوم الثروب خاصة (٣)...**وقال آخرون** : بل ذلك كان كلّ شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم...وقال آخرون : بل ذلك شحم الثّرْب والكُلى...

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرّم على اليهود

---

(١) جامع البيان (٤٢٨/١-٤٢٩) ، وتحقيق شاكر (٢٨١/٢) . وانظر مثله في البقرة أيضاً آية (١٩٧) ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٢/٢و٢٨٧و٢٨٩) .

(٢) انظر تفسير آيات أشكلت (٣٨٨/١) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ : عبد العزيز الخليفة .

(٣) الثروب : الشحم الذي يغشى الكرش والأمعاء ، وهو رقيق ، انظر مختار الصحاح صفحة (٧٠) .

من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها : مما حملت ظهورهما ، أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم، فكلّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم، فإنه كان محرّماً عليهم ." (١)

فالله –عزّ وجلّ –حرم الشحوم على اليهود واستثنى منها أشياء فكل المستثنى حلال ، وكل ما لم يدخل في المستثنى حرام .

ج- ومن أدلة تخصيص العموم : **المقابلة لشيء واللفظ عام** : كما في قوله -تعالى -: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٩] **قال –رحمه الله–**: " وأما قوله : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنّي بالأزواج : **فقال بعضهم** : عنى بها النساء...**وقال آخرون** : بل عنى بالأزواج البنات...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام -يعني : أنعامهم- : هذا محرّم على أزواجنا ، والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم ، وهن -لا شكّ- بنات من هن أولاده ، وحلائل من هنّ أزواجه ." (٢)

فاستفيد من مقابلة الأزواج بالذكور : أن الأزواج : الإناث ، سواء كن متزوجات أم غير متزوجات ، وفي ذلك **قال الشوكاني –رحمه الله–**: " جنس الأزواج، وهن النساء ، فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن ." (٣)

ومن سوق الأمثلة الماضية وما يشابهها يظهر للمتأمل : أن العموم والخصوص بحسب ما يضاف إلى اللفظ من أوصاف وحدود ، وأن هناك لوازم تلزم القول بالعموم ، وهناك أمور مانعة من القول بالعموم أيضاً ، وأن كل لفظ عام فإن ما ذكر في السياق يدخل فيه دخولاً أوليّاً ، وأن الأصل في المعنى العموم ، إلا أن يدل دليل على الخصوص ، كالتعقيب والاستثناء والمقابلة .

---

(١) جامع البيان (٥/٣٨٣) ، وتحقيق شاكر (١٢/٢٠١) .

(٢) جامع البيان (٥/٣٥٨) ، وتحقيق شاكر (١٢/١٣٩) .

(٣) فتح القدير (٢/١٦٧) ، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/٥٣) .

المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم :

إن مراعاة المخاطب والمتكلّم الواردة في السياق توصل إلى ترجيح ما يناسبهما وتضعف ما سوى ذلك ، فالمخاطب أو المتكلم إذا كان هو الله -عزّ وجلّ-فإن معنى الكلام يحمل على ما يناسب صفاته ، ويتفق مع مراده ، دون الأشياء التي لا تدخل تحت قصده ، ولا تكون من مراده ، وكذا حزب الله من الأنبياء والصالحين ، وأعداؤه من الشياطين والكافرين ونحوهم، يحمل كلامهم على ما يناسب قصدهم ومرادهم دون غيره.

١- **مثال على مراعاة المخاطب والموصوف** : في قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥ - ٧٦] رجح -رحمه الله - : أن المراد في المثل الأول : في قوله : ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ هو المؤمن وليس الله -عزّ وجلّ- ؛ لقوله : ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ والله هو الرازق لا المرزوق ، وليس إفضال الله وجوده مثل إنفاق من رزق رزقاً حسناً .

وفي المثل الثاني : رجح أن المراد بقوله : ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ : الصنم العاجز عن كل شيء ، وليس المراد البشر من الكفار الأحياء ؛ لأن من الكفار : من هو قادر غني ، يبذل جهده فيضر وينفع -بإذن الله- ، والله -سبحانه - ذكر أنهم لا يقدرون على شيء ، وهذا الوصف يناسب الصنم العاجز ، لا الكافر الذي له شيء من القدرة والبيان.(١)

٢- **مثال على ترجيح معنى مناسب بعد تحديد المخاطب** :كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ

---

(١) انظر جامع البيان (٧/٦٢٢-٦٢٤) بمعناه .

﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾ [يس: ٦٦] قال –رحمه الله –: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المَحَجّة...وقال آخرون: معنى ذلك: ولو نشاء لتركناهم عمياً...عن الحسن في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾ قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يتردّدون...[و] عن قتادة: قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۝٦٦﴾ يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يتردّدون. وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام؛ لأن الله إنما هدّد به قوماً كفاراً، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم، وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عمياً، لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون له." (١)

فتهديد الكفار بطمس الأعين معناه: عقوبة حقيقيَّة بعمى البصر، ولا يصح حمل التهديد على شيء مجازي واقع بهم وقت الخطاب، أو في نص الخطاب كالضلال والغي.

٣- تضعيف السياق لتحديد مخاطب بعيد: ولذلك سببان:

أ- تضعيف تحديد مخاطب في الآية للزوم تكرار لا فائدة له.

ب-تضعيف تحديد مخاطب في الآية إذا ترتّب عليه اختلاف المعنى بين معطوفين مشتركين.

---

(١) جامع البيان (١٠/٤٥٨-٤٥٩). وانظر مواضع أخرى مشابهة في: البقرة (١٦٦) ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ جامع البيان (٢/٧٥)، و(٢١٧) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٦٤)، والمائدة (٢٤) ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝٢٤﴾ جامع البيان (٤/٥٢١)، والأنعام (١١٩) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٢١)، والأعراف (٢٩-٣٠) ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾..الآيتين جامع البيان (٥/٤٦٥و٤٦٧)، والفرقان (٢٢) ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٢٢﴾ جامع البيان (٩/٣٧٩-٣٨٠)، والجن (٣) ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ جامع البيان (١٢/٢٦٠-٢٦١).

أ- **تضعيف تحديد مخاطب في الآية للزوم تكرار لا فائدة له** :ففي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٨] **قال -رحمه الله- :** "واختلف أهل التأويل فيمن عُني بقوله : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔنَ ﴾ **فقال بعضهم** : عُني به أهل النفاق...**وقال آخرون** : بل عني بذلك أهل الإسلام...عن سفيان[أي : الثوري] قال : بلغنا في هذه الآية : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔنَ ﴾ قال : هم المسلمون ، ألا ترى أنه قال : ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ ؟ . **وقال آخرون** : بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الإيمان ، غير أنها نسخت...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام ، وذلك أن المنافقين كفار ، فلو كان معنياً به أهل النفاق لم يكن لقوله: ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ معنى مفهوم ؛ إذْ كانوا والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار ، ولا وجه لتفريق أحكامهم والمعنى الذي من أجله بطل أن تكون [لهم] توبة واحد . وفي تفرقة الله - جلّ ثناؤه - بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمى أحد الصنفين كافرا ، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات ، و لم يسمهم كفاراً ما دلّ على افتراق معانيهم ، وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا ، وفساد ما خالفه ." (١)

فإذا لزم من القول تكرار فلا يصح القول به ، ولا بدّ من حمله على غيره ، فالمنافق كافر وقد ذكر في الآية الفريق الثاني وهم : الذين يموتون وهم كفار ، فيدخل فيهم المنافقون ، أما الفريق الأول فليس منافقاً ؛ لدخول المنافق مع الذين يموتون وهم كفار ، فالواجب حمل الآية على جديد غير مكرر ، فالمعني بالخطاب في قوله : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْـَٔنَ ﴾ هم أهل السيئات من المسلمين ، وأما الذين يموتون وهم كفار فيشمل الكفار

---

(١) جامع البيان (٣/٦٤٥-٦٤٦) ، وتحقيق شاكر (٨/١٠٠) .

والمنافقين ، وحينئذٍ لا تكرار في الآية .

ب- **تضعيف تحديد مخاطب في الآية إذا ترتب عليه اختلاف في المعنى بين معطوفين مشتركين** : ففي قوله -تعالى- : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥] **استدل -رحمه الله**: على ضعف قول من ظنّ أن الخطاب في قوله : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ على وجه الأمر والإلزام بصيغة الخبر ، بأن الواجب عليه أن يكون معنى الآية : أن كل من بلغ أشده أن يقول : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ والواقع يشهد بوجود من يكفر بالله ويجرؤ على والديه وهذا لا ينكره أحد ؛ مما يدل على أن المخاطب الموصوف بقوله : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ بعض الناس لا كلّهم ، كما أن الحمل يولد مختلفاً في الواقع ، فليس المقصود بقوله -تعالى-: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ كلّ الحمل ، بل هناك من يولد لتسعة أشهر ، وهم الأكثر ، ومن يولد لستة ، ومن يولد لأربع سنين ، وغير ذلك .[1]

فكما أن الدعاء في قوله : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لا يكون إلا من مسلم مؤمن ؛ لأن هناك في الواقع من لا يقوله من الكفار ، فكذلك يقال في المعطوف المشترك معه : الحمل والفصال ، فليس كل الناس يكون حمله وفصاله في هذه المدة ، بل حمل الناس مختلف كما سبق .

٤- **سياق القصة قد يكون مرجحاً لمخاطب** : كما في قوله -تعالى- : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن : **فقال بعضهم** : كان من قوم فرعون ، غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون

(١) انظر جامع البيان (٢/٥٠٨) ، وتحقيق شاكر (٥/٤٠) . عند تفسير آية الرضاعة من سورة البقرة (٢٣٣) ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ الآية ، ولم يتكرر في الأحقاف .

وقومه خوفاً على نفسه...**وقال آخرون** : بل كان الرجل إسرائيلياً ، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون...

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي...أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه ما قاله ، وتوقّف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله ، وقيله ما قال ، وقال له : ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] ، ولو كان إسرائيلياً لكان حريّاً أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله ؛ لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل ، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً ! ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله ، وكفّ عما كان همّ به في موسى ."[(١)]

فاستدلّ بسير القصة ، وطول صبر فرعون على صراحة الرجل ، وقوة نصحه ، على ترجيح ماهية الرجل المؤمن ، وأنه من قوم فرعون لا من بني إسرائيل ؛ لأنه لو كان من بني إسرائيل وهم أعداء فرعون لما كان من فرعون كل هذا الصبر والتؤدة .

٥- وقد يكون ترجيح معنى كلمة ترد في السياق مرجحاً لمراد بخطاب في كلمة أخرى : كما في قوله -تعالى- : ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[الأعراف: ١٥٥]"... ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ **قال أبو جعفر** : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، **فقال بعضهم** : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم ، ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي: بعبادة من عبد العجل ؟. قالوا : وكان الله إنما أهلكهم ؛ لأنهم كانوا ممن يعبد العجل ، وقال موسى **ما** قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك...**وقال آخرون:** معنى ذلك : أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم ، هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرفتُ إليهم، وليسوا معي ، والسفهاء على هذا القول كانوا المهلَكين الذين سألوا أن يريهم ربهم...

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية : قول من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك

---

(١) جامع البيان (٥٤/١١) . وانظر مثالا آخر في غافر (٤٣) ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ جامع البيان (٦٤/١١) .

السبعين بقوله : ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ ، وأنه إنما عنى بالسفهاء : عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى -ﷺ- كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم ، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله إلهاً..."(١)

فالمقصود من السفهاء في هذه الآية : هم عبدة العجل على الصحيح ، وليس السبعين الذين أشار الله إلى أن موسى -ﷺ- اختارهم منهم ؛ فموسى لا يختار إلا الأفضل ، وعبدة العجل المشركون بالله ليسوا هم الأفضل .

٦- **قد يتحدد من السياق سن المتحدث فيه** :كما في قوله -تعالى- : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧] **قال -رحمه الله-** : " ثم اختلف أهل التأويل في الذي رفع القواعد ، بعد إجماعهم على أن إبراهيم كان ممن رفعها ، **فقال بعضهم** : رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً...**وقال آخرون** : بل رفع قواعد البيت إبراهيم ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة...وقال آخرون : بل الذي رفع قواعد البيت إبراهيم وحده ، وإسماعيل يومئذ طفل صغير...

والصواب من القول عندنا في ذلك : أن المضمر من القول لإبراهيم وإسماعيل ، وأن قواعد البيت رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً ، وذلك أن إبراهيم وإسماعيل إن كانا هما بنياها ورفعاها فهو ما قلنا ، وإن كان إبراهيم تفرّد ببنائها ، وكان إسماعيل يناوله ، فهما أيضا رفعاها ؛ لأن رفعها كان بهما، من أحدهما البناء ، ومن الآخر نَقْلُ الحجارة إليها ومعونة وضع الأحجار مواضعها . ولا تمتنع العرب من نسبة البناء إلى من كان بسببه البناء ومعونته . وإنما قلنا ما قلنا من ذلك ؛ لإجماع جميع أهل التأويل على أن إسماعيل معنيّ بالخبر الذي أخبر الله عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولهما : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ

---

(١) جامع البيان (٦/٧٦-٧٧) ، وتحقيق شاكر (١٣/١٤٩) . ونحوه في النساء (١٩) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٤٩-٦٥١) ، والمائدة (٣٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ جامع البيان (٤/٥٦٦) ، ويوسف (٢٠) ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ جامع البيان (٧/١٦٨) .

مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فمعلوم أن إسماعيل لم يكن ليقول ذلك إلا وهو : إما رجل كامل ، وإما غلام قد فهم مواضع الضرّ من النفع ، ولزمته فرائض الله وأحكامه . وإذا كان في حال بناء أبيه ما أمره الله ببنائه ورفعه قواعد بيت الله كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن تاركاً معونة أبيه ، إما على البناء ، وإما على نقل الحجارة . وأيّ ذلك كان منه فقد دخل في معنى من رفع قواعد البيت ، وثبت أن القول المضمر خبر عنه وعن والده إبراهيم – عليهما السلام – ." (١)

فاستدلّ –رحمه الله– بدعائهما ربَّهما الدال على التكليف وصحة القربة والقصد، أن إسماعيل – عليه السلام – مكلف كبير أو مميز عاقل ، وهذا الدعاء وقع منهما في رفع بناء البيت ، فهو دليل على أنه ليس بصغير لا يحسن رفع الحجارة ووضعها ، كما في بعض الأقوال .

٧- قد يرجح السياق عدد الموصوفين : كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩] **قال –رحمه الله–** : " وقد قيل إن الله – جلّ ثناؤه – عنى بقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ كعب بن الأشرف (٢)... **قال أبو جعفر** : وليس لقول القائل عَنَى بقوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ كعب بن الأشرف معنى مفهوم ؛ لأن كعب بن الأشرف واحد ، وقد أخبر الله – جلّ ثناؤه – أن كثيراً منهم يودّون لو يردّون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم . والواحد لا يقال له : كثير بمعنى الكثرة في العدد ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التي وصف الله بها من وصفه بها في هذه الآية : الكثرة في العزّ ورفعة المنزلة في قومه وعشيرته ، كما يقال : فلان في الناس كثير ، يراد به كثرة المنزلة والقدر . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ ؛ لأن

(١) جامع البيان (١/٦٠١-٦٠٢) ، وتحقيق شاكر (٣/٦٥) .

(٢) هو كعب بن الأشرف ، من طيء ، ثم أحد بني نبهان ، أمه من بني النضير ، ألّب قريشا على المسلمين بعد بدر وهو معاهدهم ، وشاعر يهجو رسول الله -ﷺ- ، قتل بعد بدر وقصته في البخاري . معالم السنة للخطابي (٢/٣٣٨) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/١٦٠) ، وتاريخ الأمم والملوك (٢/٤٨٧) ، وفتح الباري (٧/٣٣٦)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية صفحة (٣٧٣) .

الله - جلّ ثناؤه - قد وصفهم بصفة الجماعة ، فقال : ﴿الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ فذلك دليل على أنه عنى الكثرة في العدد . أو يكون ظن أنه من الكلام الذي يخرج مخرج الخبر عن الجماعة ، والمقصود بالخبر عنه الواحد...فيكون ذلك أيضاً خطأ ، وذلك أن الكلام إذا كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدلّ على أن ذلك معناه ، ولا دلالة تدلّ في قوله : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ﴾ أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة ، فيجوز صرف تأويل الآية إلى ذلك وإحالة دليل ظاهره إلى غير الغالب في الاستعمال . "[1]

فالظاهر في السياق أن الموصوفين جماعة لا فرد ، فلا يصح القول بأن الموصوف فرد ؛ لأن الظاهر من الخطاب أنه وصف لجمع ، ولا دليل على إرادة غيره .

٨- **السياق قد يرجح ماهية الموصوف** : كما في قوله -تعالى- : ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [يوسف: ٢٦] **قال** -رحمه الله- : " وأما قوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد : **فقال بعضهم** : كان صبيّاً في المهد...**وقال آخرون** : كان رجلاً ذا لحية...وقيل : معنى قوله : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ : حكم حاكم...**وقال آخرون** [كمجاهد]: إنما عني بالشاهد القميص المقدود...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : قول من قال : كان صبيّاً في المهد؛ للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله -ﷺ- أنه ذكر من تكلم في المهد ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف[2].

---

(١) جامع البيان (١/٥٣٤-٥٣٥) ، وتحقيق شاكر (٢/٤٩٩) .

(٢) لم يذكر ابن جرير -رحمه الله- نص الحديث ، ومن رواياته : "تكلم أربعة وهم صغار هذا [يعني ولد ماشطة ابنة فرعون] وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم - عليه السلام - " ، وهذا لفظ الحاكم في المستدرك عن ابن عباس (٢/٤٩٦-٤٩٧) ، وأشار الذهبي في تلخيصه إلى صحته ، ورواه الحاكم أيضا عن أبي هريرة (٢/٥٩٥) بمعناه ، ورواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (١/٣٠٩) برقم (٢٨٢٢) ، وقال أحمد شاكر : في تحقيق المسند إسناده صحيح (٤/٣٩٥)، وفي تحقيق تفسير جامع البيان (١٦/٥٥) قال في حديث المسند : إنه موقوف على ابن عباس ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٤٤)، وقال المحقق محمد السعيد بسيوني زغلول : " وهو نفس إسناد الحاكم " ، وقال ابن كثير في تفسيره : إسناد البيهقي : لا بأس به . (٣/١٦) .

فأما ما قاله مجاهد : من أنه القميص المقدود ، فما لا معنى له ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة ، فقال : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ، ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة ." [١]

فوصف الشاهد أنه من أهل المرأة دليل على ضعف من قال : الشاهد القميص المقدود ؛ لأنه لا يقال للقميص في اللغة من أهل المرأة أو الرجل .

وهكذا يتضح أنه ينبغي على المفسِّر مراعاة المخاطب أو المتكلم ، وما يمكن أن يقصداه ، وأن لذلك أثراً كبيراً في فهم الكلام ، ومعرفة ما يلزم منه التكرار ونحوه ، وقد يستفاد من عرض القصة وسَوقها تحديد المخاطب أو المتكلم وحاله وسنِّه ،وعدد الموصوفين وماهيتهم .-كما تقدم- .

---

(١) جامع البيان (٧/١٩٣-١٩٤) ، وتحقيق شاكر (١٦/٥٣) .

المبحث الرابع :

دلالة السباق واللحاق وموضوع السورة على ترجيح معنى :

وقد يرجح سباق الكلام أو لحاقه أو هما مجتمعان معنى ، وهذا المبحث أهم مباحث الفصل ، **وستكون الأمثلة عليه من خلال المطالب التالية :**

المطلب الأول : أمثلة ترجيح السباق لمعنى .

المطلب الثاني : أمثلة ترجيح اللحاق لمعنى .

المطلب الثالث : أمثلة الترجيح لمعنى بدلالة السباق واللحاق معاً .

المطلب الرابع : الاستدلال بموضوع السورة على ترجيح معنى .

المطلب الأول : أمثلة الترجيح بالسباق :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ...في قوله -تعالى- : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ قال أبو جعفر : " يقال : قد ألحف السائل في مسألته إذا ألحّ فهو يلحف فيها إلحافاً .

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف ؟ قيل: غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة، إلحافاً أو غير إلحاف، وذلك أن الله -عزّ وجلّ- وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف ، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف ، ولم يكن بالنبيّ -ﷺ- إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة ، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم."[1]

فنفي السؤال الملحف لا يعني وجود سؤال غير ملحف ؛ لأنه سبق وصفهم بأنهم يعرفون بسيماهم في قوله : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ ، ولو كانوا يسألون لعرفوا بالسؤال، سواء ألحفوا في السؤال أم لم يلحفوا ، فيعرفون بغير السيما ، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين .[2] **ورجحه الشيخ زاده** [3] **وقال** : " وهو أنسب ؛ للمبالغة في وصف التعفف " [4].

ومال الزمخشري : إلى أنهم يسألون ولا يلحون ، **وضعف الرازي هذا القول** ، ورجحه ابن

---

(١) جامع البيان (٣/٩٨-١٠٠) ، وتحقيق شاكر (٥/٥٩٧) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (جزء٣/٢٢٢) ، وفتح القدير (١/٢٩٣) ، وروح المعاني (٣/٧٧) .

(٣) هو محمد بن محي الدين بن مصطفى ، مصلح الدين ، القوجوي ، الشهير بشيخ زاده ، مفسر فقيه حنفي ، كان مدرساً في استانبول له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي ، وهي أعظم الحواشي فائدة ، توفي سنة خمسين وتسعمائة ، وقيل : إحدى . انظر شذرات الذهب (٨/٢٨٦) ، والأعلام (٧/٣٢٠) .

(٤) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (١/٥٨٥) طبع دار صادر .

القيم فقال : "والنفي متسلط عليهما ، أي : لا يسألون ولا يلحفون " [١]، وقال باحتمالهما : **ابن عطية والسعدي** . -رحمهم الله-[٢]

وفي قوله -تعالى- : ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦] **قال أبو جعفر** : " يقول الله -تعالى ذِكْره- : قال الله : يا نوح إن الذي غرّقته ، فأهلكته -الذي تذكر أنه من أهلك - ليس من أهلك . واختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ **فقال بعضهم** : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك . وقالوا : كان ذلك من حِنْث[أي : إثم]...**وقال آخرون** : معنى ذلك : لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الذين وعدتك أن أُنجيهم...

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنَجيهم ؛ لأنه كان لدينك مخالفاً وبي كافراً ، وكان ابنه ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- قد أخبر نبيه محمداً -ﷺ- أنه ابنه ، فقال : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢] ، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر . وليس في قوله : ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ دلالة على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ محتملاً من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملاً إنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ ، كما قيل : ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]"[٣].

فليس معنى : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أنه ليس من صلبك ؛ لإخبار الله قبل ذلك أن نوحاً نادى ابنه في قوله : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ ، وعليه فيحمل معنى : ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ على المعنى الموافق لإثبات هذا الابن لنوح -ﷺ- فيكون المعنى : ليس من أهلك الذين سينجون من الغرق .

وفي قوله -تعالى- : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦] **قال أبو جعفر** : " يقول -تعالى ذِكْره- : في هاتين الجنتين ، من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه ، ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ، يعني : فوّارتان . واختلف أهل التأويل في المعنى الذي تنضخان به : فقال بعضهم : تنضخان

(١) انظر الكشاف (٣٩٨/١) ، ومفاتيح الغيب (جزء٧/٨٨) ، وانظر بدائع التفسير (٤٣٤/١).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٣٤٠/٢) ، وتيسير الكريم الرحمن صفحة (١٠٨) .

(٣) جامع البيان (٥٠/٧-٥٢) ، وتحقيق شاكر (٣٤٠/١٥) .

بالماء...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان...**وقال آخرون** : تنضخان الماء والفاكهة...**وقال آخرون** : نضاختان بألوان الفاكهة...**وقال آخرون** : نضاختان بالخير...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عُني بذلك أنهما تنضخان بالماء؛ لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء ."(١)

فالراجح في معنى النضخ : أنه نضخ بالماء ؛ لأن الناضخ عينان ، وهما عيون ماء ، وهذا هو المشهور من المعنى هنا .(٢)

---

(١) جامع البيان (١١/٦١٢-٦١٣) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : الفاتحة (٦) ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ جامع البيان (١/١٠٣) ، والبقرة (١٧) ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝ ﴾ جامع البيان (١/١٧٨) ، و(٥٧) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٣٨)، و(١٨٤) ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٣٦)، و(١٩٦) ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٦٤) ، و(٢٢٣) ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢/٤١١) ، و(٢٢٥) ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢/٤٢٦) ، و(٢٨٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٥) ، وآل عمران (٧٥) ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣١٦) ، و(٩٧) ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٦٩) ، و(١١٨) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ الآية جامع البيان(٣/٤٠٩) ، و(١٣٥) ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٤٢) ، و(١٧٣) ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ ﴾ جامع البيان (٣/٥٢٣) ، والنساء (٣) ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٧٧) ، و(١٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٤٩) ، و(٩٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٢٨-٢٢٩) ، و(١٠٣) ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٤/٢٦٠-٢٦١) ، والمائدة (٩٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٦٣-٦٤) ، والأنعام (٩) ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝ ﴾ جامع البيان (٥/١٥٣) ، و(٨٥) ﴿وَزَكَرِيَّا =

=

﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ جامع البيان (٥/٢٥٧)، و(١٢١) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٢٨)، و(١٢٩) ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ جامع البيان (٥/٣٤٤)، و(١٣١) ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ جامع البيان (٥/٣٤٧)، والأعراف (١٧) ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ جامع البيان (٥/٤٤٧)، و(١٥٠) ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾ الآية جامع البيان (٦/٦٦)، و(٢٠٢) ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ جامع البيان (٦/١٥٨)، والأنفال (٢٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢١٢-٢١٣)، و(٣٣-٣٤) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآيتين جامع البيان (٦/٢٣٦)، و(٣٩) ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ جامع البيان (٦/٢٤٧)، و(٤٣) ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٥٩)، والتوبة (٦٠) ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٩٨)، و(١١٤) ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٩٩)، وهود (٦) ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ الآية جامع البيان (٧/٤)، و(٧١) ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ جامع البيان (٧/٧٢)، و(٨٦) ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ جامع البيان (٧/١٠٠)، ويوسف (٥٥) ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ جامع البيان (٧/٢٤٢)، والرعد (٣٩) ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ جامع البيان (٧/٤٠٣)، و(٤١) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الآية جامع البيان (٧/٤٠٨)، والنحل (٩٩-١٠٠) ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الآيتين جامع البيان (٧/٦٤٥)، والإسراء (٢٨) ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ جامع البيان (٨/٧٠-٧١)، و(٨٠) ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٣٧-١٣٨)، ومريم (٧٠) ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ جامع البيان (٨/٣٦٣)، وطه(٨٢) ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ جامع البيان (٨/٤٤٢)، و(٩٤) ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ الآية جامع البيان (٨/٤٥٠)، و(١١٠) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ جامع البيان (٨/٤٦٠)، والأنبياء (٩٥) ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ جامع البيان (٩/٨٢-٨٣)، والحج (٥) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن

=

=

مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١١١)، و(١٥) ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/١٢٠)، والفرقان (٥٣) ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤٠٠)، و(٦٧) ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤١٢)، والشعراء (١٩) ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤٣٧)، و(١٩٨) ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤٧٨)، والأحزاب (٥٢) ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣١٩)، والصافات (١١٦) ﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥١٩)، والزمر (٦) ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦١٥)، و(٨) ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦١٩)، وفصلت (٥٣) ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٢٥)، وسورة ق (٢١-٢٢) ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الآيتين جامع البيان (١١/٤٢٠)، والطور(٤٨) ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٥٠٠-٥٠١)، والنجم (١٠) ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٥٠٩-٥١٠)، والحديد (١٢) ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧٦)، والجن (٢٨) ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٢٧٧).

المطلب الثاني : أمثلة ترجيح اللحاق لمعنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٦٩] **قال -رحمه الله-** :"...اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿صَفْرَاءُ﴾ **فقال بعضهم** : معنى ذلك سوداءُ شديدةُ السواد...**وقال آخرون**: معنى ذلك : صفراء القَرْنِ والظّلف...**قال أبو جعفر** : وأحسب أن الذي قال في قوله : ﴿صَفْرَاءُ﴾ يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السُّود : هذه إبل صُفر ، وهذه ناقة صفراء يُعنى بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ؛ لأن سوادها يَضرب إلى الصُّفرة...وذلك إن وُصِفَت الإبل به فليس مما توصف به البقر ، مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد -إذا وصفته بالشدة- بالحلوكة ونحوها ، فتقول : هو أسود حالك وحانك وحلكوك...ولا تقول : هو أسود فاقع ، وإنما تقول هو أصفر فاقع، فوصفه إياه بالفقوع من الدليل البيِّن على خلاف التأويل الذي تأول قوله : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ﴾ المتأوِّل ، بأن معناه : سوداء شديدة السواد ." (١)

---

(١) جامع البيان (٣٨٧/١-٣٨٨) ، وتحقيق شاكر (١٩٩/٢) . وانظر بقية الأمثلة في : البقرة (٢٥) ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾الآية جامع البيان (٢٠٧/١) ، و(١٨٢) ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٣١/٢-١٣٢) ، و(٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٠/٢) ، والنساء (٣٢) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥١/٤)، والنساء (٨٦) ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٩٣/٤)، والأنعام (١٤٨) ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾الآية جامع البيان (٣٨٧/٥-٣٨٨) ، والأعراف (٣٩) ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ جامع البيان (٤٨٤/٥) ، والأنفال (٤١) ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية جامع البيان (٢٥١/٦) ، وسبأ (١٦) ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ جامع البيان (٣٦٤/١٠) .

فقوله : ﴿فَاقِعٌ﴾ يـرجح أن معنى : ﴿صَفْرَآءُ﴾ هو اللون المعهود ، وليس السواد؛ لأن السواد يوصف بالحلوكة ، والأصفر بالفقوعة ، وهو المذكور مع الأصفر .

وفي قوله -تعالى- في وصف الحور العين : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٩] **قال -رحمه الله-**: " اختلف أهل التأويل في الذي به شُبِّهن من البَيْض هذا القول : **فقال بعضهم** : شبهن ببطن البيض في البياض ، وهو الذي داخل القِشْر ، وذلك أن ذلك لم يمسّه شيء...**وقال آخرون** : بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر ، فهو إلى الصفرة ، فشبه بياضهنّ في الصفرة بذلك...**وقال آخرون:** بل عنى بالبيض في هذا الموضع : اللؤلؤ ، وبه شبهن في بياضه وصفائه...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال : شبهن في بياضهن ، وأهنّ لم يمسّهنّ قبل أزواجهنّ إنس ولا جانّ ، ببياض البيض الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة المُلْبَسة المُحّ [(١)] قبل أن تمسّه يدٌ أو شيء غيرها ، وذلك لا شكّ هو المكنون ، فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسّها ، والأيدي تباشرها ، والعُشّ يلقاها . والعرب تقول لكلّ مصون : مكنون ، ما كان ذلك الشيء ، لؤلؤاً كان ، أو بيضاً ، أو متاعاً..." [(٢)]

فالذي لا يمسّ هو المكنون ، وعادة لا يكون هذا في الغشاء الخارجي للشيء ؛ لأنه يمسّ فلا يكون له معنى الاكتنان ، وإنما يكون وصف المكنون في الغشاء الداخلي الذي في قشر البيض ، وقد يطلق على غيره إذا توفر فيه معنى الحفظ من المس .

وفي قوله -تعالى- : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: ٥] **قال -رحمه الله-** : " يقول -تعالى ذِكْره- : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قوم صالح ، فأهلكهم الله بالطاغية . واختلف في معنى الطاغية -التي

---

(١) المحّ يطلق على : خالص كل شيء ، أوصفرة البيض ، أوما في البيض كله ، وهو المراد هنا . انظر ترتيب القاموس المحيط (٢٠٧/٤) ، مادة (م ح ح) .

(٢) جامع البيان (٤٨٨/١٠-٤٨٩) . وانظر بقية المواضع في : الحج (٣٦) ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الآية جامع البيان (١٥٩/٩) ، الإنسان (٢) ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ جامع البيان (٣٥٦/١٢) .

أهلك الله بها ثمود - أهل التأويل : **فقال بعضهم** : هي طغيانهم وكفرهم بالله... **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التي قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها...

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فأُهلكوا بالصيحة الطاغية . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به ، فقال : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة: ٦] ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك في سياق واحد ، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح ، الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت ." (١)

فالطاغية ليست بمعنى الطغيان بل هو عذاب ، بدليل قوله -تعالى- بعدها في قوم عاد: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ فثمود مثلهم أهلكوا بعذاب هو الطاغية .(٢)

---

(١) جامع البيان (١٢/٢٠٦-٢٠٧) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٧١) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ الآية جامع البيان (١/٣٦٩) ، و(٧٨) ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ جامع البيان (١/٤١٨-٤١٩) ، و(١٦٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝﴾ جامع البيان (٢/٦١) ، و(١٨٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾الآية جامع البيان (٢/١٠٧) ، و(١٨٥) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٥٦و١٦٠) ، و(٢٠٣) ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٢١-٣٢٢) ، و(٢٢٨) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٥٩) ، و(٢٢٩) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٧٠-٤٧١) ، و(٢٣٦) ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٤٦) ، و(٢٤٩) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٣٦) ، و(٢٥٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦)،وآل عمران (٤٥) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٦٨)، و(١٢١) ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾الآية جامع البيان (٣/٤١٦) ، و(١٥٣) ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ

=

على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٢/٣)، و(١٨٠) ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٢/٣)، والنساء (٣) ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ الآية جامع البيان (٥٨٠/٣)، و(١٣) ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٢/٣)، و(٤٣) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ الآية جامع البيان (١٠٢/٤)، و(٨٨) ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٦/٤)، و(١٠١) ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٠/٤)، و(١١٩) ﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٥/٤)، و(١٤٨) ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٣/٤)، والمائدة (١) ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٨/٤)، و(٦) ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ الآية جامع البيان (٤٨١/٤)، و(٣١) ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٤)، و(٩٥) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾الآية جامع البيان (٤٧/٥-٤٨)، والأنعام (٩٥) ﴿إن الله فالق الحب والنوى ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٦/٥)، والأعراف (١١) ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١) ﴾ جامع البيان (٤٣٧/٥)، و(٣٧) ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ﴾الآية جامع البيان (٤٨١/٥)، و(٢٠٣) ﴿ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ﴾الآية جامع البيان (١٦٠/٦)، ويونس (٦١) ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾الآية جامع البيان (٥٣٧/٦)، و(٨٣) ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٢/٦)، وهود (١٧) ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ﴾الآية جامع البيان (١٩/٧)، و(٧٤) ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط (٧٤) ﴾ جامع البيان (٧٧/٧)، و(١١٨) ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) ﴾ جامع البيان (١٣٩/٧)، والنحل (١) ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾الآية جامع البيان(٥٥٧/٨)، والإسراء (١١٠) ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾الآية جامع البيان (١٦٩/٨)، ومريم (٢٤) ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤) ﴾ جامع البيان (٣٣٠/٨)، و(٥٩) ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) ﴾ جامع البيان (٣٥٥/٨)، والأنبياء (٣٠) ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾الآية جامع البيان

=

=

(٩/٢١)، و(٣٧) ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٢٨)، و(٦٥) ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤١)، و(٨٧) ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٧٤)، والحج(٥٢) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٧٨)، و(٦٧) ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾الآية جامع البيان (٩/١٨٥)، والمؤمنون (١٢) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٢٠٢)، و(٥٠) ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٢١٨-٢١٩)، والنور (٢) ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾الآية جامع البيان (٩/٢٥٨)، و(٢٩) ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٠١)، و(٣٦) ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٣٣٠)، و(٦١) ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٩/٣٥٤)، والفرقان (١٩) ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٧٤-٣٧٥)، والشعراء (١٥٣و١٨٥) ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٤٦٨،٤٧٣)،والقصص (١٠) ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣٦-٣٧)، و(٢٣) ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٥٤)،والعنكبوت (٥٦) ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١٥٦)، ولقمان (١٦) ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢١٢)، والسجدة(٢٨) ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢٥٣)، والأحزاب (٦) ﴿ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ جامع البيان (١٠/٢٦١)، و(٢٤) ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٢٨٢)، و(٥١) ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٣١٥)، ويس (٤٢) ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٤٤٦)، والصافات (١٧٤) ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٤٢)، وسورة ص (١) ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥٤٦)، والزمر (٦٩) ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣١)، وغافر (٦٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٧٧)، وفصلت (٥١) ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٢٤)، والزخرف (٥) ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن

=

المطلب الثالث : أمثلة الترجيح بالسباق واللحاق معاً:

كما في قوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله - جلّ ثناؤه - بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ **فقال بعضهم** : هم المؤمنون برسول الله -ﷺ- ، وبما جاء به من أصحابه : [وبه قال قتادة]...وقال آخرون : بل عنى الله بذلك علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدّقوا رُسُلَه ، فأقرّوا بحكم التوراة، فعملوا بما أمر الله فيها من اتّباع محمد -ﷺ- ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله...

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة ؛ لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين ، وتبديل من بدل منهم كتاب الله ، وتأوّلهم إياه على غير تأويله ، وادّعائهم على الله الأباطيل . ولم يَجْرِ لأصحاب محمد -ﷺ- في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ موجّهاً إلى الخبر عنهم ، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها ، فيكون موجّهاً ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله -ﷺ- بعد انقضاء قصص غيرهم ، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى الآية : أن يكون موجّهاً إلى أنه خبر عمن قَصّ الله - جلّ ثناؤه - في الآية قبلها والآية بعدها ، وهم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل ." (١)

فظاهر من سياق الآيات السابقة واللاحقة أنها في أهل الكتاب ، ولما لم يأت دليل على انصراف

كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/١٦٧-١٦٨) ، ومحمد(٢٥) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣٢٢) ، والرحمن (١٩) ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٥٨٦) ،والحديد (٢٧) ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٩٢) ، والفجر (٢٧) ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٨١-٥٨٢) .

(١) جامع البيان (١/٥٦٦) ، وتحقيق شاكر (٢/٥٦٤) .

الخطاب إلى غيرهم ، فالأصل بقاء الخطاب على سياقه ، فأهل الكتاب هم المخاطبون ، ولا مانع من دخول من يشابههم -كما سبق بيانه- [١].

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحجر: ٢٤] **قال -رحمه الله -:** " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدّم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حيّ ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق...**وقال آخرون** : عنى بالمستقدمين : الذين قد هلكوا، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا...وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين في أوّل الخلق والمستأخرين في آخرهم...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد -ﷺ -...**وقال آخرون** : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة ، والمستأخرين فيها بسبب النساء...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته ، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ ؛ لدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحجر: ٢٣] ، وما بعده وهو قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾[الحجر: ٢٥] على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه ، ولا جاء بعد..." [٢]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩] **قال -رحمه الله-:** " واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله : ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ **فقال بعضهم** : عني بذلك الجنّ، أنهم كادوا يركبون رسول الله -ﷺ - لما سمعوا القرآن... **وقال آخرون** : بل هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا إلى قومهم ، أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله -ﷺ - له ، وائتمامهم به

---

(١) انظر صفحة (٢٧٨) وما بعدها .

(٢) جامع البيان (٧/٧٠٥-٥١٠) .

في الركوع والسجود... **وقال آخرون** : بل ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه -ﷺ- لعلمه أن الإنس والجنّ تظاهروا عليه ، ليُبطلوا الحقّ الذي جاءهم به ، فأبى الله إلا إتمامه...

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك : قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمّداً -ﷺ- لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله ، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب ؛ لأن قوله ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ عقيب قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨] وذلك من خبر الله فكذلك قوله : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ ، وأخرى أنه -تعالى ذِكْره- أتبع ذلك قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك ، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة ." (١)

وقد يضعف القول لما يلزم من القول به من تناقض في فهم سياق الآيات : ففي قوله

(١) جامع البيان (١٢/٢٧٢-٢٧٣) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٦) ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ جامع البيان (١/١٧٢) ، و(١٧١) ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٨٧) ، وآل عمران (٣١) ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٢٣٢) ، و(٤٩) ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾الآية جامع البيان (٣/٢٧٦) ، و(٩٠) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٣٤٢-٣٤٣) ، والمائدة (٤٨) ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾الآية جامع البيان (٤/٦١٠) ، والأنعام (٧٠) ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ جامع البيان (٥/٢٣٠) ، والتوبة (٢) ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾ جامع البيان (٦/٣٠٥) ، ومريم (٢٤) ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٣٢٨) ، والحج (١٩) ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٢٤-١٢٥) ، و(٤٧) ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (٩/١٧٢)، والنور (٦٣) ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾الآية جامع البيان (٩/٣٦٠) ، والقصص (٦٨) ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾الآية جامع البيان (١٠/٩٦) ، والعنكبوت (٤٩) ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾الآية جامع البيان (١٠/١٥٣) ، والبروج (١٣) ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٢٩).

-تعالى-: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨] قال -رحمه الله-: " وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل...وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شيء، وأن الله - جلّ ثناؤه - إنما عرّف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمَه عليهم، ونبههم به على حججه عليهم وأدلته على وحدانيته، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك...

والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله أهل القول الثاني، وذلك أنه لو كان في قوله -تعالى ذِكْره-: ﴿لِتَرْكَبُوهَا ﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للركوب، للأكل؛ لكان في قوله: ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء، للركوب. وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال -تعالى ذِكْره-: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا ﴾ جائز حلال غير حرام، إلا بما نصّ على تحريمه، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب، أو وحي إلى رسول الله -ﷺ-، فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء." (١)

فمن استدل على أن الخيل لا تؤكل؛ لأن الله لم يذكر الأكل للخيل في قول الله -تعالى-: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾، فيلزمه أن يقول: إن الركوب للأنعام لا يحل؛ لأنه لم يذكر في قوله -تعالى-: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥]، وإلا لزم تناقض في فهم الآيتين المتشابهتين في التركيب اللفظي، وإنما ذكر الله هذا من باب الامتنان، وليس هذا مقام تحديد الأحكام، فلا يؤخذ منها مفهوم مخالفة. -والله أعلم-.

---

(١) جامع البيان (٧/٥٦٢-٥٦٤). وانظر نحوها في البقرة (٢٨٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢١-١٢٢).

المطلب الرابع : الاستدلال بموضوع السورة على ترجيح معنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١] **قال -رحمه الله-**:
"واختلفت أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ **فقال بعضهم** : معناه: الذين جعلوا القرآن فِرَقاً مفترقة...فوجه قائلوا هذه المقالة قوله : ﴿عِضِينَ﴾ إلى أن واحدها : عُضْو ، وأن عِضِينَ جمعه ، وأنه مأخوذ من قولهم : عَضّيت الشيء تعضية : إذا فرقته...**وقال آخرون** : بل هي جمع : عِضَة ، جمعت عِضِين ، كما جمعت البُرَةُ : بُرين ، والعِزَة : عِزين . فإذَا وُجّه ذلك إلى هذا التأويل كان أصل الكلام عِضَهَة ، ذهبت هاؤها الأصلية...وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعَضْه في هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سِحْر خاصة ، دون غيره من معاني الذمّ...

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله -تعالى ذِكْره- أمر نبيه -ﷺ- أن يُعْلِم قوماً عَضَهُوا القرآن : أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضهِهِمْ إياه ، مثل ما أنزل بالمقتسمين ، وكان عَضْهُهُم إياه : قذفهموه بالباطل وقيلهم : إنه شعر وسحر ، وما أشبه ذلك . وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات به ؛ لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله : ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٥] على صحة ما قلنا ، وأنه إنما عُنِيَ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ مشركي قومه . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول في معنى قوله : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ قول الذين زعموا أنهم عَضَهوه ، **فقال بعضهم** : هو سحر ، **وقال بعضهم** : هو شعر ، **وقال بعضهم** : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول، أو عَضَوْه ففرقوه ، بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه : احتمل قوله : ﴿عِضِينَ﴾ ، أن يكون جمع : عِضة ، واحتمل أن يكون جمع : عُضْو ؛ لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضَّى الجَزُور والشاة ، فتفرق أعضاء . والعَضْه: البَهْت ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان في

المعنى"[١].

فلما كان سياق السورة في خطاب المشركين من قريش ، وكانت قريش إما مؤمنة بالقرآن ، أو كافرة به ، مدّعية أنه سحر أو كهانة ، صح القول بأن معنى العضه في الآية هو هـذا القـول في التكذيب ، دون من قال : آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ؛ لأن هذا لم يكن من المشركين مطلقاً .

ومن خلال ما سبق يتأكد ما للسياق من أثر في الترجيح ،سواء كان الترجيح : بمراعاة السباق أو اللحاق ، أو بهما مجتمعين ، وهذه الأنواع : هي التي كثر الاستدلال بها في جميع القرآن ، وأقل من ذلك ما كان الترجيح فيه مراعاة لاتحاد موضوع السورة .

---

(١) جامع البيان (٥٤٧/٧) .

المبحث الخامس :مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن :

إذا تأمل قارئ القرآن الآيات وجد بينها التقابل واكتمال الأقسام للأشياء ، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً ؛ ولهذا ينبغي للمفسر أن يرجح من المعاني ما يكمل الأقسام المذكورة في الآيات دون ما كان بعيداً عنها ، وسأعرض الأمثلة من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : المقابلة في تقسيم الموصوفين بالإيمان والكفر .

المطلب الثاني : المقابلة في الأمر والنهي .

المطلب الثالث : الاستثناء يرجح فرقاً وتقابلاً بين المستثنى والمستثنى منه .

المطلب الرابع : المثل يرجح مقابلة الممثل به حتى يكون المعنى مماثلاً .

المطلب الخامس : أرجح جواب ما كان مقابل السؤال أو السابق من الآيات .

المطلب الأول : المقابلة في تقسيم الموصوفين بالإيمان والكفر :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٣] **قال - رحمه الله-**: " وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله - جلّ ثناؤه - هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم :...**فقال بعضهم** : هم مؤمنوا العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب . واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم : بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله -عزّ وجلّ- : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة: ٤] . قالوا : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله -عزّ وجلّ- على محمد -ﷺ- تدين بتصديقه والإقرار والعمل به، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها . قالوا : فلما قص الله -عزّ وجلّ- نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله -بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب - علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر، وأن المؤْمنين بالغيب نوع غير النوع المصدّق بالكتابين ، اللذين أحدهما منزل على محمد -ﷺ- ، والآخر منهما على من قبل رسول الله... **وقال بعضهم**: بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة ...**وقال بعضهم** : بل الآيات الأربع من أول هذه السورة أنزلت على محمد -ﷺ- بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم وأهل الكتابين وسواهم...

وأولى القولين عندي بالصواب وأشبههما بتأويل الكتاب : القول الأول ، وهو : أن الذين وصفهم الله -تعالى ذِكْره- بالإيمان بالغيب ، وما وصفهم به - جلّ ثناؤه - في الآيتين الأوّلَتين غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على من قبله من الرسل ؛ لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك ، ومما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول : أنه جَنّسَ -بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف ، وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار - جِنْسَين ، فجعل أحدهما : مطبوعاً على قلبه مختوماً عليه مأيوساً من إيابه ، والآخر : منافقاً يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسرّ النفاق في الباطن ، فصيّر الكفار جنسين ، كما صيّر المؤمنين في أول السورة

جنسين . ثم عرّف عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم ، وما أعدّ لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب ، وذمّ أهل الذمّ منهم ، وشكر سعي أهل الطاعة منهم"(١).

فنظر -رحمه الله- إلى أن الأقسام المذكورة في الكفر نوعان : كفار ومنافقون ، واستدل بها على أن الأقسام المذكورة في الإيمان قسمان أيضاً هما : المؤمنون من العرب ، والمؤمنون من أهل الكتاب.

وهذا يدل على أنه -رحمه الله- يراعي التقابل والتقسيم في الآيات ، هذا مع الأدلة الأخرى كالعطف المغاير الدال على أن هؤلاء غير أولئك ، وأن العرب لم يكن لهم كتاب قبل النبي -ﷺ- ، كما قال تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ﴾ [السجدة: ٢ - ٣].

---

(١) جامع البيان (١/١٣٤-١٣٦) ، وتحقيق شاكر (١/٢٣٧) باختصار .

المطلب الثاني : المقابلة في الأمر والنهي :

كما في قوله -تعالى- : ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣] **قال** -رحمه الله- : في قوله -تعالى- : ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : **فقال بعضهم**: [كالسدي] معنى ذلك : قدموا لأنفسكم الخير...وقال **آخرون**: بل معنى ذلك : ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ ذكْرَ الله عند الجماع ، وإتيان الحرث قبل إتيانه...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدي وهو : أن قوله: ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ أمر من الله -تعالى ذِكْره- عباده بتقديم الخير والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم ، عُدّةً منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب ، فإنه قال -تعالى ذِكْره- : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١١٠، المزمل: ٢٠] .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- عقّب قوله : ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه ، فكان الذي هو أولى بأن يكون قِبَل التهدّدِ على المعصية -إذ كان التهدّد على المعصية عامّاً - الأمر بالطاعة عامّاً .

فإن قال لنا قائل : وما وجه الأمر بالطاعة بقوله : ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ من قوله : ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ ؟ قيل : إن ذلك لم يقصد به ما توهمته ، وإنما عنى به : وقدّموا لأنفسكم من الخيرات التي ندبناكم إليها[1] بقولنا : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥] ، وما بعده من سائر ما سألوا رسول الله -ﷺ-، فأجيبوا عنه مما ذكره الله -تعالى ذِكْره- في هذه الآيات ، ثم قال -تعالى ذِكْره- : قد بينا لكم ما فيه رَشَدكم وهدايتكم إلى ما يرضي ربكم عنكم ، فقدموا لأنفسكم الخير الذي أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً ؛ لتجدوه لديه إذا لقيتموه

(١) أي : دعوناكم .

في معادكم ، واتقوه في معاصيه أن تقربوها ، وفي حدوده أن تضيعوها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه في معادكم، فمجازٍ المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته ." (١)

فحمل الأمر بالتقديم للأنفس في قوله : ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ على لزوم الطاعة عامة ؛ لأن الله –عزّ وجلّ– حذر بعده من المعصية عامة في قوله : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ، فالأمر بالطاعة عام كذلك ، و لم يحدد الأمر والنهي بما في الآية نفسها ، بل أعاده إلى ما سبق من عموم الأوامر والنواهي .

---

(١) جامع البيان (٤١١/٢) ، وتحقيق شاكر (٤١٦/٤) . وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٦٠) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ جامع البيان (٦١/٢) ، و(٢٢٨) ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٨/٢-٤٥٩و٤٦٨-٤٦٩) ، و(٢٣٦) ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الآية جامع البيان (٥٤٦/٢و٥٥٠) ، والنساء (٣٦) ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٨٢/٤-٨٣) ، والأنعام (١٣٩) ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ الآية جامع البيان (٣٥٧/٥-٣٥٨) ، ويونس (٢٧) ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٤/٦) ، والنحل (١٦) ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ جامع البيان (٥٧٢/٧) ، و(٩٧) ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ الآية جامع البيان (٦٤٣/٧) .

المطلب الثالث : الاستثناء يــرجح فرقاً وتقابلاً بين المستثنى والمستثنى منه:

ففي قوله -تعالى- : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقــرة: ١٥٠] "...قال أبو جعفر : فقال جماعة من أهل التأويل : عنى الله تعالى بالناس في قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ : أهل الكتاب...قيل إنهم كانوا يقولون :ما درى محمد وأصحابه أين قبلتــهم حــتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها علــى رسول الله -ﷺ- وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين...فقطع الله - جلّ ثناؤه - ذلك من حجتهم وحسمه بتحويــل قبلــة نبيــه -ﷺ- والمؤمنين به من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم - عليه السلام-...وأما قولــه : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فإنهم مشركوا العرب من قريش...وإنما الحجة في هذا الموضع الخصومة والجــدال ، ومعــنى الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومةٌ ودعوى باطلٌ غيــر مشركي قريش ، فإن لهــم عليكم دعوى باطلاً وخصومةً بغيــر حقّ، بقيلهم لكم : رجع محمد إلى قبلتنا وسيــرجع إلى ديننا ، فذلك من قولهم وأمانيهم الباطلة، هي الحجة التي كانت لقريش على رسول الله - ﷺ - وأصحابه ، ومن أجل ذلك استثنى الله -تعالى ذِكْره- : الذين ظلموا من قريش من سائر الناس غيــرهم ، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة [ثم ذكر أقوال أهل التأويل وقال]...فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ عن صحة ما قلنا في تأويله ، وأنه استثناء على معنى الاستثناء المعروف، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفيّاً عما قبله ، كما قول القائل:" ما سار من النّاس أحدٌ إلا أخوك "، إثبات للأخ من السيــر ما هو منفيّ عن كــل أحد من الناس ، فكذلك قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ نفى عن أن يكون لأحد خصومة وجدل قِبَل رسول الله -ﷺ- ودعوى باطلٍ عليه وعلى أصحابه بسبب تــوجههم في صلاتهم قبل الكعبة ، إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قِبَلهم خصومةً ودعوى باطلة ، بأن يقولوا : إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا ؛ لأنا كنا أهدى منكم سبيلاً ، وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيــت

المقدس على ضلال وباطل ." [١]

فلما نفى الله – عزّ وجلّ – عن أناس أن لهم حجة ، ثم استثنى آخرين فلا شك بأن لهم حكماً منافياً للمستثنى منه أن لهم حجة –أي خصومة– ثابتة على المؤمنين ؛ ودل على هذا : الاستثناء، فهو في اللغة يثبت حكمين : كل حكم مناف ومقابل ومضادّ للآخر، فالحجة المثبتة هنا هي : حجة مشركي العرب ، والحجة المنفية هي : حجة غيرهم من أهل الكتاب وسواهم ، بغضِّ النظر عن صحة الحجة أو ضعفها وبطلانها .

(١) جامع البيان (٣٥/٢–٣٨) ، وتحقيق شاكر (١٩٩/٣) .

المطلب الرابع : المثل يرجح مقابله الممثّل به حتى يكون المعنى مماثلاً :

ففي تفسير قوله -تعالى- : ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٥] رجح الطبري -رحمه الله- أن المراد بالشجرة النخلة لصحة الأخبار عن رسول الله -ﷺ- [1] ثم ذكر اختلافهم في المراد بالحين في الآية وأن الراجح -في هذا الموضع- هو : "غدوة وعشية ، وكلّ ساعة ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً ، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالحُ العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين ، فإذ كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافا للمُمَثَّل به في المعنى ، وإذا كان ذلك كذلك كان بيِّناً صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأيُّ نخلة تؤتي في كل وقت أُكُلاً صيفًا وشتاءً ؟ قيل: أمّا في الشتاء، فإن الطَّلْع من أُكُلها ، وأما في الصيف فالبَلَح والبُسْرُ والرُّطَب والتَّمرُ ، وذلك كله من أكلها." [2]

والصواب أن هذا ليس أُكُل النخلة فحسب ، بل إن أكلها موجود على الدوام ، فمن حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس ، وبعد يبسه يتخذ من منافع كثيرة ، ثم آخرُ شيءٍ نواها الذي ينتفع به في تعليف الدواب... [3] ويضاف لذلك ما يؤكل منها من الجمّار . [4]

ولو حمل معنى الأُكُل على الثمرة بمعنى المنفعة لكثرت المنافع كما هي منافع المؤمن.

---

(١) عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً : "أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا...، ولا...، ولا...تؤتي أكلها كل حين " [ثم] قال سول الله -ﷺ-:" هي النخلة "رواه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة إبراهيم ، صفحة (٩٨٢) حديث (٤٦٩٨) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، (٢١٦٥/٤) حديث (٢٨١١) وغيرهما ، واللفظ للبخاري .

(٢) جامع البيان (٤٤٣/٧) ، وتحقيق شاكر (٥٨٢/١٦) . وانظر البقرة (١١٨) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٢/١) .

(٣) انظر تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي -رحمه الله- على هذه اللفظة من الحديث في صحيح مسلم (٢١٦٥/٤) .

(٤) هو شحم النخل . مختار الصحاح (٩٠) .

المطلب الخامس : أرجح جواب ما كان مقابل السؤال أو السابق من الآيات :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفرقان: ١٠] قال -رحمه الله- : " واختلف أهل التأويل في المعنيّ بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التي في قوله : ﴿ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ فقال بعضهم : [كمجاهد] معنى ذلك : خيراً مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد : هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بيّن -تعالى ذِكْره-عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا [١] ،فقال : ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ...وقال آخرون : عُنِي بذلك المشي في الأسواق والتماس المعاش...

قال أبو جعفر : والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك : أشبه بتأويل الآية ؛ لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها ، وأن لا يُلْقى إليه كتر ، واستنكروا أن يمشي في الأسواق وهو لله رسول . فالذي هو أولى بوعد الله إياه : أن يكون وعداً بما هو خير ما كان عند المشركين عظيماً ، لا مما كان منكراً عندهم ."[٢]

فيحمل الجواب على ما كان مستعظماً عند الكفار ، وهو قولهم : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧] ، فهم إنما استنكروا عليه : نقص حظه من الدنيا مع رسالته ، ويكون الجواب مقابلاً لذلك المستعظم السابق ، دون ما كان منكراً عندهم من أمر نبوته على ما جاء في القول الآخر .

---

(١) والذي قاله المشركون في هذه السورة للنبي -ﷺ- قبل هذه الآية هو : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٧ - ٨].

(٢) جامع البيان (٩/٣٦٨-٣٦٩) . وانظر موضعين آخرين في البقرة (١٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾الآية جامع البيان (١/٥٩٤) ، والأنبياء (١٠١) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٩٢) .

وهكذا يتبين أن التقابل والتقسيم ينبغي العناية به في تفسير القرآن ، فقد عهد من طريقة القرآن في البيان أن يقابل بين المؤمنين والكافرين ، وبين الأمر والنهي ، وبين المستثنى والمستثنى منه ، وبين الممثل والممثل به ، وبين السؤال والجواب ، ونحو ذلك .

المبحث السادس : التفسير بما لم يرد ذكره في السياق يعتبر قولاً ضعيفاً :

يتضح من جعل السياق قضية أصيلة في الاستدلال على الترجيح بها بين الأقوال، ما لذلك من أثر فيما لم يرد في السياق، وأن حكمه الضعف؛ لعدم الدليل عليه ، ومن أمثلة ذلك: قوله -تعالى- : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ : **فقال بعضهم** : والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته ، يَعِد الذي أعطى غير منفق في سبيله دون ما وعد المنفق في سبيله من تضعيف الواحدة سبعمائة . فأما المنفق في سبيله فلا ينقصه عما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة إلى ألفي ألف ضعف...

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل قوله : ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ : والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف ، لمن يشاء من المنفقين في سبيله ؛ لأنه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله ، فيجوز لنا توجيه ما وعد -تعالى ذِكْره- في هذه الآية من التضعيف إلى أنه عِدَة منه على العمل في غير سبيله أو على غير النفقة في سبيل الله ." (١)

فمضاعفة الثواب في الآية إنما جاء في سياق النفقات في سبيل الله ، فيرجح ذلك على غيره مما لم يرد ذكره ، فلا تدخل النفقات الأخرى ، ولو كانت مشروعة في هذه المضاعفة .

وفي قوله -تعالى- : ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١] **قال -رحمه الله-** : "القول في تأويل قوله -تعالى- : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ **قال أبو جعفر** : اختلف في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : تلك آيات التوراة...**وقال آخرون** : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من تأوّله : هذه آيات

---

(١) جامع البيان (٦٢/٣) ، وتحقيق شاكر (٥١٥/٥) .

القرآن...وإنما قلنا : هذا التأويل أولى في ذلك بالصواب ؛ لأنه لم يجئ للتوراة والإنجيل قبلُ ذكرٌ ، ولا تلاوةٌ بعدُ ، فيوجّه إليه الخبر ." (١)

فلا يصح إرجاع الكلام إلى غير مذكور في السياق من غير دليل ، والتوراة والإنجيل لم يسبق لهما ذكر و لم يأت لهما ذكر بعد أيضاً ، بالإضافة : إلى أن هذه الأحرف المقطعة يذكر بعدها القرآن الكريم مباشرة إلا في مواضع يسيرة .(٢)

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٥] **قال -رحمه الله-** : يقول -تعالى ذِكْره- : وكان الكافر مُعيناً للشيطان على ربّه ، مظاهراً له على معصيته...وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله : ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ أي : وكان الكافر على ربه هيّناً ، من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألتفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه ، وكأنّ الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهور به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهوراً به . والقول الذي قلناه هو وجه الكلام، والمعنى الصحيح ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمّه إياهم ، وذمّ فعلهم ، دون الخبر عن

(١) جامع البيان (٥٢٦/٦) ، وتحقيق شاكر (١١/١٥) .

(٢) السور التي عقب فيها بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن هي : البقرة ، وآل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، وطه ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، والسجدة ، ويس ، وسورة ص ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، وسورة ق ، ولم يعقب بالقرآن ظاهراً في كل من : مريم والروم والقلم وذكر القرآن ضمن هذه السور ، ففي مريم ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤] ، وفي الروم : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الروم: ٥٨] ، وفي القلم : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم: ١٥] ، وقوله : ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القلم: ٤٤] -والله أعلم- ، وقد ذكر ابن القيم أن كل الحروف المقطعة أقسم بعدها أو ذكر بعدها القرآن غير سورتين هما : مريم والقلم . انظر بدائع التفسير (٤٩٩/٤) .

هواهم على ربهم ، ولمّا يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هواهم عليه." (١)

فلما كان السياق في ذكر عبادة الكفار من دون الله-عزّ وجلّ- ، في قوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ، كان الأولى في السياق : التعقيب بذم شركهم بالله -عزّ وجلّ- دون القول بأن معناه : الخبر بهوان الكافر على ربه ، فهذا لم يجر له ذكر في السياق ، ولو كان الحديث السابق عن كِبْرهم وعتوّهم ؛ لصحّ هذا القول . -والله أعلم -.

---

(١) جامع البيان (٩/٤٠٢) . وانظر بقية المواضع في البقرة (٦٦) ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ جامع البيان (١/٣٧٧) ، و(١١٨) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٦٠-٥٦١)،و(١٤٠) ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ الآية جامع البيان (١/٦٢٦-٦٢٧)، و(١٩٧) ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٧٠) ، و(٢٢٩) ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤٨٧) ، و(٢٣٩) ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ الآية جامع البيان (٢/٥٩٢) ، والنساء (٩٢) ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢١١) ، والمائدة (٢٨) ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ جامع البيان (٤/٥٣٣) ، والأنعام (٨٢) ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ جامع البيان (٥/٢٥١) ، و(١٣٩) ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٥٩) ، وإبراهيم (٧) ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٤٢٠) ، والطلاق (٦) ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٣٩) .

المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب في المعنى :

قد يعود الترجيح – طلباً لاتصال الكلام – على القريب دون البعيد : كما في قوله -تعالى- : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤] **قال -رحمه الله-** : " وأما قوله : ﴿ٱلنَّاسَ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى الله به : **فقال بعضهم** : عنى الله بذلك محمداً -ﷺ- خاصة...**وقال آخرون** : بل عَنَى الله به العربَ...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، فقال لهم في قيلهم للمشركين من عبدة الأوثان : إنهم أهدى من محمد وأصحابه سبيلاً – على علم منهم بأنهم في قيلهم ما قالوا من ذلك –كذبة : أتحسدون محمداً وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ما قبل قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ مضى بذمّ القائلين من اليهود للذين كفروا : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١]، فإلحاق قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ بذمهم على ذلك ، وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل : أشبه وأولى ،ما لم تأت دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك."[1].

فالأصل في الكلام الاتصال بما سبقه ، ما لم يدل دليل على انصرافه عنه ، وقد دلّ الدّليل هنا ، وهو الاستفهام الإنكاري والتوبيخي ، على أن الإنكار عائد على ما سبق [2]، وكلما أرجع الكلام على ما سبقه كان ذلك أولى ما وجد إليه سبيل .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨] **قال -رحمه الله-** : " وأما قوله : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ فإن معناه : فلا يصدّقوا بتوحيد الله ويقروا

---

(١) جامع البيان (٤/١٤١-١٤٣) ، وتحقيق شاكر (٨/٤٧٦) .

(٢) انظر صفحة (٦٦٠) .

بوحدانيته حتى يــروا العذاب الموجع...

واختلف أهل العربية في موضع : ﴿يُؤْمِنُوا﴾ :

فقال بعض نحويي البصرة: هو نصب؛ لأن جواب الأمر بالفاء ، أو يكون دعاء علـيهم إذ عصوا . وقد حُكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصب ، عطفاً على قولـه : ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ ، **وقال آخر منهم**، وهو قول نحويّ الكوفة : موضعه جزم، على الدعاء من موسى عليهم، بمعنى : فلا آمنوا...

وكان بعض نحويّي الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهم فلا يؤمنوا . قال : وإن شئت جعلتها جواباً لمسألته إياه ؛ لأن المسألة خرجت على لفظ الأمر، فتجعـل : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ في موضـع نصب على الجواب...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أنه في موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا . وإنما اخترت ذلك ؛ لأن ما قبله دعاء ، وذلك قوله : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فإلحاق قوله : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ إذ كان في سياق ذلك بمعناه : أشبهُ وأولى ." (١)

فلما كانت الجملة : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ في سياق دعاء موسى، فالأولى بها : أن تلحق بمعنى الدعاء ، ولا تلحق بما انفصل عنها من الخبر في قولـه : ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ ؛ لأن إلحاقها بما قرب أولى مما بعد .

وفي قوله –تعالى- : ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠﴾ [عبس: ٢٠] **قال –رحمه الله–** : " يقول : ثم يسّـره للسبيل ، يعني للطريق . واختلف أهل التأويل في السبيل الذي يسّره لها :

فقال بعضهم : هو خروجه من بطن أمه...**وقال آخرون** : بل معنى ذلك : طريـق الحـقّ والباطل، بيّنّاه له وأعلمناه ، وسهلنا له العمل به...

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن

---

(١) جامع البيان (٦٠٢/٦) ، وتحقيق شاكر (١٨٢/١٥) .

أمه يسّره . وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية ، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه ، وتدبيره جسمه ، وتصريفه إياه في الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده ." (١)

فـ ﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾ الذي يسره الله للإنسان ورد في سياق الحديث عن خلق الإنسان ، وتصريف الله له في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢] ، فالأولى أن يلحق بالحديث عن الخلق ، فيكون معنى ﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾ خروج الجنين من بطن أمه ، وأما تسهيل سلوك النجدين – الحق والباطل والخير والشر – فليس هذا المعنى هو القريب في هذا السياق –والله أعلم- .

---

(١) جامع البيان (٤٤٧/١٢-٤٤٨) . وانظر بقية المواضع في : آل عمران (١٧٩) ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٢٨/٣) ، والنساء (٩) ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ جامع البيان (٦١٤/٣) ، ويوسف (١٩) ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ الآية جامع البيان (١٦٧/٧) ، و(٨١) ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ جامع البيان (٢٧٣/٧) ، والرعد (١١) ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٢/٧-٣٥٨) ، وسبأ (٥١) ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ جامع البيان (٣٨٨/١٠) ، و(٥٤) ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/١٠) ، وفاطر (١٠) ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٨/١٠) ، والجن (١٠) ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ جامع البيان (٢٦٥/١٢-٢٦٦) ، والمدثر (٦) ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ جامع البيان (٣٠٣/١٢) ، والليل (٦) ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ جامع البيان (٦١٣/١٢) ، و(٩) ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ جامع البيان (٦١٤/١٢).

المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه :

لقد اعتمد الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسيره جامع البيان على السياق ابتداء، واعتمد عليه حال الخلاف والإيهام ، ولكن قد يندّ عن ذلك شيء يسير ، ومنه هذه الأمثلة :

ففي قوله –تعالى– : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣] **قال –رحمه الله–** : في قوله : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ " وهذا خبر من الله – جلّ ثناؤه – عما تقول رسل الله ، التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها ، يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تثابون على كفركم بالله ، وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ، و لم يوح إليكم شيئاً ، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً ، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته ، ﴿عَذَابَ الْهُونِ ﴾ وهو عذاب جهنم ، الذي يهينهم فيذلهم ، حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلّتها ." (١)

فقد ذكر الإمام الطبري –رحمه الله– أن عذاب النار سيقع عليهم ، و لم ينص على أنه عذاب القبر ، ينزل بالكافر أول ما تخرج روحه ، بل ذكر عذاباً عاماً ، يوهم أنه العذاب الأخروي ، يوم البعث والنشور ، والأولى تحديد بداية العذاب البرزخي بعد خروج الروح .

قال ابن القيم –رحمه الله– : " وهذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون : أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ ." (٢) .

والمراد أن هذا العذاب الواقع على الكفار في هذه الآية : حال تمام خروج الروح إلى دار

---

(١) جامع البيان (٥/٢٧١) ، وتحقيق شاكر (١١/٥٤٠) .

(٢) بدائع التفسير (٢/١٦٦) ، جمع يسري السيد محمد .

البرزخ قبل اليوم الآخر ، ولا مانع من دخول ما بعده . -والله أعلم- .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ [التين: ٥] **قال -رحمه الله-** : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : **فقال بعضهم** : معنى ذلك : ثم رددناه إلى أرذل العمر... **وقال آخرون** : بل معنى ذلك : ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة...

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخَرْفَى ، الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبر، فهو في أسفل من سفل : في إدبار العمر وذهاب العقل . وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله -تعالى ذِكْره- ، أخبر عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال ، احتجاجاً بذلك على مُنكري قُدرته على البعث بعد الموت ، ألا ترى أنه يقول: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ [التين: ٧] يعني : هذه الحُجَج . ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين . وإنما الحجة على كلّ قوم بما لا يقدرون على دفعه ، مما يعاينونه ويحسّونه ، أو يقرّون به وإن لم يكونوا له مُحِسّين . وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة مُنكرين ، وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين ، عُلِم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين ، من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد ، إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر وحدوث الخَرَف"(١).

(١) جامع البيان (٦٣٧/١٢-٦٣٩) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٤٦) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾الآية جامع البيان (٦٥/٣) ، والأعراف(١٨٧) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية جامع البيان (١٣٦/٦) ، والأنفال (٢٤)﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢١٥/٦) ، و(٦٠) ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾الآية جامع البيان (٢٧٧/٦) ، والتوبة (٣٠) ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾الآية جامع البيان (٣٥٢/٦) ، وطه (٦٢) ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ ﴾ جامع البيان (٤٢٩/٨) ، والصافات (١٠٧) ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ ﴾ جامع البيان (٥١٤/١٠-٥١٥) ، وسورة ص (٥٨) ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ ﴾ جامع

وهذا الموضع –كما سبق– فيه قولان للمفسرين ، ولكل من القولين نوع استدلال بالسياق ، ولكل وجهٍ حظٌّ من النظر ، ومن أدلة القائلين بأن المقصود بقوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ النار ، قرب معناه من قوله –تعالى– : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "ومما يبين ذلك قوله ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ فإنه يقتضي ارتباط هذا بما قبله ؛ لذكره بحرف الفاء ، ولو كان المذكور إنما هو رده إلى الهرم دون ما بعد الموت ، لم يكن هناك تعرض للدين والجزاء ، بخلاف ما إذا كان المذكور أنه بعد الموت يرد إلى أسفل سافلين غير المؤمن المصلح ، فإن هذا يتضمن الخبر بأن الله يدين العباد بعد الموت ، فيكرم المؤمنين ويهين الكافرين ، وأيضاً : فإنه سبحانه أقسم على ذلك بأقسام عظيمة : بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين...وهذا الإقسام لا يكون على مجرد الهرم ، الذي يعرفه كل أحد ، بل على الأمور الغائبة ، التي تؤكد بالأقسام ، فإن أقسام الله هو على أنباء الغيب.."[(١)]

هذا عرض مقتضب لمواضع مناسبة من الاستدلال بالسياق على ترجيح قول أو تضعيفه ، ولا يتسع عرض جميع المواضع ودراستها ومقارنتها ،ولكن المراد توضيح شيء من تصوير أهمية دلالات السياق –والحمد لله رب العالمين –.

=

البيان (١٠/٥٩٩) ، والزمر (٥٣) ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٦-١٧) ، وغافر (٦٠) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٧٣) .

(١) دقائق التفسير ، (٥/١٥٥-١٥٦) .

الخاتمة :

من خلال دراسة موضوع دلالة السياق نظرياً على سبيل العموم ، ومن خلال التطبيق عليه في تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري –رحمه الله– على سبيل الخصوص ، ظهرت فوائد كثيرة منها:

تعريف السياق فهو: بيان اللفظ بما لا يخرجه عن الكلام السابق واللاحق .

والسياق نوعان :سابق للموضع الذي يراد تفسيره ، ومتأخر يأتي بعده ، فالأول : يسمى سباقاً ، والثاني : يسمى لحاقاً ، وقد يجتمعان وقد ينفردان .

الاهتمام بالسياق منهج مأثور : ورُوي مرفوعاً عند الترمذي في تفسير سورة المؤمنون .

وقد سلك هذا المنهج المفسرون من الصحابة كعلي وابن عباس –رضي الله عنهم–، والتابعون كسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ومن بعدهم ، وهو شرط مهم في صحة التفسير .

ومن أقدم من نقل عنه الحث على لزوم السياق:مسلم بن يسار–رحمه الله– ت١٠٠هـ ، حيث يقول:"إذا حَدَّثتَ عن الله فَقِفْ حتى تنظر ما قبله وما بعده ".

وأقدم من توسع في السياق تنظيراً وتقعيداً : سلطان العلماء العز بن عبد السلام –رحمه الله– .

وأما أقدم من توسع في تطبيق دلالة السياق في التفسير فهو إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ، وقد كانت هذه الرسالة قائمة على توضيح مسلكه وبيان منهجه .

إن دلالة السياق تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن ، وهذه الطريق أصح طرق تفسير القرآن بالقرآن وأقواها في الجملة ؛ لكونها في محل واحد ، وأولى ما تفسر به الآية ما كان في سياق السورة .

من قواعد السياق المهمة :

الكلام على اتصاله ما لم يدل دليل على انقطاعه ، وهذه القاعدة أساس في دلالة السياق ، ويرجع لها في أكثر المواضع .

تدبّر أول الآية أو آخرها معين على معرفة معنى ابتدائها أو ختامها .

الأولى أن تحمل معاني الآيات اللاحقة على معاني جديدة دون تكرار المعاني بلا فائدة .

يختار من المعاني ما يلائم السياق دون ما يناقضه أو يقلل من فصاحته .

يراعى من المعاني : الظاهر من الخطاب ولا يتجاوز إلى غيره إلا بدليل .

والاعتناء بهذه القواعد وأمثالها له آثار كثيرة من أهمها :

الاختيار بين القراءات ، دون إخلال بمترلة القراءة الصحيحة ، التي لم يظهر أو يترجح معناها للمفسر .

تحديد أو ترجيح ما يناسب السياق من أسباب الترول ، دون ما يناقضه .

إظهار المناسبات بين مقاطع السورة والآيات والجمل والكلمات ، له الأثر الواضح في إبراز محور السورة في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة .

توضيح المعاني من الآيات والجمل والكلمات على أساس صحيح ومسلك قويم حين نهتمّ بمراعاة السياق .

مراعاة السياق لها أثر في عبارة المفسر حيث يذكر المتعلق القريب في السياق ، لما حذف متعلقه لعمومه ولا ينفي ذلك العموم –كما سبق بيانه–.

يدل السياق في بعض المواضع على وجود حذف في الكلام ، ويساعد السياق في تقدير محذوف مناسب .

وكذلك يدل السياق على الوصول إلى الصحيح من الناسخ أو المنسوخ .

يدل السياق على وجود تقديم في الكلام أو تأخير .

وللسياق أثر مهم في الوصول إلى الترجيح بين الأقوال قبولاً أو رداً ، وتقديماً بين الأقوال أو تأخيراً .

ومع كل هذا فإن القرآن قد يحتمل بعض المعاني ولا يفصل السياق فيها وحده ، أو قد يوجد سياقات في بعض المواضع يتنازع فيها السباق واللحاق في توضيح الموضع التي يراد تفسيره ، ويبقى لدلائل أخرى كثيرة نصيب من فهم النص ، كالسنة النبوية ، والإجماع ، وأسباب الترول ، وأقوال الصحابة والتابعين ، واللغة ، والإعراب ، وغيرها .

هذا وأسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهـــارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات الواردة في صلب الكتاب دون الحواشي

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الفاتحة	١ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	٢٤٦
الفاتحة	٢ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٤٦-٣٧٣-٥٢٤-٥٢٥
الفاتحة	٢-٣ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٨٢
الفاتحة	٢-٥ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٨٢
الفاتحة	٣ ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	٢٤٦
الفاتحة	٤ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٣٥٦-٣٨٢
الفاتحة	٥ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٢٥٦-٣٧٣-٥٢٤-٥٢٥
الفاتحة	٧ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	١٣٨
البقرة	١ ﴿الم﴾	٧٧
البقرة	٣ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	٦٥٠
البقرة	٤ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٦٥٠
البقرة	٦ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٢٨٠-٤٠٤
البقرة	٨ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٢٨٠
البقرة	٨-٩ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٢٩٨
البقرة	٩ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٣٨٥
البقرة	١٠ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾	٢٩٨
البقرة	١١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	٢٨٥
البقرة	١٤ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾	٣٠٠
البقرة	١٧ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	٥١١
البقرة	١٩ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾	٢١٥
البقرة	٢١ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٤٨٧
البقرة	٢٦-٢٧ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	٢١٥
البقرة	٢٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾	٢١٦
البقرة	٢٧ ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾	١٢٠-٢١٥-٢٨٠-٢٨١
البقرة	٢٨ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾	٢٢٣

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
آل عمران	٨٦ ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق﴾	٣٣٩
آل عمران	٩١ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض﴾	٥١٢
آل عمران	١٠٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾	٦١٢-٤
آل عمران	١٠٦ ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾	٦١٣-٤٢٨
آل عمران	١١٠ ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾	١٩٦
آل عمران	١١٣-١١٥ ﴿ليسوا سواء﴾	١٩٧
آل عمران	١١٣ ﴿ليسوا سواء﴾	١٩٦
آل عمران	١٢٣ ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾	١٧٢
آل عمران	١٢٧ ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾	١٧٢-١٥٤
آل عمران	١٢٨ ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾	١٥٤
آل عمران	١٣٠ ﴿لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾	٧٢
آل عمران	١٤٠ ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾	٥٣٤-٢٦٤
آل عمران	١٤٧ ﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾	٢٦٥
آل عمران	١٤٨ ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾	٢٦٥
آل عمران	١٥٤ ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة﴾	٤٥٧
آل عمران	١٧٣ ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا﴾	٧٧
آل عمران	١٧٩ ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾	٢٣٥
آل عمران	١٨٠ ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم﴾	١٨٥
آل عمران	١٨٧ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾	٣٦١
آل عمران	١٩٤ ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة﴾	١٠٣
آل عمران	١٩٥ ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾	١٠٣
النساء	١ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾	٤
النساء	٣ ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا﴾	١٢١-٨٩-٧٩-٧٣
النساء	٦ ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾	٣٨٨
النساء	١٠ ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾	٦٧
النساء	١١ ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾	٥١٧-١٢٤-٧١
النساء	١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾	٢٢٩

السورة	رقم الآية وأولها	رقم الصفحة
الأنعام	٣٢ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾	٤٤٢
الأنعام	٣٧ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	٤٢٢
الأنعام	٣٨ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٤٢١
الأنعام	٤٢-٤٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾	٣٠٣
الأنعام	٤٤ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾	٢١٥-٣٠٢
الأنعام	٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾	٤١٠
الأنعام	٥٤ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾	١٦٤-٥١٠
الأنعام	٦٣ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	١٠٦
الأنعام	٦٣-٦٤ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾	٢٨٢
الأنعام	٦٤-٦٥ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	٤٤٢
الأنعام	٦٤ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	٢٢١-٤٤٣
الأنعام	٦٥ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾	٤٤٣
الأنعام	٦٦ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾	١٠٦
الأنعام	٧٣ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾	٤٤٣
الأنعام	٧٤ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾	١٢٤
الأنعام	٧٥ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾	٤٤٣
الأنعام	٨٣ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾	١٧٩
الأنعام	٨٤ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾	١٧٧
الأنعام	٨٩ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾	١٦٣
الأنعام	٩١ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾	١٥٧-٢٢٠-٢٢١
الأنعام	٩٣ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾	٢٨٦
الأنعام	٩٥ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾	٤٤٣
الأنعام	١٢١ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾	٧٢-٤٢٥
الأنعام	١٢٢ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾	٤٢٤
الأنعام	١٢٨ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾	٤٤٣
الأنعام	١٣٧ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ	٤٤٣
الأنعام	١٣٨ ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾	٤٤٣

فهرس الأحاديث الواردة في صلب الكتاب دون الحواشي

فهرس الأعلام الواردة في صلب الكتاب دون الحواشي

(ب)

(ط)

(م)

(ن)

(هـــ)

فهرس المراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا :

١ - الإبانة عن معاني القراءات ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى ٤٣٧هـ ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، طبع مكتبة نهضة مصر ، بدون تاريخ .

٢ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، المسمى : منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات ، لأحمد بن محمد البنا الدمياطي ، المتوفى ١١١٧هـ ، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل ، الطبعة الأولى ، لدار عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧هـ .

٣ - الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، تقديم وتعليق : الدكتور مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثانية لدار ابن كثير ١٤١٤هـ .

٤ - أحكام القرآن ، لأبي بكر الجصاص ، المتوفى ٣٧٠هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، الطبعة الثانية ، لدار المصحف بالقاهرة ، بدون تاريخ .

٥ - أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ، المتوفى ٥٤٣هـ ، تحقيق محمد علي البجادي ، طبعة الحلبي ١٣٨٨هـ.

٦ - آداب الزفاف ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ .

٧ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، محمد بن محمد ابن مصطفى ، العماد الحنفي، المتوفى ٩٨٢هـ ، تحقيق عبد القادر عطا .

٨ - أسباب النزول ، للواحدي ، تحقيق عصام الحميدان ، الطبعة الأولى ، لدار الإصلاح بالدمام ، ١٤١١هـ.

٩ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري ، المتوفى ٦٣٠هـ ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبد الوهاب فايد ، طبع دار الشعب .

١٠ - الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي ، المتوفى ٦٧١هـ، ضبط : الدكتور محمد حسن جبل ، تخريج : طارق أحمد محمد ، تقديم : مجدي فتحي السيد ، الطبعة الأولى ، لدار الصحابة بطنطا ١٤١٦هـ .

١١ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ، طبع دار الكتب العلمية ، مصورة عن طبعة كلكتا ١٨٥٣م .

١٢ - أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله للدكتور عياض بن نامي السلمي ، الطبعة الثالثة لدار التدمرية ، ١٤٢٩هـ .

١٣ - الأصول من علم الأصول ، للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ، الطبعة الثالثة ، لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ .

١٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المالكي ، المتوفى ١٣٩٣هـ ، بعناية صلاح الدين العلايلي ، الطبعة الأولى ، لدار إحياء التراث العربي ١٤١٧هـ .

١٥ - الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ .
١٦ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لأبي بكر محمد بن أبي بكر ابن القيم ، المتوفى ٧٥١هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة الحلبي ١٣٨١هـ .
١٧ - الإكليل في استنباط التتريل ، لجلال الدين السيوطي تحقيق : سيف الدين عبد القادر الكاتب ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠١هـ .
١٨ - الإمام الطبري ، لعبد الله بن عبد العزيز المصلح آل شاكر ، إشراف الشيخ مناع القطان ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بدون تاريخ .
١٩ - الإمام في بيان أدلة الأحكام ، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي المتوفى ٦٦٠هـ ، تحقيق : رضوان مختار بن غربية ، الطبعة الأولى ، لدار البشائر الإسلامية ١٤٠٧هـ .
٢٠ - إنباه الرواة على أنباء النحاة ، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، المتوفى ٦٤٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ .
٢١ - الأنساب ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، المتوفى ٥٦٢هـ ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى لدار الجنان ببيروت ١٤٠٨هـ .
٢٢ - الأنساب المتفقة ، لأبي الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني ، المتوفى ٥٠٧هـ ، تحقيق d.p. dejong .
٢٣ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، للدكتور : فهد بن عبد الرحمن الرومي ، طبع ١٤٠٧هـ .
٢٤ - الاختلاف بين القراءات ، لأحمد البيلي ، طبع دار الجيل ، بيروت ، الدار السودانية الخرطوم ١٩٨٨م .
٢٥ - البحر المحيط في أصول الفقه ، لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، المتوفى ٧٩٤هـ، تحرير الدكتور : عبد الستار أبو غدة ، مراجعة الشيخ عبد القادر العاني ، طبع وزارة الشئون الإسلامية بالكويت.
٢٦ - بدائع التفسير ، الجامع لتفسير محمد بن أبي بكر ابن القيم ، المتوفى ٧٥١هـ ، جمع يسري السيد محمد، الطبعة الأولى لدار ابن الجوزي ١٤١٤هـ .
٢٧ - بدائع الفوائد ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي ، المتوفى ٧٥١هـ ، طبع دار الكتاب العربي .
٢٨ - البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى ٧٧٤هـ ، طبعة دار الفكر ١٣٩٨هـ .
٢٩ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، المتوفى ١٢٥٠هـ ، ومعه : ملحق البدر الطالع ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة ، الطبعة الأولى لمطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨هـ .
٣٠ - البرهان في توجيه متشابه القرآن ، لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني ، المتوفى خمسمائة تقريباً ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبع دار الكتب العلمية ١٩٨٦م .

٣١ - البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، المتوفى ٧٩٤ هـ ، تحقيق الدكتور: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، والشيخ جمال حمدي الذهبي ، وإبراهيم الكردي ، الطبعة الثانية لدار المعرفة ١٤١٥هـ .

٣٢ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، طبع المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ .

٣٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة الحلبي الأولى ١٣٨٤هـ .

٣٤ - تاج التراجم ، لأبي الفداء قاسم بن قطلوبا السودوني ، المتوفى ٨٧٩هـ ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى لدار القلم ١٤١٣هـ .

٣٥ - تاج العروس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، المتوفى ١٢٠٥هـ ، طبع المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ .

٣٦ - التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي ، المتوفى ١٣٠٧هـ ، تصحيح الدكتور : عبد الحكيم شرف الدين ، الطبعة الثانية للمطبعة الهندية العربية ١٣٨٢هـ .

٣٧ - تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ،المتوفى ١٩٥٦م طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٧م .

٣٨ - تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى ٣١٠هـ ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ .

٣٩ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ طبعة دار الكتاب العربي ببيروت

٤٠ - التبيان في أقسام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي ، المتوفى ٧٥١هـ، تعليق : فواز أحمد زمرلي ، الطبعة الأولى لدار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ .

٤١ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلى عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الطبعة الثانية لمطبعة الاعتماد نشر مؤسسة قرطبة ١٤٠٦هـ .

٤٢ - تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل للدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان طبع مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٥هـ .

٤٣ - تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة لمكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٧هـ

٤٤ - ترتيب القاموس المحيط تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ، طبعة الحلبي الثانية .

٤٥ - التسهيل لعلوم التنزيل ، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، المتوفى ٧٤١هـ ، الطبعة الأولى للمكتبة التجارية ١٣٥٥هـ .

٤٦ - التصاريف ليحيى بن سلام ، المتوفى ٢٠٠هـ ، تحقيق : هند شلبي ، نشر الشركة الوطنية للتوزيع .

٤٧ - التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، لعودة خليل أبو عودة ، طبع مكتبة المنار بالأردن

٤٨ - تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢هـ ، تحقيق عبد الله هاشم يماني ، طبع دار المحاسن بمصر ١٣٨٦ هـ .

٤٩ - تعظيم قدر الصلاة ، لمحمد بن نصر المروزي ، المتوفى ٢٩٤هـ ، تحقيق الدكتور : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، الطبعة الأولى لمكتبة الدار بالمدينة ١٤٠٦هـ .
٥٠ - تعليم علم الأصول ، للدكتور نور الدين الخادمي ، طبعة أولى ١٤٢٣هـ ، نشر مكتبة العبيكان .
٥١ - تفسير آيات أشكلت ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، رسالة ماجستير تحقيق الشيخ : عبد العزيز بن محمد الخليفة طبع الرشد ١٤١٧هـ .
٥٢ - تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر ابن عاشور ، طبع الدار التونسية ١٩٨٤م .
٥٣ - تفسير الجلالين ، لجلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، طبع دار الشعب .
٥٤ - تفسير السمرقندي ، تحقيق علي محمد معوض ، وعادل أحمد ، وزكريا النوتي ، طبع دار الكتب العلمية.
٥٥ - تفسير القرآن ، لأبي المظفر السمعاني ، المتوفى ٤٨٩هـ ، طبع دار الوطن .
٥٦ - تفسير القرآن ، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، المتوفى ٢١١هـ ، تحقيق الدكتور : مصطفى مسلم محمد ، الطبعة الأولى لمكتبة الرشد ١٤١٠هـ .
٥٧ - تفسير القرآن الحكيم ، المشهور ب"تفسير المنار" ، لمحمد رشيد رضا ، المتوفى ١٣٥٤هـ ، الطبعة الرابعة لدار المنار ١٣٧٣هـ .
٥٨ - تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى ٧٧٤هـ ، طبع دار الشعب ، والطبعة الثانية لدار عالم الكتب ، ومؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ .
٥٩ - تفسير النسائي ، تحقيق صبري الشافعي ، وسيدي عثمان الجليمي ، الطبعة الأولى لمؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٠هـ .
٦٠ - تفسير غريب القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، طبعة الحلبي ١٣٧٨هـ .
٦١ - تفسير غريب القرآن ، لسراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد النحوي الشافعي ، المعروف بابن الملقّن ، المتوفى ٨٠٤هـ ، تحقيق : سمير طه المجذوب ، الطبعة الأولى لعالم الكتب ١٤٠٨هـ.
٦٢ - تفسير كتاب الله العزيز ، لهود بن المحكّم الهوّاري ، تحقيق : بالحاج بن سعيد شريفي .
٦٣ - التفسير والمفسرون ، لمحمد حسين الذهبي ، دار إحياء التراث العربي .
٦٤ - التفسير ورجاله ،للدكتور : محمد الفاضل بن عاشور ، الطبعة الثانية لدار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٢م .
٦٥ - تقريب التهذيب ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا .
٦٦ - التلخيص للمستدرك ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، مع المستدرك على الصحيحين للحاكم ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ببروت .
٦٧ - تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، المتوفى ٦٧٦هـ ، طبع دار الكتب العلمية .

٦٨ - تهذيب التهذيب ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتـوفى ٨٥٢هـ ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، وعادل مرشد ، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ .

٦٩ - تهذيب الكمال ، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي ، المتوفى ٧٤٢هـ طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٠-١٩٩٢م .

٧٠ - تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، المتوفى ٣٧٠هـ ، تحقيق : عبد العظيم محمد النجار، ومحمد علي النجار ، طبع الدار المصرية .

٧١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المتوفى ١٣٧٦هـ ، عناية الدكتور : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ .

٧٢ - جامع البيان عن تأويل القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ ، تحقيق الشيخين : أحمد ومحمود شاكر ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر .

٧٣ - الجامع الصحيح "سنن الترمذي" ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي ، المتـوفى ٢٧٩هـ ، تحقيق وشرح : الشيخ أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ .

٧٤ - الجامع الصحيح ، المشهور بصحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى لدار الحديث بالقاهرة ١٤١٢هـ

٧٥ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه ، المشهور بصحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى ٢٥٦هـ طبع دار السلام .

٧٦ - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المالكي ، المتوفى ٦٧١هـ ، طبع دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ .

٧٧ - جمال القراء ، لعلم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور : علي حسين البواب ، الطبعة الأولى لمكتبة التراث بمكة ١٤٠٨ هـ .

٧٨ - جمهرة اللغة ، لابن دريد ، المتوفى ٣٢١هـ ، الطبعة الأولى لمكتبة المثنى ببغداد ١٣٤٥هـ ، مصورة عن طبعة دار المعارف .

٧٩ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، لأبي محمد عبد القادر بن نصر الله الحنفي ، المتوفى ٧٧٥هـ ، طبع عام ١٣٣٢هـ .

٨٠ - حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، المتوفى ٧١٥ هـ ، طبع دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية لدار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ .

٨١ - حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، للشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، المتـوفى ١٣٩٢هـ، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .

٨٢ - حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ، لطاشكبري زاده أحمد بن مصطفى ، المتوفى ٩٦٨هـ ، طبع دار صادر .

٨٣ - حاشية مقدمة التفسير ، للشيخ :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المتـوفى ١٣٩٢هـ ،الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٨٤ – حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، الطبعة الثالثة لمؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ .
٨٥ – الحجة في القراءات ، لابن خالويه ، تحقيق الدكتور : عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الرابعة لدار الشروق ١٤٠١هـ .
٨٦ – الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق : علي النجدي ، والدكتور : عبد الفتاح شلبي ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ .
٨٧ – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٧هـ .
٨٨ – حكم الجاهلية ، وهو مجموع مقالات الشيخ : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى للمكتبة السنية ١٤١٢هـ .
٨٩ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، المتوفى ٤٣٠هـ ، الطبعة الخامسة لدار الريان ودار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ .
٩٠ – خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي اليمني، المتوفى ٩٢٣هـ ، وعليه : إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة ، لعلي ابن صلاح الكوكباني الصنعاني ، المتوفى ١١٩١هـ، تقديم وعناية : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الرابعة لمكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤١١هـ .
٩١ – دائرة المعارف ، للبستاني ، بيروت ١٩٥٦م .
٩٢ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ ، طبع .
٩٣ – دراسة الطبري للمعنى ، للأستاذ محمد المالكي ، طبع وزارة أوقاف المغرب ١٤١٧هـ .
٩٤ – درّة الحجال في أسماء الرجال ، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي المتوفى ١٠٢٥هـ، وهو ذيل وفيات الأعيان لابن خلّكان ، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور ، الطبعة الأولى لدار التراث بالقاهرة ١٣٩٠هـ .
٩٥ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
٩٦ – دفاع عن القراءات ، للدكتور لبيب السعيد ، طبعة دار المعارف .
٩٧ – دقائق التفسير ، جمع لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الدكتور : محمد السيد الجليند .
٩٨ – دول الإسلام ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ ، طبعة دار المعارف العثمانية الثانية ١٣٦٤هـ .
٩٩ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المالكي ، المتوفى ٧٩٩هـ ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث بالقاهرة .
١٠٠ – ديوان ابن دريد ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى ٣٢١هـ ، جمع : محمد العلوي ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ١٣٦٥هـ .
١٠١ – الرسالة ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، المتوفى ٢٠٤هـ ، تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر .

١٠٢ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، لمحمد بن جعفر الكتاني ، المتوفى ١٣٤٥هـ ، تحقيق: محمد المنتصر ، ومحمد الزمزمي الكتاني ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ لدار البشائر الإسلامية بيروت .
١٠٣ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل محمود الآلوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ، تصحيح محمد حسين العرب ، طبع دار الفكر ١٤١٤هـ .
١٠٤ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الخوانساري ، طبع ١٣٥٧هـ .
١٠٥ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، للشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ، طبع مكتبة المعارف ١٤١٥هـ .
١٠٦ سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى ٢٧٥هـ ، ومعه : معالم السنن، للخطابي ، إعداد وتعليق : عزّت عبيد الدعّاس ، وعادل السيد ، الطبعة الأولى لدار الحديث بيروت ١٣٩٣هـ .
١٠٧ سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه ، المتوفى ٢٧٣هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي .
١٠٨ سنن الدارمي ، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي ، المتوفى ٢٥٥هـ ، تحقيق : فواز زمرلي وخالد السبع ، طبع دار الكتاب ١٤٠٧هـ .
١٠٩ سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ الطبعة الثامنة لمؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ .
١١٠ السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، المتوفى ٢١٣هـ ، طبعة الحلبي ١٣٥٥هـ .
١١١ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دراسة تحليلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد ، الطبعة الأولى لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٢هـ .
١١٢ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ، الطبعة الأولى لدار الكتب العربية والمطبعة السلفية ١٣٤٩هـ .
١١٣ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩هـ ، طبع دار الميسرة الثانية ١٣٩٩هـ .
١١٤ شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، تخريج وعناية : سعد بن فواز الصميل، الطبعة الرابعة لدار ابن الجوزي ١٤١٧هـ .
١١٥ شرح الكوكب المنير ، المسمى مختصر التحرير ، أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، المعروف بابن النجار ، تحقيق : الدكتور محمد الزحيلي ، والدكتور نزيه حماد ، طبع مكتبة العبيكان ١٤١٣هـ .
١١٦ شعب الإيمان للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، طبع دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ .
١١٧ الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ، المتوفى ٧٢٨هـ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى لمطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩هـ .

١١٨ الصحاح ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، المتوفى ٤٠٠ تقريبا ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا، طبع دار الكتاب العربي بمصر .
١١٩ صحيح ابن حبان بترتيب أبي بلبان ، لمحمد بن حبان أبو حاتم البستي المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق شعيب الأرناؤوط طبعة ثانية لمؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ .
١٢٠ صحيح الجامع الصغير ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة للمكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ .
١٢١ صحيح سنن الترمذي ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج .
١٢٢ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفى ٩٠٢هـ ، نشر مكتبة الحياة بيروت .
١٢٣ الطبري ومنهجه في التفسير ، للدكتور محمود بن الشريف ، الطبعة الأولى لمكتبات عكاظ ١٤٠٤هـ.
١٢٤ طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المشهور بجلجل المتوفى ٣٧٧هـ تحقيق فؤاد سيد مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٥٥م
١٢٥ طبقات السنية في تراجم الحنفية ، لتقي الدين عبد القادر التميمي الحنفي ، المتوفى ١٠٠٥أو ١٠١٠هـ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، طبع دار الرفاعي ١٤٠٣هـ .
١٢٦ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، المتوفى ٧٧١ هـ ، طبعة الحلبي الأولى ، تحقيق محمد الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو
١٢٧ طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي المتوفى ٧٧٢هـ تحقيق عبد الله الجبوري مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩١هـ
١٢٨ الطبقات الكبرى،لمحمد بن سعد بن منيع البصري كاتب الواقدي المتوفى٢٣٠هـ طبع دار صادر .
١٢٩ طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي طبع دار الكتب العلمية .
١٣٠ طبقات المفسرين لمحمد بن حلي بن أحمد الداوودي المتوفى ٩٤٥هـ ، تحقيق علي محمد عمر ، الطبعة الأولى لدار الكتب ١٣٩٢هـ .
١٣١ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ٣٧٩هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف بمصر .
١٣٢ علل الحديث ، لأبي محمد عبد الرحمن بن الإمام أبي حاتم محمد بن إدريس ، المتوفى ٣٢٧هـ ، طبع مكتبة المثنى ببغداد ١٣٤٣هـ .
١٣٣ علم الدلالة ، لبيير جيرو ، ترجمه عن الفرنسية الدكتور : منذر عياشي ، طبع دار طلاس بدمشق ١٩٩٢م .
١٣٤ علماء ومفكرون عرفتهم ، لمحمد المجذوب ، الطبعة الثانية لعالم المعرفة ١٤٠٣هـ .
١٣٥ غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، المتوفى ٨٣٣هـ ، عني بنشره : ج. برجستراسر ، الطبعة الثالثة لدار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ .
١٣٦ الفائق في غريب الحديث ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى٥٣٨هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجادي ، طبعة الحلبي .

١٣٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- طبع دار الفكر .

١٣٨ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ ، طبع دار المعرفة ببيروت .

١٣٩ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، لعبد الله مصطفى المراغي ، نشر محمد علي عثمان ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ .

١٤٠ الفهرست ، لمحمد بن إسحاق ابن النديم ، المتوفى ٣٨٥هـ ، تحقيق : رضا تجدد .

١٤١ فوات الوفيات ، لمحمد شاكر أحمد الكتبي ، المتوفى ٧٦٤هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر .

١٤٢ في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، المتوفى ١٣٨٨ هـ ، طبعة الحلبي الأولى .

١٤٣ في علم الدلالة ، للدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل ، طبع دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م .

١٤٤ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد المدعو عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ، توزيع دار إحياء السنة النبوية .

١٤٥ القطع والائتناف ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : الدكتور أحمد خطاب العمر ، الطبعة الأولى لمطبعة العاني ببغداد ١٣٩٨هـ .

١٤٦ قواعد الترجيح عند المفسرين ، للدكتور : حسين بن علي الحربي ، الطبعة الأولى لدار القاسم ١٤١٧هـ وهي في الأصل رسالة ماجستير.

١٤٧ القواعد الحسان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المتوفى ١٣٧٦هـ ، طبع مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٠هـ .

١٤٨ القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين ، جمع وتخريج الدكتور : سليمان أبا الخيل ، والدكتور : خالد المشيقح ، الطبعة الأولى لدار ابن الجوزي ١٤١٨هـ .

١٤٩ الكافية الشافية ، المشهورة بالقصيدة النونية ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، المتوفى ٧٥١هـ ، مع شرحها ، للدكتور : محمد خليل هراس ، طبع مكتبة ابن تيمية ١٤٠٧هـ .

١٥٠ الكامل في التاريخ ، لابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ ، الطبعة الخامسة دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ .

١٥١ كتاب التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى ٢٥٦هـ ، طبع مكتبة الإسلام محمد أزدمير تركيا .

١٥٢ كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، لشرف الدين سين بن محمد الطيبي ، تحقيق الدكتور: هادي عطية مطر الهلالي ، الطبعة الأولى لعالم الكتب ١٤٠٧هـ .

١٥٣ كتاب التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني ، المتوفى ٨١٦هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الطبعة الرابعة لدار الكتاب العربي ١٤١٨هـ .

١٥٤ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب -عز وجل - ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، المتوفى ٣١١هـ ، تحقيق الدكتور : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، طبع دار الرشد ١٤٠٨هـ .

١٥٥ كتاب الثقات ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ، المتوفى ٣٥٤هـ ، الطبعة الأولى لمؤسسة الكتب الثقافية دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد

١٥٦ كتاب الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، المتوفى ٣٢٧هـ ، الطبعة الأولى لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند ١٣٧٢هـ تصوير دار إحياء التراث العربي .

١٥٧ كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ٥٩٧هـ، تصحيح محمد حامد الفقي ١٣٧٢هـ ، مطبعة السنة المحمدية .

١٥٨ كتاب السبعة لأحمد بن موسى بن مجاهد أبو بكر ، تحقيق شوقي ضيف ، الطبعة الثانية لدار المعارف ١٤٠٠هـ .

١٥٩ كتاب السنة ، لعمرو بن أبي عاصم الضحاك ، المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ .

١٦٠ كتاب السنة ، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، المتوفى ٢٩٠هـ ، تحقيق الدكتور : محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ، الطبعة الأولى لدار ابن القيم ١٤٠٦هـ .

١٦١ كتاب العرش ، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة ، دراسة وتحقيق الدكتور : محمد خليفة التميمي ، الطبعة الأولى لمكتبة الرشد ١٤١٨هـ .

١٦٢ كتاب العظمة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني ، المتوفى ٣٦٩هـ ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، الطبعة الأولى لدار العاصمة بالرياض ١٤٠٨هـ .

١٦٣ كتاب الكشف في القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى ٤٣٧هـ ، تحقيق: محي الدين رمضان ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق .

١٦٤ كتاب المقفّى الكبير ، لتقيّ الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، المتوفى ٨٤٥هـ ، تحقيق : محمد البعلاوي ، الطبعة الأولى لدار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١١هـ .

١٦٥ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى ٥٣٨هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، ومعه : حاشية الشريف الحسيني ، والإنصاف، لابن المنير ، طبعة الحلبي ١٣٩٢هـ .

١٦٦ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، المتوفى ١١٦٢هـ ، تعليق أحمد القلاش ، الطبعة الثالثة لمؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ .

١٦٧ الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، المتوفى ٤٣٧هـ ، تحقيق : محيي الدين رمضان طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ .

١٦٨ الكليات ، وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، المتوفى ١٠٩٤هـ ، مقابلة : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ .

١٦٩ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، المتوفى ٧١١هـ ، طبع دار صادر .

١٧٠ لسان الميزان ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى ٨٥٢هـ ، طبع دار الكتاب الإسلامي ، مصور عن الطبعة الأولى لدار المعارف بحيدر أباد ، ١٣٣١ هـ .
١٧١ مباحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور مصطفى مسلم محمد ، الطبعة الأولى لدار القلم ١٤١٠هـ .
١٧٢ مباحث في علوم القرآن ، لمناع خليل القطان ، الطبعة الأولى المجددة لمكتبة المعارف ١٤١٣هـ .
١٧٣ المبسوط في القراءات العشر ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، المتوفى ٣٨١هـ ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، الطبعة الثانية لدار القبلة بالمملكة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت ١٤٠٨هـ .
١٧٤ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفى ٨٠٧هـ ، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ، الناشر مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ .
١٧٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الشيخ : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، طبع مجمع الملك فهد ١٤١٦هـ .
١٧٦ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الطبعة الثانية لدار سزكين ١٤٠٦هـ .
١٧٧ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، المتوفى ٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمي بمكناس ، طبع بالمغرب ١٤٠٩ هـ .
١٧٨ المحكم والمحيط في اللغة ، لعلي بن إسماعيل بن سيده ، المتوفى ٤٥٨هـ ، تحقيق : الدكتور مراد كامل ، الطبعة الأولى لمطبعة الحلبي ١٣٩٢هـ .
١٧٩ مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ضبط وتصحيح : سميرة خلف الموالي ، طبع المركز العربي للثقافة والعلوم .
١٨٠ مختصر العلو للعلي الغفار ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، اختصره وحققه وعلق عليه الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى للمكتب الإسلامي ١٤٠١هـ .
١٨١ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، اختصار ابن خالويه ، عُني بنشره : برجستراسر ، مطبعة الرحمانية بمصر .
١٨٢ مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ، ترجمة علي حسن عبد القادر الطبعة الأولى لمطبعة العلوم ١٣٦٣هـ
١٨٣ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، المتوفى ٦٦٥هـ ، تحقيق: طيار آلتي قولاج ، طبع دار صادر ١٣٩٥ هـ .
١٨٤ المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى ٤٠٥هـ ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ببيروت .
١٨٥ المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد الغزالي ، ومعه كتاب فواتح الرحموت ، لعبد العلي الأنصاري، تقديم وضبط الشيخ إبراهيم رمضان ، طبع دار الأرقم بن أبي الأرقم .
١٨٦ المسند ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ ، طبع مؤسسة قرطبة .
١٨٧ مسند أبي داود الطيالسي ، لسليمان بن داود البصري ، المتوفى ٢٠٤هـ نشر دار المعرفة .

١٨٨ -مسند أبي يعلى ، لأحمد بن علي الموصلي ، المتوفى ٣٠٧هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى لدار المأمون بدمشق ١٤٠٤هـ .
١٨٩ -مسند إسحاق بن راهويه ، المتوفى ٢٣٨هـ ، تحقيق الدكتور : عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، الطبعة الأولى لمكتبة الإيمان بالمدينة ١٤١٢هـ .
١٩٠ -المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، لمحمد أحمد أبو الفرج ، نشر دار النهضة ١٩٦٦م.
١٩١ -المعارف ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المتوفى ٢٧٦هـ ، تحقيق الدكتور : ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ .
١٩٢ -معالم التنزيل للبغوي تحقيق : خالد العك ومروان سوار ، الطبعة الرابعة لدار المعرفة ١٤١٥هـ .
١٩٣ -معاني القراءات ، لأبي منصور الأزهري ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، بدون ناشر .
١٩٤ -المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر ، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، المتوفى ٧٩٤هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، الطبعة الأولى لدار الأرقم ١٤٠٤هـ .
١٩٥ -معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، المتوفى ٦٢٦ هـ ، طبعة دار المأمون ، مراجعة وزارة المعارف العمومية .
١٩٦ -المعجم الأدبي ، لجبور عبد النور ، الطبعة الأولى لدار العلم للملايين ١٩٧٩م .
١٩٧ -معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، المتوفى ٦٢٦ هـ ، طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
١٩٨ -معجم الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، المتوفى ٣٨٤هـ ، نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٤هـ ، تصحيح د. ف. كرنكو ، ومعه المؤتلف والمختلف لأبي القاسم الآمدي ، المتوفى ٣٧٠هـ .
١٩٩ -المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المتوفى ٣٦٠هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية لمطبعة الزهراء بالعراق ١٤٠٦هـ .
٢٠٠ -معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٣٧٩هـ.
٢٠١ -المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة ، الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر .
٢٠٢ -معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، المتوفى ٣٩٥هـ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، طبع دار الجيل بيروت .
٢٠٣ -معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، تحقيق بشار عواد معروف ، وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس ، الطبعة الأولى لمؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ .
٢٠٤ -المغني ، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، المتوفى ٦٢٠هـ ، طبعة عالم الكتب.
٢٠٥ -مفاتيح الغيب ، أو التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ، المتوفى ٦٠٦هـ ، طبع دار الفكر.
٢٠٦ -مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، المتوفى ٤٢٥هـ تقريباً ، تحقيق : صفوان عدنان داودي، الطبعة الثانية لدار القلم ١٤١٨ هـ .
٢٠٧ -المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي الطبعة الأولى لدار طيبة ١٤٠٥هـ .

٢٠٨ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفى ٩٠٢هـ ، تصحيح عبد الله محمد الصديق ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٣٧٥هـ.

٢٠٩ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاح ، طبع دار الغرب الإسلامي ١٤٠٣هـ .

٢١٠ مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، طبع دار إحياء التراث العربية .

٢١١ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧هـ ، الطبعة الأولى لدائرة المعارف بحيدر أباد ١٣٥٧هـ .

٢١٢ المنهاج في شرح صحيح مسلم ، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، المتوفى ٦٧٦هـ ، مراجعة خليل هراس ، الطبعة الأولى لدار القلم .

٢١٣ منهج المدرسة العقلية في التفسير ، للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ .

٢١٤ منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، للدكتور زياد الدماغين ، طبعة دار البشير ١٤١٦هـ .

٢١٥ المهذب في القراءات العشر ، للدكتور محمد سالم محيسن ، الطبعة الثانية لمكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ.

٢١٦ الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، المتوفى ٧٩٠هـ ، تحقيق: علي حسن عبد الحميد ، الطبعة الأولى لدار ابن عفان ١٤١٧هـ .

٢١٧ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد علي التهانوي ، المتوفى ١١٨٥ هـ ، تحقيق علي دحروج ، ترجمه من الفارسية الدكتور : عبد الله الخالدي ، مطبعة لبنان ناشرون .

٢١٨ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى ٧٤٨هـ ، تحقيق : علي بن محمد البجادي ، طبع دار المعرفة بيروت .

٢١٩ الناسخ والمنسوخ في كتاب اله –عز وجل– واختلاف العلماء في ذلك ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، المتوفى ٣٣٨هـ ، تحقيق الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم ، طبع مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.

٢٢٠ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، لمحمد عبد الله دراز ، المتوفى ١٣٧٩هـ ، تحقيق : عبد الحميد الدخاخيني ، الطبعة الأولى لدار طيبة ١٤١٧هـ .

٢٢١ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن يوسف بن تَغْري بَرْدي الأتابكي ، المتوفى ٨٧٤هـ ، مصورة عن دار الكتب .

٢٢٢ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧هـ ، دراسة وتحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، الطبعة الثانية لمؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ .

٢٢٣ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى ٨٨٥هـ، طبعة دائرة المعارف بالهند ١٣٨٩هـ .

٢٢٤ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقّري التلمساني تحقيق : الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر بيروت ١٣٨٩هـ .

٢٢٥ النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، المتوفى ٤٥٠هـ ، تعليق السيد بن عبد المنصور بن عبد الرحيم ، الطبعة الأولى لدار الكتب العلمية والثقافية ١٤١٢هـ .

٢٢٦ النهر الماد ، لأبي حيان الأندلسي ، ضبط بوران ، وهديان الضناوي ، الطبعة الأولى لمؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان ١٤٠٧هـ .

٢٢٧ نور القبس المختص من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء ، لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري ، تحقيق : رودلف زلهايم ، دار النشر فرانتس شتايز بقيسبادن ١٣٨٤هـ .

٢٢٨ الواضح في أصول الفقه ، للدكتور محمد بن سليمان الأشقر ، الطبعة الرابعة لدار النفائس ١٤١٢هـ .

٢٢٩ الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، المتوفى ٧٦٤ هـ ، ، عناية : س . ديدرينغ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ .

٢٣٠ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة ، للدكتور سليمان بن صالح القرعاوي ، الطبعة الأولى لمكتبة الرشد ١٤١٠هـ .

٢٣١ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، المتوفى ٤٦٨هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، الطبعة الأولى لدار التعليم والدار الشامية ١٤١٥هـ .

٢٣٢ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلّكان ، المتوفى ٦٨١هـ ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، طبع دار الثقافة ودار صادر ببيروت .

ثالثاً : الصحف والدوريات :

٢٣٣ مجلة البيان عدد ٩٥ .
٢٣٤ مجلة المؤرخ العربي تعنى بشئون التراث والتاريخ العربي والعالمي ، عدد ٣٧ ، السنة العاشرة ١٤٠٩هـ

رابعاً : مراجع ملحقة :

٢٣٥ الزبيدي وكتابه تاج العروس للدكتور هاشم طه شلاش .
٢٣٦ سيد قطب الشهيد الحي من الميلاد إلى الاستشهاد د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .
٢٣٧ المحرر في أسباب نـــزول القرآن (من خلال الكتب التسعة)، للدكتور خالد بن سليمان المـــزيني ، الطبعـــة الأولى ، دار ابن الجوزي ، الأولى ١٤٢٧ هـــ .
٢٣٨ المنهج الأحمد .
٢٣٩ موقع ملتقى أهل التفسير ، على الشبكة العنكبوتية .
٢٤٠ النحو وكتب التفسير .

فهرس المحتويات

تعريف مختصر ببحث :

دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير

دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير .

رسالة ماجستير للطالب : عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم .

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه — صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً — وبعد :

فمما اتفق عليه المفسرون أنّ أصحَّ طرقِ التفسير للقرآن وأحسنَها : تفسيرُ القرآن بالقرآن ؛ فلا أحدَ أعلمُ بمراد الله من الله ، والصّلةُ بين الآية المفسَّرة والمفسِّرة لها قد يكونان في محلٍّ واحدٍ وسورةٍ واحدةٍ ، وقد يفترقان ، وأغلب تفسير القرآن بالقرآن إذا أطلق ينصرف إلى المتفرّق في القرآن ، وأقوى النوعين وأسلمهما ما كان في محلٍّ واحدٍ وسورةٍ واحدةٍ ، وهذا هو موضوع هذه الرسالة الذي يتعلّق بالتفسير بدلالة السّياق .

والتّفسيرَ بدلالة السِّياق — موضوع هذه الرّسالة - داخلٌ تحت هذه الأهمّيّة والأولويّة في التّفسير ، إذ هو من تفسير الآية بما ورد في السّورة الواحدةِ ، والذي ينبغي على المعتنين بتفسير القرآن ملاحظته ومراعاته ؛ ولذلك اخترت موضوع دلالة السّياق .

وعنوان هذه الرسالة : دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير ، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير .

والمقصود بالسياق : تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده في الترتيب .

والمقصود بدلالة السياق بمعناها العام : هي : فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده .

والمقصود بدلالة السياق في التفسير : هي : بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق .

وهذا الموضوع واسعٌ لا يحاطُ به على سبيل العموم ، فرأيتُ الاقتصار على تفسير جامع البيان لإمام المفسرين محمد بن جرير الطّبري —رحمه الله- المتوفى سنة عشر وثلاثمائة للهجرة ، ورأيتُ أن يكونَ موضوعُ البحث من خلاله ؛ لأسباب أهمها : اهتمام الإمام —رحمه الله- بدلالات السّياق تصريحاً أو تلميحاً ، وتوسّع الإمام الطبري في تناول هذه القاعدة وتوضيحها وتفسيرها ومناقشةُ الأقوالِ المخالفةِ للقاعدةِ تفصيلاً ، وأقدميّة هذا التّفسير فإنه عمدةُ من لحقه ، وكذا منزلته عند المفسّرين ؛ فقد أجمعوا على أنه لم يؤلّف مثله ، واهتمام الإمام بأقوال السّلف ورواياتهم ، وتمسّكه بعقيدة أهل السّنة والجماعة ومدافعته عنها ، ودراسة الموضوع الطّويل عند مفسّرٍ واحدٍ ،تجمع أصول الموضوع ، وتُبرزُ منهجَ المفسّرِ.

هذا وقد كان الحديثُ في هذا الموضوع شاقّاً ؛ لصعوبة أسلوب الإمام أبي جعفر الطبري —رحمه الله- من جهةٍ ، ولِدِقّةِ مأخذِه من أخرى ، ولكثرة المواضع المتعلّقة بالموضوع من جهة ثالثة ، وقد حاولتُ ما وسعني الجهد —بفضل الله- عرض طريقة الإمام الطبري —رحمه الله- ، والتّعليق على أهمّ المواضع التي هي داخلة في دلالة السياق.

وتشتمل خطّة الرّسالة على النّحو الآتي :

مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة :

والتمهيد يحوي ثلاثة أمور : ترجمةً موجزة للإمام : محمد بن جرير الطبري -رحمه الله- ، وتعريفاً بتفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، وعرضاً مختصراً لدلالة الألفاظ عند الأصوليين .

أما البابين : فالباب الأول : دلالةُ السّياق القرآنيّ ، وطريقةُ تناولِ ابن جريرٍ لها
وينقسم الباب الأول إلى فصلين :

الفصل الأول : دلالة السّياق القرآني : وتحته تعريفُ السّياق القرآنيّ ، وأنواعُه ، مع التَّمثيل ، وأهميّة دلالة السّياق القرآني في التّفسير ، وأسبابُ الاعتماد على دلالة السّياق القرآنيّ، ودلالة السّياق القرآنيّ ، وعلاقتها بتفسير القرآن بالقرآن.

وأمّا الفصل الثاني فعن:قواعد تناول ابن جرير–رحمه الله–لدلالة السّياق القرآنيّ :

وفيه : الكلام على اتّصال السّياق ما لم يدلّ دليلٌ على انقطاعه ، وإذا تتالت كلمتان والثانية نعتٌ فإنّها تحمل على سابقتها ، وأولى تفسير للآية ما كان في سياق السّورة، والنظر إلى ابتداء الآيات معينٌ على معرفة مناسبة خاتمتها، وإذا لزم من تفسير الآيات التّكرار الذي لا معنى له فذلك خُلفٌ ينزّه القرآن عنه ، ويختار من المعاني ما اتّسق وانتظم معه الكلام ، وتعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم ، والأولى في التّفسير أن يكون الوعيد على ما فتِح به الخبر من الفعل المذكور السّابق ، ولا يفسر السّياق إلا بالظّاهر من الخطاب .

أما الباب الثاني فعن : أثر دلالة السّياق القرآني في تفسير ابن جرير :

وفيه الآثار لتطبيق دلالة السياق وهي على فصول :

الفصل الأول : أثر دلالة السّياق في القراءات .

الفصل الثاني : أثر دلالة السّياق في بيان الأصحِّ من أسباب النُّزول.

الفصل الثالث : أثر دلالة السّياق في إظهار تناسب الآيات وترابطها .

الفصل الرابع : أثر دلالة السّياق في الدّلالة على المعنى .

الفصل الخامس : أثر دلالة السّياق في ذكر المعنى المناسب للسّياق إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم .

الفصل السادس : أثر دلالة السّياق في الدلالة على المحذوف من الكلام .

الفصل السابع : أثر دلالة السّياق على وجود النسخ أو عدمه .

الفصل الثامن : أثر دلالة السّياق على وجود تقديم أو تأخير .

الفصل التاسع : أثر دلالة السّياق في تضعيف بعض الأقوال .

ثم الخاتمة ، والفهارس .

وكتب :
عبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم .
aabuhkeem@gmail.com

Introduction

Praise be to Allah, Lord of the Worlds. I bear witness that there is not god but Allah alone, He has not partner, and I bear witness that Muhammad is His servant and His Messenger. May the peace and blessings of Allah be upon him and upon his household and his companions.

One of the things that commentators of the Quran have always agreed upon is that the most sound method of interpretation of the Quran is by the Quran itself. This is because no one can know the intended meaning of Allah better than Allah Himself. An ayat and another explaining it may be found in the same spot in the text, or in the same sura or they may be separated. While most explanations of the Quran by the Quran are separated ones, the strongest and explanations are those that are found in a single place or in the same sura. This is the subject of this thesis which focuses on contextual exegesis of the Quran.

Contextual exegesis is of primary importance to the science of tafsir. Generally speaking, contextual exegesis is concerned with the meaning of an ayat with respect to what has been revealed within a single sura. This is something that those who are concerned with tafsir should take into account and be careful of. It is because of this importance that I have chosen this as the subject of my thesis.

The title of this thesis is: Contextual evidence in the Quran and its Affect on the Science of Tafsir, a theoretican and applied investigation of Tafsir Ibn Jarir.

By **context** I mean the order of words and their inter-relatedness in this ordering.

By contextual evidence of meaning I mean, generally, the text in the light of what preceedes and what follows it.

By contextual evidence of exegesis I mean the explanation of a word or phrase within an ayat that does not separate it from what either preceedes or what follows it.

This is a very wide issue that one can not generalize about. For this reason I decided to limit my investigations to the tafsir known as Jaami'a al-Bayan by Muhammad b. Jarir al-Tabari, said to be the Imam of the exegetes, who was a master of explanation and illucidation. In this book Imam al-Tabari gives us a clear demonstration of the principles of exegesis and also responds to the those who violate those clear principles. Tafsir al-Tabari is also one of the most highly respected works of its kind. The scholars are in very wide agreement about the value of this book and believe that nothing approaching it has ever been written since. Al-Tabari accorded primary

importance to accounts of the views of early scholars and the companions, and he was assiduous in his upholding of the doctrines of Ahl al-Sunnah wal-Jama'a and in his defense of these. A long study of a single exegete will allow us to see the broad outlines of the subject as well as revealing the methods of a single scholar.

This is not an easy problem to broach, not the least because of the difficulty of al-Tabari's style on the one hand and because of the minuteness of detail he includes on the other. In addition to this, the subject itself is wide and varied. I have attempted to demonstrate Imam al-Tabari's techniques while commenting on the most important issues directly related to contextual exegesis.

My research proposal included the following؛

A prologue, an introduction, two chapers, and a conclusion.

The introduction includes a biography of Imam al-Tabari and a quick review of his work, Jaami'a al-Bayaan.

Chapter one examines Imam al-Tabari's treatment of contextual evidence in Quranic exegesis. This chapter is divided into two sections. The first deals with contextual evidence itself. In it I discuss what I mean by "Quanic context", explain different types of this with ecamples, discuss the importance of Quranic context in the exegesis of the Quran and the reasons why we should rely upon this type of evidence, what constituted contextual evidence and how it is related to exegesis.

The second section of this chapter deals with Ibn Jarir's treatment of contextual evidence in the Quran. Here I discuss issues such as the establishment of a context where there is no evidence that should not exist, such as the case of two words and a third where the third word relates directly to those that preceded it, the concept that the best explanation is that which is within the context of the sura, the notion that the the beginning of any particular ayat must be understood with a view to the end of the ayah that preceeds it. I also discuss the idea that meaningless repetition is not an acceptable explanation and the idea that the choice of meaning must be consistant with both context and syntax. I argue that the rule that one should remain within the context of the revealed discourse does not impose an narrowness upon interpretation, indeed, it also accommodates ambiguity. Rather, the first concern of exegesis should be to remain faithful to preceeding context. Context can not be explained except in the full light of discourse.

The second chapter deals with the effects of contextual evidence on Ibn Jarir's tafsir. Here we see a number of consequences in his method. Among them:

1-The use of contextual evidence from variant readings

2-The use of contextual evidence in determining which are the most c orrect circumstances of a particular part of the revelation؛

3-The use of contextual evidence in highlighting the appropriateness of an ayat and its relationship to others؛

4-The use of contextual evidence to determine meaning؛

5-The use of contextual evidence to the proposal of a specific contextual meaning in the light of another part of the revelation, so long as this does not contradict its general meaning in its immediate context.

6-The use of contextual evidence removed from common meaning of the word itself.

7-The use of contextual evidence to indicate abrogation or to deny it.

8-The use of contextual evidence to indicate taqdiim, or tadkhir.

9- The use of contextual evidence to indicate the weakness of particular opinions.

I have spared not effort to complete this research in the best of intentions, but it is the nature of human beings to make mistakes. Whatever anyone other than the Messenger, upon whom be peace, says may be refuted. What I have discovered of truth, is from Allah alone, He is Generous and Nurturing, and what I have said that is wrong, it is from myself and from Satan. I seek the forgiveness of Allah and reptent unto Him. Praise be to Allah, Lord of the Worlds.

Abdul Hakim b. Abdullah b. Abdul Rahman al-Qasim
١٤٢١/١/٢١
PO Box ٢٢٤٢١٠
Riyadh ١١٣٢٢
Saudi Arabia